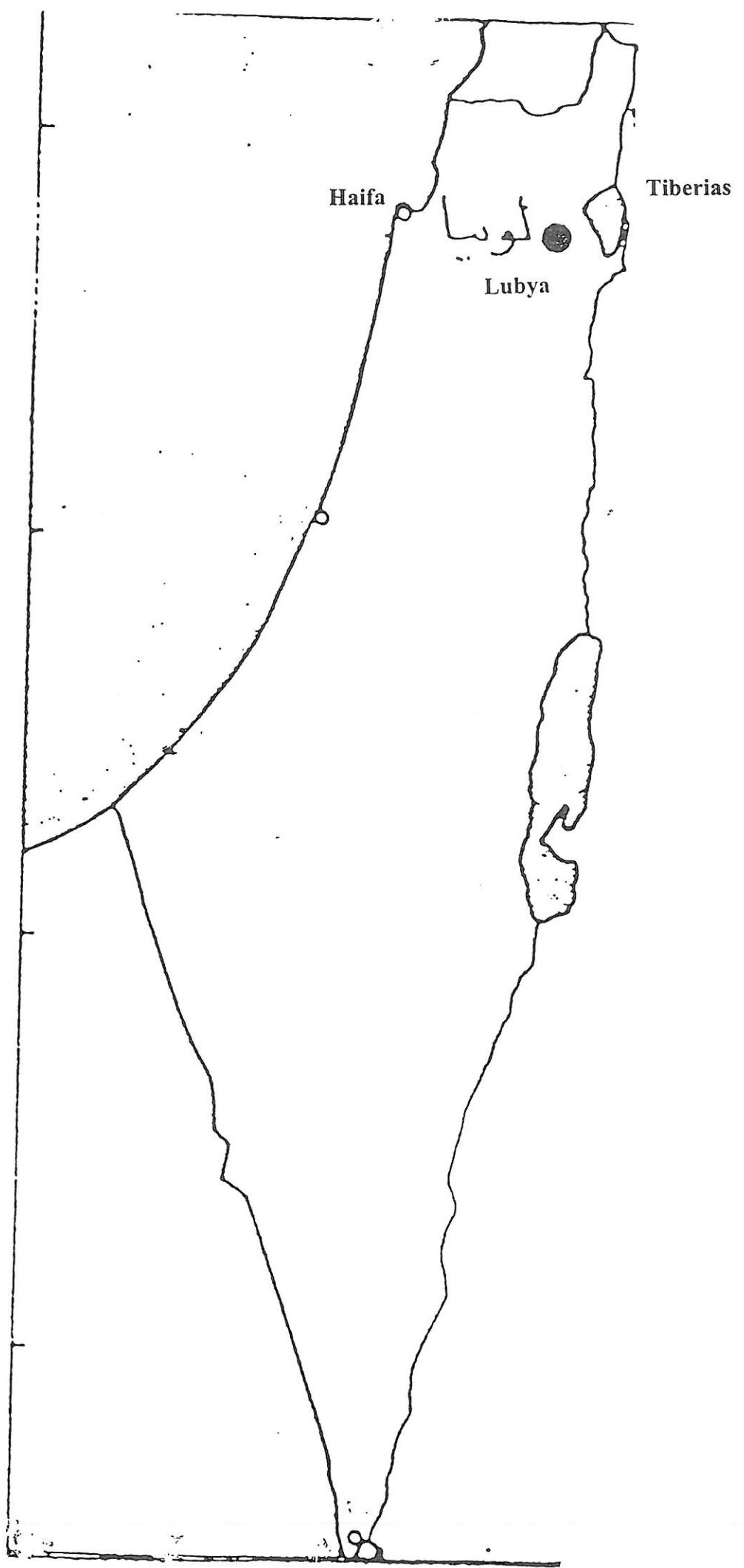


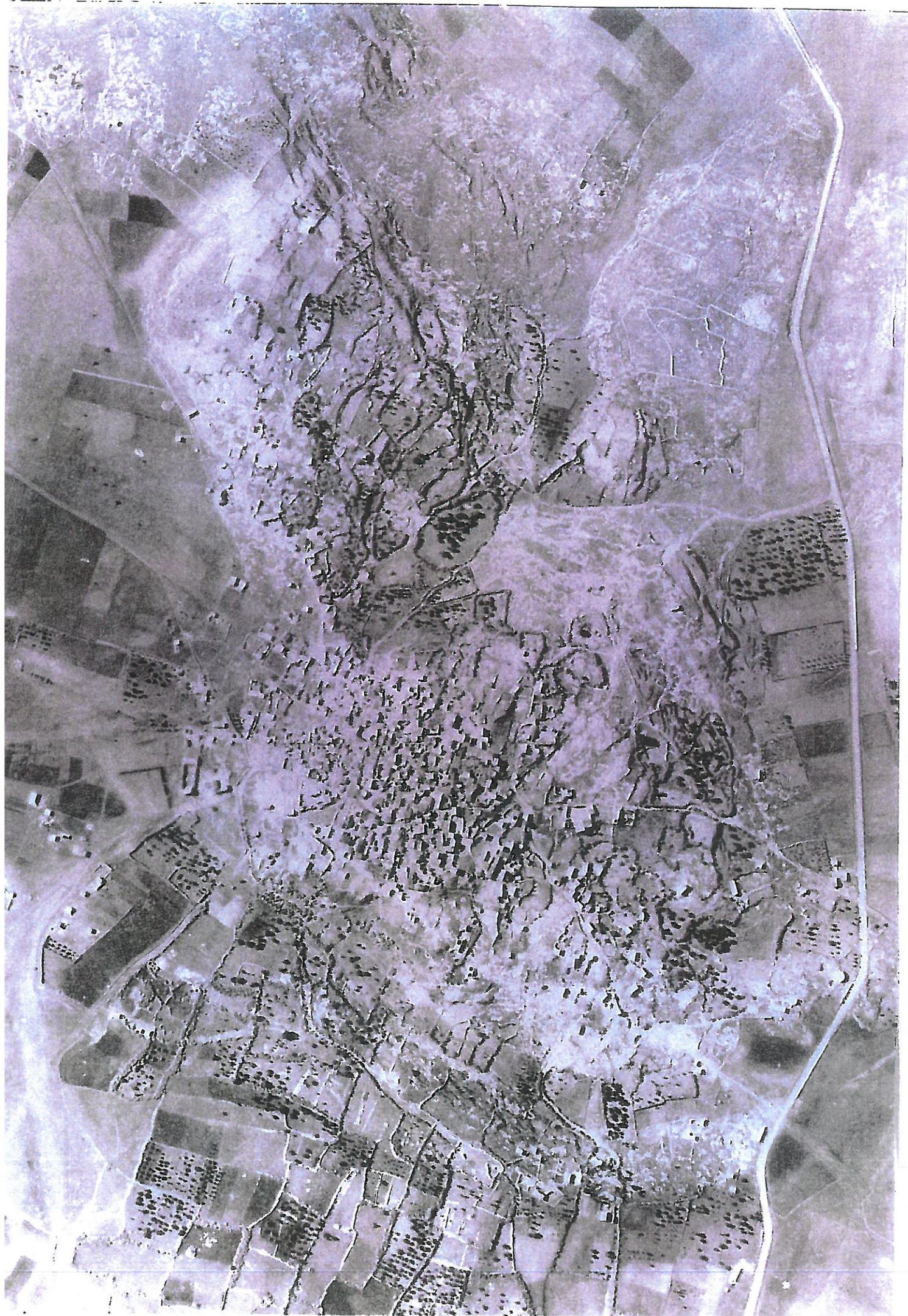
قرية لوبية

الجليل - ناصر الدين

د. محمود عيسى

التاريخ _ الثقافة _ الهوية _ الذاكرة





A view of Lubya from the air 1945. The road in the photo connects Nazareth & Tiberias

لوبية

مقدمة (١٧٠٩)

"أن يكون المرء حرّاً لا يعني أن يخلص من قيوده فحسب، بل عليه أن يعيش بأسلوب يحترم ويدعم حرية الآخرين".
(نسون مانديلا.)

بعد سنوات عديدة قضيتها في بحار روايات جوزيف كونراد العاصفة، وجدت الوقت قد حان لأطأ أرض بلدي لوبية، قرية والدائي الواقعة شمال فلسطين -- إسرائيل اليوم. فهناك كان من المفترض أن أولد واتررعر قبل خمسين عاماً.

لقد بدأت تتبع لدبى فكرة البحث عن تاريخ لوبية منذ زمن بعيد وأنا ما زلت مقينا في مخيم ويبل لللاجئين في البقاع اللبناني. كان أهلي قد وصلوا إلى هناك مع آلاف اللاجئين عام ١٩٤٨، احتماءً من ويلات الحرب، وعاشوا رغم البرد القارس في خيمة قدمها لهم الصليب الأحمر. وفي ذلك العام توفيت زوجة أبي الأولى وتوفي ولدها والعديد من الأطفال اللاجئين.

كان نحسب أننا عائدين عما قريب. وكانت الأمم المتحدة تعاود التأكيد على حقنا في العودة كل عام. لكن المنفى كان يطول عاماً بعد عام، ولم تُجد المعروضات والاحتجاجات المتكررة نفعاً. كان لنشأتى في المخيم أثر كبير في نفسي، إذ بدأت منذ صغرى أتسائل: لماذا نحن هنا؟ لماذا كل شيء هنا مؤقت؟ لماذا يرفض والدي شراء ثلاثة أو جهاز تلفزيون أو ماكينة غسيل؟ لماذا لا نتمتع بنفس الحقوق مع الناس الذين نعيش بينهم، كالحق في العمل والحق في المواطنة المتساوية؟ كيف يعاملون بغير ما يعاملون رغم أننا ننطق اللغة ذاتها ونتمي للتاريخ ذاته؟ من أين نحن؟

وحين بلغت السابعة والعشرين من عمري كنت قد أُبعدت من عدة بلدان عربية وسجنت لفترات وجيزة، ذلك ببساطة لأنني أجهرت علينا بانتسابي إلى وطني فلسطين وبرغبتي وحقي في العودة إلى قريتي لوبية. وبعد سنوات عديدة من المنفى في شتى البلدان وصلت الدنمارك. هناك، بعيداً آلاف الأميال عن بلدي الأصلي، أصبحت لاجئاً أجنبياً يواجهه دوماً سؤال: من أين أنت؟ لم ولم يكن يكفي بالطبع جواب بسيط من قبيل: أنا من لوبية أو من فلسطين.

جميع هذه الأسئلة، وكذلك قصص لوبية التي سمعتها من أفراد عائلتي، وسياسة التمييز الحكومية ضد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وحياة التنقل القسري بين بلد وآخر، شجعني على زيارة لوبية. وكانت الزيارة الأولى في العام 1994، سنت لي بعد حصولي على المواطنة الدنماركية. لقد سقط من وثائقني الجديدة، بخلاف وثائق اللجوء، اسم بلدي الأصلي، لكنني أصبحت الآن قادراً بفضلها أن أزور بلدي، ولو كسائح!

ثم عدت للزيارة الثانية في العام التالي مصطحبًا معي والدائي وطاقم تصوير دنماركي أراد إعداد فيلم وثائقي عن تاريخ القرية. وقد عُرض الفيلم فيما بعد على التلفزيون الدنماركي بعنوان "أرض الأجداد". ثم قمت بعدها بإعداد ورقة بحثية عن اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الدنمارك. هاتان التجربتان، بالإضافة إلى قلة المعلومات وتعطشى لمعرفة قريتي، دفعتاكي إلى خوض هذه التجربة في استكشاف تاريخ لوبية الدفين. فالحاجة، كما يقولون، أم الاختراع.

التاريخ المحلي

كان يعيش في لوبية حوالي ثلاثة آلاف فلسطيني، هجروا جمِيعاً في العام 1948، ووُجِد بعضهم ملجاً في القرى والبلدات المجاورة داخل إسرائيل اليوم، أما الأغلبية فتشتت فيما وراء الحدود. يقدر عدد لاجئي لوبية اليوم بأربعين ألف لاجئ، موجودين في منافق قسرية لا يقل عددها عن ثلاثة وعشرين.

لقد نُشرت، كما هو معروف، مئات الكتب عن تاريخ الفلسطينيين وعن النكبة التي حلّت بهم عام 1948، لكنَّ أصوات الفلسطينيين الذين عاشوا وما زالوا يعيشون هذا التاريخ ظلت، فيما عدا بعض الاستثناءات، غائبة على نطاقٍ واسعٍ. ولا يختلف وضع لوبية عن غيرها من القرى المدمرة، إذ دُفِنت القصص الشخصية لرجالها ونسائها وأطفالها ومسنّيها، الذين اضطروا على مغادرتها إنقاًعاً لويارات الحرب، دُفِنت تحت الرواية الإسرائيليّة المنتصرة. ولم تكن قصة الفلسطينيين فريدة، فهذا ما حدث مع ملايين البشر خلال حروب القرن العشرين وزراعاته الأهلية الدامية.

لم يحظَ اللاجئون الفلسطينيون وقراهم وبلداتهم ومدنهم وتاريخهم الغنية بالاهتمام من قبل الإسرائيليين، إلا فيما ندر. ذلك متعلق بالطبع بكونهم يقوّضون الادعاءات الصهيونية حول ملكية الأرض، ويعقدون تسوية الصراع. ولذا عملت دولة إسرائيل منذ إقامتها وبشكل مبرمج على إضفاء تاريخها الحصري على أماكنهم، وبداً أنَّ طردتهم من المكان لن يكتمل ما لم تتحقق أمنية اختفائهم من التاريخ. عبر عن هذا التعزيم المزدوج، وبكل فجاجة،

تعليق لوزير الخارجية الإسرائيلي حول مصير ما يقارب مليون لاجئ فلسطيني بعد الحرب. قال: "سينجح الأقوى من بين النجا، وأصحاب أفضل مقدرة على التأقلم، في عملية إنقاء طبيعي. أما الآخرون فسيندثرون. البعض سيموتون، والبقية ستتحول إلى غبار بشري، إلى طبقة رثاث منبوذة، تلتحق على الأغلب بالطبقات المعدومة في البلدان العربية".

بعد إخلاء مئات القرى الفلسطينية من سكانها وتدميرها قامت إسرائيل ببناء مستوطنات يهودية على أراضيها. فأقيمت في العام 1949 مستوطنة لافي، وفي العام 1992-1993 أقيمت مستوطنة أخرى باسم جفعات اشتي على الطرف الشرقي من أراضي القرية وغرس حرش من الصنوبر على باقي الأرض. قام بغرس الحرش الصندوق القومي اليهودي بدعم مالي قدمته منظمة النساء الصهيونيات في جنوب إفريقيا، وأطلق عليه اسم "حرش جمهورية جنوب إفريقيا".

هكذا منع أهل لوبيه، كما منع غيرهم من اللاجئين والمهجرين في الداخل، من العودة إلى قريتهم واستملاك أراضيهم من جديد. لكن ممارسات التهجير والتدمير والاستลاب والنفي هذه لم تتجزء جميعها في محو ذاكرة القرية. فهي ما زالت محفوظة لدى أولئك الذين ولدوا فيها وأبنائهم وأحفادهم. إن معظم هؤلاء لم يروا القرية أبداً، لكن نبضها الحي ما زال ينتقل إليهم من خلال روايات الآباء والأجداد. لا تهدف هذه الروايات إلى إسكات أولئك الذين نفوه عن ديارهم؛ إنما فقط تفاصيل شفرة أكثر من خمسة عقود من التهميش والإنكار.

ثمة دور هام للقصص الشخصية للرجال والنساء والأطفال، أو ما أطلق عليه هنا "التاريخ المحلي"، في الحفاظ على، وإعادة تركيب وتفسير تاريخ الشعوب المنسيّة والمهمشة. ففي معظم الأحيان، لا يجد الضيفاء والمنفيون عن وطنهم سوى قوة الذاكرة لرفع معاناتهم، ولذا فهم يبذلون جهود جمة في إعادة تركيب صور الماضي عبر جمع الشهادات الشفوية والتنكر والحفظ والقصص الشعبية والغناء والرسم والرقص. إن الانتماء إلى الثقافة وشبكة العلاقات الاجتماعية المحلية يشكل رابطاً فعلياً بين ملابس من البشر المحرمين على هذه الأرض ليس من كرامتهم وحقوقهم الإنسانية الأولى فحسب، إنما من رواية تجاربهم التاريخية أيضاً.

لقد أردت لهذا الكتاب أن يكون منبراً لللاجئ لوبيه لكي يحكون من خلاله تجاربهم الذاتية. تكشف قصصهم وصور الماضي الطرية في خيالاتهم وأحلامهم ونكرياتهم (رغم أنها تبدو أحياناً هشة وقابلة للانكسار)، عن الوجه الأصلي لبلدهم، وتحول الأنماط إلى جغرافيا بشريّة مفعمة بالحياة، وفي حين لا ينطوي هذا الكتاب مباشرة إلى تجارب كافة اللاجئين

الفلسطينيين من 531 قرية ومحل في فلسطين، ولا يعالج بشكل مباشر مأساتهم المستمرة وكيفية حافظتهم على ذاكرتهم المحلية المرتبطة بلدانهم الأصلية، لكنه يقول الكثير عن هذه التجارب من خلال مثل لوبيبة الخاص.

كتاب عن لوبيه

نشأت علاقتي بكثير من الفلسطينيين، على الصعيدين الشخصي والرسمي، خلال عملي مع حركة النقابات العمالية ومؤسسات فلسطينية أخرى. وقد أتاحت لي نشاطاتي هذه فرصة التواصل اليومي بلوبيين يعيشون في مكان مختلف في العالم. كما أنّ كوني فلسطينياً وناشطاً في القضية الفلسطينية، من جهة، ومقيناً لفترات الطويلة في أوروبا، من جهة أخرى، جعلني أنوسع في حيز ثقافي جديد، بين الثقافة الشرقية التي ولدت وترعرعت فيها والثقافة الغربية التي عشت فيها على مدار الأعوام العشرين الماضية. وقد شكلت معرفتي واتصالاتي بلوبيين في إسرائيل وكذلك بعدد من اليهود الاسرائيليين الذين شاركوا في عملية احتلال لوبيبة عام 1948، ما يمكن وصفه تعريفاً أولياً بمجال بحثي، وكذلك كان لزياراتي الأولى للقرية عام 1994 أن فتحت أمامي آفاق رؤيا جديدة وإمكانيات فهم لم تكن متوفرة من قبل. حين سألتني صحافي عن شعوري لحظة وطئت قدمي أرض لوبيبة للمرة الأولى، قلت: أشعر كأنني ولدت وعشت على متن طائرة طيلة حياتي وها أنا أهبط على الأرض لأول مرة!

استمر جمع هذه الانتوغرافيا خمسة أعوام، وحين بدأت لم تكن بحوزتي أية وثيقة مكتوبة عن القرية. إلا أنني سرعان ما بدأت اكتشف، بعد لقائي بلوبيين في مناقبهم العديدة، مجموعة وثائق ومؤلفات مثيرة للاهتمام وضعها لوبيون بأنفسهم عن الحياة في القرية. تشمل هذه المجموعة كتيباً صغيراً من تأليف إبراهيم شهابي، ومذكرات محمد خليل أبو عصام، وكتاب السلسلة العلمية خاصة بعائلات الصمدي والكيلاني وعطوات وشهابي (انظر نسخاً عنها في الملحق بـ). أما الوثائق الأخرى التي أثر البحث في الكشف عنها فتشمل صوراً وعقود زواج وحججاً ووثائق ملكية للأرض ورسائل شخصية. لقد وفرت هذه الوثائق معلومات وفيرة ساعتني في إعادة تركيب ملامح الحياة في قرية قبل وبعد

إن كل رجل أو امرأة مسنة في مثل حالة لوبية، هي بمثابة مكتبة ضائعة. لقد أجريت 700 مقابلة شفوية مع لوبيين مقيمين في أماكن مختلفة في المنفى. وتخللت مدة البحث ثمانيه أشهر قضيتها بين لوبيين في الدنمارك، وأربعة عشر شهراً قضيتها بين لوبيين في إسرائيل والأردن، وتسعة أشهر في سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة عام 1967. وكذلك

قمت بإجراء مقابلات مع يهود إسرائيليين من بينهم ضابطين متقاعدين كانوا قد شاركا في الهجوم العسكري على القرية عام 1948.

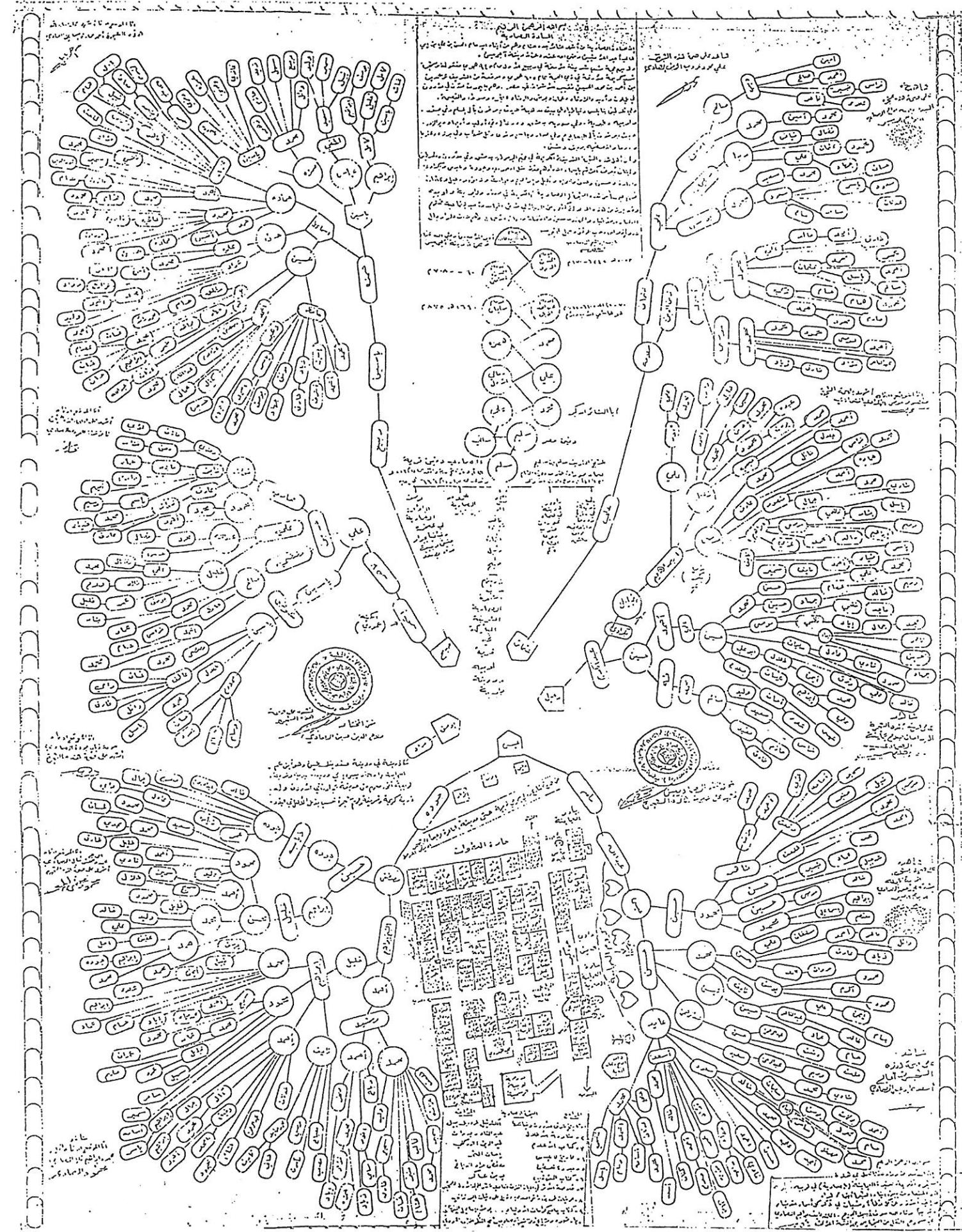
ثمة في التاريخ الشفوي، كمنهج بحث، مواضع قصور معروفة. لقد استعنت في التغلب على اختلاف الأسماء والتاريخ وذكريات الأحداث بمنهج المقارنة بين الروايات الشفوية المختلفة، وبمقابلة المعلومات بمصادر أرشيفية بريطانية وإسرائيلية وفلسطينية. ثمة أيضاً عوامل نفسية مختلفة، كالخوف وافتقاد الأمن، تؤثر بشدة في روايات الأفراد. فعلى سبيل المثال، منع لاجئ فلسطيني زار لوبيه في العام 1994 من العودة إليها بسبب اجراء مقابلة معه، ومعظم الذين أجريت معهم مقابلات لم يوافقو على ذكر أسمائهم كاملة. وفي مقابل ذلك، لم يُظهر الضباط الإسرائيليون الذين قابلتهم أية تحفظات وتحذّوا بانطلاق.

أناحت دائرة الوثائق البريطانية ومكتب الوثائق العامة في لندن ومكتبة إكسفورد وسانت انطونى كوليج وكذلك أرشيف مجلس العموم مقاربة تاريخ لوبيه من منظور خاص. كانت حكومة الانتداب البريطاني قد أجرت إحصاءين عامتين للفلسطينين عام 1922 وعام 1931، وقامت بتعديل الأخير سنوياً حتى العام 1946. تحفظ هذه الأرشيف أيضاً معلومات شتى متعلقة من لوبيين إلى وكالة الاستيطان اليهودية **ZICA**، ووثائق متعلقة بإنشاء مجلس محلي وتقارير عن المستوى الصحي في القرية، لكنني لم اعثر فيها على أثر لوثائق متعلقة بتسجيل ملكية الأرض. مثل هذه الوثائق موجودة بنسخ مختلفة في أرشيف إسرائيلية مختلفة ودوائر رسمية في الناصرة والقدس وتل أبيب، وكذلك في أرشيف الأمم المتحدة في نيويورك.

لقد بحثت عن قصص لوبيه المخبأة في كل مكان، تلك التي ترسم صورة لملامح الحياة في القرية قبل دفنهما تحت حرش الصنوبر "جنوب إفريقيا". واخترت لوضع هذا الكتاب جزءاً صغيراً فحسب من المواد المجموعة التي تحوي أكثر من ألف صفحة من المقابلات والصور والوثائق. أما هذه المواد بمجملها، بما فيها من صور وشرطة تسجيل أصلية للمقابلات الشفوية، وكذلك الفيلم الوثائقي الذي اعده الراديو الدنماركي، فسوف تحفظ لدى مؤسسة كارستين **فيبوهر**، والمجلس الدنماركي للإنجئين في كوبنهاغن، وعلى أمل، في متحف فلسطين الوطني حين يقام.

الفصل الأول من هذا الكتاب يقدم لمحنة عامة عن الذكرة في حياة لوبيين مسنين. الفصل الثاني يتبع أصول الحمال والقبائل المختلفة في القرية. الفصل الثالث يصف مشهد القرية ومواعدها كما يتنزّكها اللوبيون. الفصل الرابع يرسم صورة عن أوجه الحياة اليومية في القرية، كالتعليم والاحصاد والخلافات المحلية واحتفالات الأعراس. الفصل الخامس يبين علاقات لوبيه بالقرى العربية والمستوطنات اليهودية المجاورة، وكذلك بسلطات الانتداب

البريطاني . الفصل السادس يعالج مكانة الأرض في الصراع: الفصل السابع يبين دور اللوبين في اتفاقية ١٩٣٦-١٩٣٩ . الفصل المتبقية فتعالج النكبة وما بعدها كما يلي: الفصل الثامن يقدم بعض الروايات عن النكبة، التاسع يهتم بالحياة في المنفى، والعشر يفسح المجال للوبيين لتأمل الروابط التي تقدّم على اتصال بقريتهم الأصلية وكذلك المستقبل الذي ينتظرون وإمكانية العودة.



الفصل الأول

أركيولوجيا الذاكرة

"إن صراع البشر ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان" (ميلان كندا)

محمد خليل (أبو عصام) هو الشخص الوحيد من جيل لوبيبة القديم، الذي وضع مذكرات عن الحياة في القرية. كان أبو عصام معلماً في لوبيبة ومدير مدرسة في عيلوط والناصرة، وقد دونَ ولده ذكرياته عن لوبيبة قبل وفاته عام 1989. وفي وقت لاحق نشر كلّ من إبراهيم شهابي ويوسف أبو دهيس مؤلفاتهما عن الحياة في القرية. يعيش الشهابي وأبو دهيس اليوم في سوريا وما من شيء يحد من تدفق ذكرياتهما عن سنواتهما المبكرة في لوبيبة.

ما زال الرجال والنساء في العقد السادس والسابع والثامن من العمر يرددون ذكرياتهم عن لوبيبة لأجلهم أنفسهم كما لأجل أبنائهم وأحفادهم. تبدو قصص الأجداد بنظر الأحفاد "غامضة ومتناقصة" (حسب تعبير أنطونيو غرامشي) والصورة التي ترسمها عن لوبيبة "متنوعة وغريبة التكوين"¹. هذا بالطبع خلاف ما يشعره الجيل القديم الذي نشأ في لوبيبة واقتلع منها في العام 1948. لكن رغم الفارق بين الأجيال والتجارب، فإن الذكريات ومشاهدات العيان والتاريخ الجمعي القائم على التراث والتقاليد ليست مصدر إلهام أساسي للمسنين فحسب، إنما ركن من أركان هوية الجيل الشاب أيضاً. لوبيبة، بكلمات أخرى، هي بؤرة مرجعية في عمل اللاوعي، وإطار ثقافي، وصورة ذهنية ماضية وحاضرة، تأسر وتلهم وتؤثر في مخيلة الحياة لدى الكبار والصغر.

وكذلك بالنسبة للإسرائيليين الذين شاركوا في العمليات العسكرية ضد لوبيبة في العام 1948، مثل عزرا لافي ونحوم عبو، فذكرى لوبيبة لم تخيب لديهم أيضاً لأنها جزء من

¹ Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*. Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds.). New York: International Publishers, 1971, pp. 324 and 423; *Selections from Cultural Writings*. David Forgacs & Geoffrey Nowell Smith (eds.). London: Lawrence & Wishart, 1985, p. 189, cited in Ted Swedenberg, *Memories of Revolt, the 1936-39 Rebellion and the Palestinian National Past*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995, p. 27.

الفصل الأول

أركيولوجيا الذاكرة

"إن صراع البشر ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان" (ميلان كندا)

محمد خليل (أبو عصام) هو الشخص الوحيد من جيل لوبيبة القديم، الذي وضع مذكرات عن الحياة في القرية. كان أبو عصام معلماً في لوبيبة ومدير مدرسة في عيلوط والناصرة، وقد دونَ وله ذكرياته عن لوبيبة قبل وفاته عام 1989. وفي وقت لاحق نشر كلّ من إبراهيم شهابي ويوسف أبو دهيس مؤلفاتهما عن الحياة في القرية. يعيش الشهابي وأبو دهيس اليوم في سوريا وما من شيء يحد من تدفق ذكرياتهما عن سنواتهما المبكرة في لوبيبة.

ما زال الرجال والنساء في العقد السادس والسابع والثامن من العمر يررون ذكرياتهم عن لوبيبة لأجلهم أنفسهم كما لأجل أبنائهم وأحفادهم. تبدو قصص الأجداد بنظر الأحفاد "غامضة ومتناقصة" (حسب تعبير أنطونيو غرامشي) والصورة التي ترسمها عن لوبيبة "متعددة وغريبة التكوين"^١. هذا بالطبع خلاف ما يشعره الجيل القديم الذي نشأ في لوبيبة واقتلع منها في العام ١٩٤٨ لكن رغم الفارق بين الأجيال والتجارب، فإن الذكريات ومشاهدات العيان والتاريخ الجمعي القائم على التراث والتقاليد ليست مصدر إلهام أساسي للمسنين فحسب، إنما ركن من أركان هوية الجيل الشاب أيضاً لوبيبة، بكلمات أخرى، هي بؤرة مرجعية في عمل اللاوعي، وإطار ثقافي، وصورة ذهنية ماضية حاضرة، تأسر وتلهم وتأثر في مخيلة الحياة لدى الكبار والصغار.

وكذلك بالنسبة للإسرائيليين الذين شاركوا في العمليات العسكرية ضد لوبيبة في العام ١٩٤٨، مثل عزرا لافي ونحوم عبو، فذكري لوبيبة لم تخب لديهم أيضاً لأنها جزء من

¹ Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*. Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds.). New York: International Publishers, 1971, pp. 324 and 423; *Selections from Cultural Writings*. David Forgacs & Geoffrey Nowell Smith (eds.). London: Lawrence & Wishart, 1985, p. 189, cited in Ted Swedenberg, *Memories of Revolt, the 1936-39 Rebellion and the Palestinian National Past*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1995, p. 27.

نسيج ذكرياتهم وإن كانت أشبه بطبقة ترسبت تحت السطح. إن ذكريات هؤلاء هي أيضاً جزء من تاريخ لوبية.

معالم في الذاكرة:

لقد جاحد اللاجئون الفلسطينيون على مدار أكثر من خمسة عقود في المنفى من أجل إحياء وإعادة تكوين روابطهم بيبيوتهم وقراهم، ويظهر ذلك في علاقاتهم الاجتماعية وأطهرهم الثقافية وفي الحكايات والأغاني والأمثال والنكات التي يحفظونها جيلاً بعد جيل ويرعون عبرها تاريخ بلدتهم الأصلي.

أبو سامح الصمادي^٢ هو أحد هؤلاء اللاجئين، ويقيم اليوم في مخيم اليرموك^٣ قرب دمشق. كان أول لقاء لي معه في صباه حين رافق والدي في زيارة إلى دمشق. حصل أبو سامح على شهادة المرحلة الثانوية بعد أن تدّى الخمسين من عمره. جمع مكتبة ضخمة تحتلّ جدران غرفٍ ثلاثة في منزله، وتحوي على نسخ من مخطوطات عربية قديمة تذكر وقائع تاريخية حدثت في لوبية أو جوارها. وقد أصبحت هذه المكتبة مكاناً يقصده الباحثون المهتمون بالتاريخ العربي والإسلامي. في غضون أقل من ساعة على وصولي إلى هناك تكوت أمامي كل المصادر التي تذكر لوبية أو تشير إليها من قريب أو بعيد. كانت ذاكرة أبو سامح ومصادره مرجعاً قيماً ساعدني في التأكد من تفاصيل تاريخ لوبية.

وقد اقترح علي أبو سامح أثناء مكوثي في مخيم اليرموك أن ازور الحاج محمد سمير كرزون (أبو محمود)^٤ المعروف بذاكرته القوية. كان الحاج أبو محمود كندرجياً في

² أبو سامح الصمادي من مواليد عام ١٩٢٦. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بدمشق.

³ أقيم مخيم اليرموك عام ١٩٥٧ على بعد ثمانية كيلومترات جنوب مركز مدينة دمشق وداخل حدودها البلدية. يعتبر هذا المخيم أكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين في سوريا، وقدر عدد سكانه في ٣٠ حزيران / يونيو ٢٠٠٣ بأكثر من ١١٢،٠٠٠ لاجئ.

⁴ الحاج محمود سمير كرزون (أبو محمود) من مواليد العام ١٩٢٨. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم اليرموك للاجئين بدمشق. وأجريت مقابلة أخرى بعد عام في ١٩٩٩.

لوبية وبعد خمسين عاماً من اللجوء، استيقظ بغتة في إحدى الليالي وأخذ يرسم لوبية على قطعة من ورق. قال: "ساعة من الساعات صحيت، ما شفت حالي إلا كل الشوارع قدامي. جبت ورقة وصرت أرسم. جبت ورقة صغيرة. ما عم تسع. اضطربت أغير الورقة، أكبرها...." تحدث الحاج عن كل بيت وقطعة وقتاً طويلاً، وأعتذر في آخر حديثه لأنه نسي اسمين أو ثلاثة لم يكن متأكداً منهم، وقال إنه سيضيفهم في النسخة القادمة. ثم قدمت له صورة فوتوغرافية قديمة للقرية مأخوذة من الجو، فاحتضنها وبكي بصمت قبل أن يقتبها كما يقبل طفلًا ويضعها إلى جانب خارطته. كان من الصعب التمييز بين الصورة الفوتوغرافية والخارطة المرسومة من الخيال بعد كل هذه الأعوام في المنفى.

يجد المرء في مخيم برج الشمالي في لبنان عائلتين أو ثلاث من لوبية كل مائة متر تقريباً. زرت المخيم أوائل العام 1999 من أجل إجراء بعض المقابلات، ولم يمض على وصولي وقت قصير حتى تجمع حولي شبان عرفوا بمجيئي مسبقاً وأرادوا مقابلتي بسبب البحث الذي أجراه. بدا البعض بأنه يعرفني شخصياً. كان قسم منهم قد شاهد الفيلم الوثائقي عن لوبية، "أرض الأجداد".

وحدث في مخيم برج الشمالي أن التقى بصاحب دكان اسمه محمد ذياب. كان محمد يملك دكاناً في لوبية أيضاً قبل التهجير، وأراني نسخة عن دفتر الديون القديم الذي مازال محتفظاً به على أمل أن يفي الدائرون ثمن بضاعة أخذوها قبل أكثر من خمسين عام. وعندما أريت نسخة من الدفتر للوبيين في دمشق لم يرق لهم الأمر وأنكروا الدين. لكن فايز الفواز (أبو ماجد)، من مخيم اليرموك، أصرَّ على فتح الملف. قال: "على هؤلاء الناس ألا ينسوا ماضيهم حين كانوا فقراء؛ عليهم الوفاء بالدين ولو بعد خمسين عاماً."

عرفت أبو ماجد راوياً مشوقاً منذ طفولتي في المخيم في لبنان. أذكر أنه جاء مرة من سوريا خفيةً ليسلم على عمِّي. قفز من فوق جدار المخيم تجنيباً لأعين رجال المخابرات، ففي ذلك الوقت كان منمنعاً على اللاجئين في سوريا ولبنان زيارة بعضهم البعض دون إذن مسبق من الأجهزة الأمنية. لم أزل منذ ذلك الحين مشوداً إلى حكايات أبو ماجد وأسلوبه في الإلقاء، وحين قابلته مجدداً لغرض هذا البحث سرد على مسامعي تاريخ القرية من جديد، بأنه لم يره من قبل. كان كأنما يردد نصاً محفوظاً في ذاكرته. عاد في روايته إلى الوراء مائتي عام فذكر السكان الأوائل ومن تلامهم والواقع القديمة في لوبية والجوار. تحدث مطولاً وحين نفذت أشرطة التسجيل الفارغة، قال: "إن كنت تعبت اليوم، أهلاً وسهلاً بك غداً". والمحصلة كانت أن سجلت أكثر من اثنين عشرة ساعة مع أبو ماجد على مدار أسبوعين كاملين لم أشعر خالها بأنه تذمر لحظة من تعب أو ملل. وقد حضر

اللقاءات أفراد من المخيم جاموا خصيصاً للاستماع بحديثه المشوق وأشعاره الحماسية وحكاياته المسلية عن حياة الناس في القرية.

وقائع لوبيبة للتاريخية:

ومما أدهشني في روايات أبو ماجد وغيره من المسندين، أنهم يسردون وقائع تاريخية معينة بحماس فريد كأنها جزء من تاريخهم الشخصي. كنت أشعر أحياناً أن الإنسان كلما عانى أكثر، كلما تمسك في البحث عن جذوره.

يأتي الليبيون على خمس حوادث ووقائع أساسية في تاريخ لوبيبة، هي: موقعة حطين عام 1187، والعلامة أبو بكر اللوباني، وموت حاكم دمشق سليمان باشا العظم عام 1743، وزحف نابليون إلى عكا عام 1799، دور خليل إبراهيم عزام الصاباطي اللوباني في الجيش العثماني في مقاومة غزو نابليون.

يرجع أقدم ذكر لأسم لوبيبة إلى فترة الحروب الصليبية، وإلى موقعة حطين الفاصلة تحديداً، والتي جرت في الرابع من حزيران عام 1187 وهزم فيها صلاح الدين الأيوبي القوات الصليبية. سميت المعركة على اسم جبل حطين، لكنها وقعت على أراضي لوبيبة. أقام صلاح الدين معسكراً في كفر سبت جنوب لوبيبة، ومن هناك أشرف على سير المعركة التي قال فيها المؤرخون العرب كما ورد لدى ابن الأثير: "من شاهد القتلى قال ما هناك أسير، ومن شاهد الأسرى قال ما هناك قتيل".^٥ ويقال أيضاً إن أرض الدامية في لوبيبة سميت كذلك بسبب الدماء التي صبّغت تربتها وقتئذ.^٦

وقد جاء في مذكرات أبو عصام ما يلي:

"في أرض لوبيبة من الشمال المسماة الرقوفة حصلت معركة حطين بين صلاح الدين والصلبيين. هذا ما جاء في كتاب تاريخ صلاح الدين مؤلفه هلال بن شداد قاضي صلاح الدين والذي رافقه في كل معاركه وهناك انتصر صلاح الدين على الصليبيين حيث كانت خيامه منصوبة بالقرن وجوشه إلى الجنوب حتى سهل لوبيبة. من هناك كان يدير المعركة وإلى الغرب من القرن منحدر ينزل إلى عيون حطين وقد وضع صلاح الدين حرساً في هذه الطريق تحمي وتنبع الصليبيين من الوصول إلى الماء حيث استولى هو على الماء فكان يسقي جيشه ومنع الصليبيين

⁵ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثاني: بيروت: دار الصدر، ١٩٧٩، ١، ص: ٥٣٢-٥٣٧.

⁶ الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني: دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ١، ص: ٤٠٨.

من الماء فماتوا عطشاً... قتل من قتل منهم وأسر الباقيون ومن جملتهم ملك القدس وأمراء الصليبيين ومن جملتهم أرنات (ورنو) حاكم الكارك الذي كان يقطع الطريق على الحج وكان قد أسر أخت صلاح الدين وقد أقسم صلاح الدين على أنه إذا وقع أرنات بيده سيقتله وكان أن وقع أسيراً مع جملة الأسرى، وقد شرب ماء كما فعل الباقيون ولكنه لم يغفو عنه بل قتله أيفاءً ليمته وعفا عن الآخرين.^٧

أما أبو بكر عبد الرحمن ابن الرحيل منصور اللوباني فقد اشتهر كفقيه ومفتى وكان مدرساً للفقه والعلوم الإسلامية في دمشق في القرن الخامس عشر.^٨

وكان سليمان باشا العظم والي دمشق في القرن الثامن عشر، وقد توفي في الرابع والعشرين من شهر آب عام ١٧٤٣ في طريقه إلى دير حنا لضرب ظاهر العمر. كان العمر قد تمرد على الحكومة العثمانية ورفض تأدية الضرائب إلى دمشق وبسط نفوذه على المنطقة بأكملها من عكا إلى حifa ويافا جنوباً، ومن شفاعمرو وصفورية إلى لوبيه وطبريا وعجلون شرقاً.

عرف العمر بلقب "أمير الجليل"^٩، واعتبره بعض المؤرخين أول فلسطيني حاول إقامة كيان فلسطيني مستقل عن العثمانيين. أحمد باشا الجزار (١٧٢٢-١٨٠٤) الذي كان قد خلف ظاهر العمر نجح في الصمود أمام حصار نابليون لعكا، وقد آزره في ذلك البريطانيون، لكن جيش نابليون نجح في احتلال الناصرة وصفد. وكانت القوات العثمانية القادمة من دمشق قد سيطرت على طبريا ولوبيه، لكنها هزمت بجوار جبل طابور جنوب غربي لوبيه. وفي زحفه من منطقة لوبيه إلى عكا قام جيش نابليون بحرق العديد من القرى، لكنه فشل في إخضاع الجزار في عكا بعد تسع هجمات متالية، فأمر نابليون جنوده بفك الحصار عن المدينة وبالانسحاب إلى مصر. كان عزو نابليون بونابرت لمصر وسوريا في الأعوام ١٨٠١-١٧٩٨ بداية لقرن من الصراع بين القوى الصناعية حديثة

^٧ م

محمد عبد الغني حسن، ترافق وسير، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٥٥.

^٨ نفس المصدر، ص. ٨٣٤، اقتباساً عن الشيخ أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية، تحقيق أحمد عزة العربي، القاهرة: الجمعية المصرية التاريخية، لجنة البيان العربي، ١٩٥٩، ص.ص. ٤٢-٤٧. انظر كذلك: موسى لوبيه (تحقيق، تبويب، وشرح)، ظاهر العصر وحكم جبل نابلس ١١٨٥-١١٨٧هـ/١٧٧١-١٧٧٣م، مخطوطة بقلم إبراهيم الدنفي السامراني [ت. ١٧٩٠]. نابلس: جامعة النجاح، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، ١٩٨٦. ص. ١٩. مقتبس في: كي لا ننسى، مصدر سابق الذكر، ص. ٥٢٧.

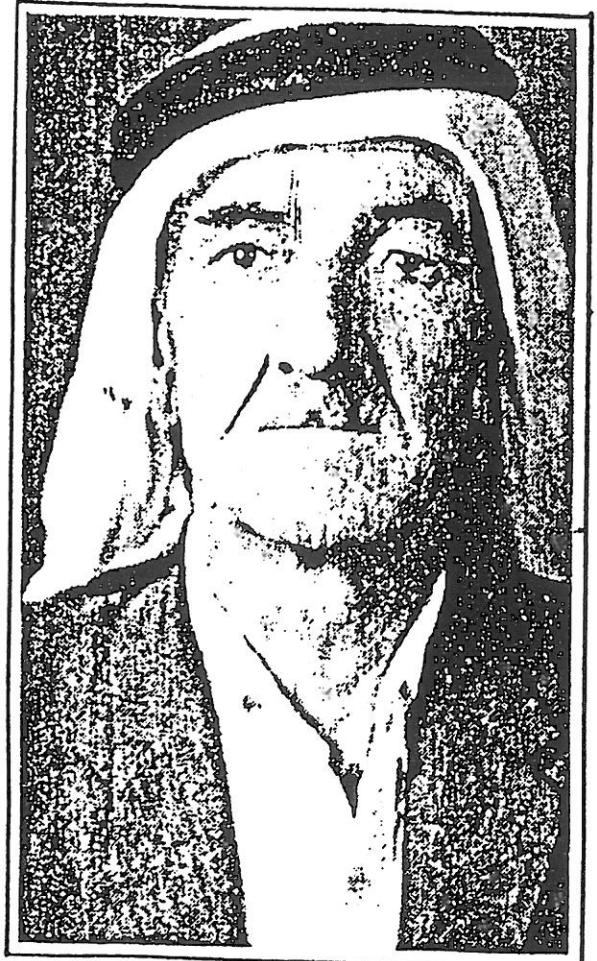
النشوء في أوروبا، وخاصة الفرنسيين والبريطانيين، على النفوذ في الشرق الأوسط.^١

كان خليل ابراهيم عزام من لوبيه ضابطاً رفيع المستوى في جيش الجزار، وهو من أقارب أبو عصام، من عائلة الشناشرة. يذكر أبو عصام ما يلي في مذكراته عن النزاعات الداخلية بين قوات الجزار:

"اشتهرت عائلة الشناشرة بنفوذها في المنطقة حيث كان خليل ابراهيم العزام قائد المدفعية عند أحمد باشا الجزار وله مواقف في حروب الجزار مع نابلس وآخرين وقع اختلاف بينه وبين الجزار بسبب اعتقال الأخير لوالده ابراهيم العزام حيث فرض عليه دفع مبلغاً من المال فلم يقبل ابراهيم العزام دفع المبلغ فأعتقله وكان في سجن الجزار في ذلك الوقت الأمير يوسف الشهاب حاكم لبنان وكان أن أدخل الطعام إلى ابراهيم العزام فوجدوا داخل الخبز ورقة فيها رموز مصطلح عليها بين الأب وابنه فحلوها جماعة الجزار واستنجدوا على أن هناك وعداً بإطلاق سراح والده والأمير يوسف فحاول الجزار أن يلقي القبض على خليل ولكنه هرب مع فرقة من الجيش فوقعت معركة بينه وبين الجزار حيث هاجم الجزار لوبيه وهدمها. وقد أخبرني بعض من كان موجوداً في ذلك الوقت من الرجال المسنين أن المخابرات بينهم أي سكان لوبيه كانت بلغة الطيور والحيوانات."



Mukhtar Khalil Abd al-Kadir, on the left,
with his friends in the thirties.



Ahmad Okla,
one of the leaders in the 1936-1939 revolution.



Mukhtar Hassan Abu Duhais, with his family, in the forties.



Abu Isam, on the right, with teachers from other villages, in Lubya, in the thirties.



Abu Isam visiting Baalbeck, Lebanon, in the thirties.



بنادق العرسان الليبيون وفرق وفنت أماكن امداداته - خطوات



جاهرون لوطيون

Original pictures from Lubya: the sons of Mucktar Abu Dhais, a group of Lubyans with rifles.
Two women: Zarifa Hajjo & Nasra Shihabi



A view of the threshing floor in Lubya before its demolition
Abu Khalid, Um Khalid and Khalid in Bourj al-Barajni looking at Lubya's photo



الفصل الثاني

الحمائل والشيوخ والمخاتير

"تصنع العائلات آباءها وأبناءها وتعطى لكل فرد قصة وشخصية ومصيرًا وحتى لغة."
(إدوارد سعيد)

يوسف عوض أبو دهيس (أبو بسام)^{١٠} هو أحد اللوبيين المقيميناليوم في مخيم حمص لللاجئين^{١١} في سوريا. قابلته أول مرة في دمشق وكان يعمل جاهداً على إتمام كتابه عن لوبيّة^{١٢}. ثم زرته بعد أيام معدودة في منزله في المخيم وكان قد فرغ لتوه من العمل على الكتاب، فقابلني بحماس لا يقل عن حماسه لعمله. خصص أبو بسام ثلث كتابه للحملاء المختلفة في لوبيّة وأماكن تواجدهااليوم، مما أعطى صورة للعلاقات الاجتماعية في القرية من منظور نمط الحياة العائلي الأبوّي.

عندما زرت مكتبة أبو سامح في مخيم البرموك فوجئت بوجود سلالة عائلية تحوي أسمى وأسم أخي وتُرجع نسب العائلة إلى الحسن والحسين، أبناء علي بن أبي طالب. من الصعب بالطبع التأكد من دقة هذه الأنساب، وكذلك من مدى تأثيرها في اللاّـوعي الجماعي، من دون مزيد من البحث. لكن المهم في الأمر هو أنّ أبو سامح، بفضل جهوده هذه، تلقى دعوة إلى إيران كأحد المنتسبين إلى سلالة الرسول. ويرى البعض، مثل أبو محمد الكيلاني^{١٣} (لهو من المسنين القلائل الذين ظلوا في إسرائيل بعد عام ١٩٤٨ ليس بعيداً عن بلد़هم الأصلي لوبيّة)، أن معرفة الأنساب مهمة من أجل أن يتعرّف الجيل الجديد على أصله وألا ينسى أهله وأعمامه.

أقدم عائلات لوبيّة في الذكرة:

^{١٠} يوسف عوض أبو دهيس (أبو بسام) من مواليد العام ١٩٢٨. أجريت مقابلة الأولى معه بتاريخ ١٠ شباط/فبراير ١٩٩٨، في مخيم حمص لللاجئين بسوريا.

^{١١} يقع مخيم حمص داخل المدينة، ١٦٠ كيلومتراً شمالاً من دمشق. أسس المخيم في العام ١٩٤٩. بلغ عدد سكانه ١٣,٧١٥ نسمة في ٣٠ حزيران ٢٠٠٣.

^{١٢} يوسف أبو دهيس، لوبيّة؛ الأرض والشعب. دمشق: دار المستقبل، ١٩٩٨.

^{١٣} أبو محمود الكيلاني من مواليد العام ١٩٣٢. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٥، في لوبيّة.

من أقدم المصادر المكتوبة التي تفيد عن عدد السكان في لوبيبة هو مسح ضرائب الأراضي العثماني من عام ١٥٩٦^{١٤} ، الذي يذكر لوبيبة كقرية في ناحية طبريا في لواء صفد وتعداد نفوسها ١١٧٠١،١١٧ وتم تقدير عدد سكان القرية بعد ذلك بحوالي ثلاثة عام ٢٧٣٠ نسمة.^{١٥} في الثلاثينات من القرن العشرين، زار إمام منطقة الحولة الشيخ شعبان سلمان لوبيبة وقدر عدد سكانها بثلاثة آلاف نسمة.^{١٦}

أجرت سلطات الانتداب خلال حقبة الحكم البريطاني في فلسطين (١٩٢٢-١٩٤٨)^{١٧} إحصاءين قطريين في عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٣١ ، فقدّر عدد سكان لوبيبة بـ ١،٧١٢ نسمة بموجب الأول وبـ ١،٨٥٠ نسمة بموجب الثاني. ثم عُدل الإحصاء الأخير سنويا حتى العام ١٩٤٦ ، وفتر عدد سكان لوبيبة حينه بـ ٢،٣٥٠ نسمة.^{١٨} وفيدي مصدر استخباري صهيوني أن عدد سكان لوبيبة وصل في العام ١٩٤٣-١٩٤٤ إلى ٢،٤٠٠ نسمة.^{١٩} ويقدر عدد سكان القرية في العام ١٩٤٨ بـ ٢،٧٢٦ نسمة.^{٢٠}

هناك اختلاف في ذكريات المسنين حول تاريخ العائلات الأولى التي سكنت القرية، لكن الجميع يتفقون حول العائلات التي عاشت فيها منذ بدايات القرن العشرين. وقد اتضح خلال البحث أن أبو ماجد من مخيّم اليرموك في سوريا هو أحد المراجع الأساسية عن تاريخ العائلات في لوبيبة خلال القرنين الماضيين. ومن المعروف عنه ذاكرته القوية ومقدرتها على سرد أحداث الماضي بدقة، مثلما سمعها من أهله.

قال أبو ماجد إن أولى العوائل التي توطنت في لوبيبة هي العجاينة. وأضاف: " كانوا أربعة إخوة، وكل واحد منهم داره وبابه". أبو ماجد هو ابن هذه العائلة ويرجع نسبه إلى ثمانية آجداد، هم: صباح، عمر، ناصر، علي، حسين، محارب، فواز، فايز. قال: "صبح أول من جاء إلى لوبيبة... وكانت خلاء".

^{١٤} عبد الكريم رافق، "فلسطين في العهد العثماني، من القرن التاسع عشر حتى ١٩١٨" في الموسوعة الفلسطينية. المجلد الثاني، مصدر سابق الذكر، ص.ص. ٩٧٦-٨٥٠.

^{١٥}

نفس المصدر.

^{١٦} تقرير مقدم من شعبان وناصر الخالدي إلى القيادة الإسلامية في القدس. رسالة إلى قسم إحياء التراث الإسلامي، بتاريخ ٢٦ آب/أغسطس ١٩٣٦ . [يوجد نسخة محفوظة لدى المؤلف]

^{١٧} منحت حصبة الأمم بريطانيا العظمى في العام ١٩٢٢ انتدابا على فلسطين، لتدير شؤونها حتى يصبح سكانها مؤهلين للحكم الذاتي بنظرها. وقد وضعت فلسطين تحت "فترة الانتداب" الأقرب إلى وضعية الاستقلال. يمكن الاطلاع على وثيقة الانتداب على موقع نظام المعلومات الخاص التابع للأمم المتحدة (UNISPALE):

www.un.org/Depts/dpa/docs/unispal.html. وفي أوائل العام ١٩٤٧ أغيرت بريطانيا العظمى الأمم المتحدة بنيتها على الانسحاب من فلسطين، وتم الانسحاب في أيار ١٩٤٨.

^{١٨} Survey of Palestine. London: Her Majesty's Stationery Office, Reprinted in Full by the Institute of Palestine Studies, 1991. انظر كذلك: Justine McCarthy, *The Population of Palestine, Population Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate*. New York: Columbia University Press, 1990.

^{١٩} انظر: لوبيبا (قضاء طبريا) ١٩٤٤-١٩٣٤ جـالعبرية، أرشيف الهاغاناه File No. 105/222 [نسخة محفوظة مع المؤلف]. يذكر التقرير أن ٤٨٠ شخص من مجموع السكان هم رجال تتراوح أعمارهم بين ١٨-٤٨ عاماً.

^{٢٠} أبو ستة، مصدر سابق الذكر، ص. ٥٣-٥٢.

إذا جمعنا فارق ٣٠ عاماً بين الجد والجد نصل، بحسب معلومات أبو ماجد، إلى تقدير
فترة التوطن في القرية بمائتين وأربعين عاماً.

أما العائلة الثانية التي قدمت إلى لوبيبة، حسب رواية أبو ماجد، فهي الشناشرة، وقد جاءت من قرية صغيرة في سوريا اسمها خربة غزالة: "كان الناس يتأذرون لحماية أنفسهم من غزو البدو، وكان الفلاحون يدفعون الخاوية للبدو لأجل أن يتركوه بأمان". وكانت لوبيبة تدفع الخاوية لقبيلةبني عزام في شرق الأردن." وقد استمرت بعض هذه العادات حتى زمن ليس بعيداً.

يخصص أبو عصام نصف مذكراته تقريباً لأصول العائلات التي سكنت لوبيبة، وينظرها جميعاً بالتفصيل. يبدأ بعائلته، الشناشرة، فيقول: "أول من سكنها أخوان جاءوا من قرية كفر اللبن قضاء طولكرم من بيت العبودي نسبة إلى بيت عبود وهما شنشير ومامضي فيما أول من سكن القرية وعمرها وازداد عدد سكانها فكان أبناء شنشير يسكنون القسم الشرقي من التلا **(كذا في المصدر)**، وأبناء ماضي يسكنون القسم الغربي منها وكان بين العائلتين جامع بناء أحد أبناء الماضي، فكان حاجزاً بين الطرفين."

"ومع طول الوقت كثر عدد القرية فوقع بين العائلتين اختلفاً أدى إلى معركة حامية كانت الغلبة فيها لأبناء شنشير على أبناء ماضي فقتل من قتل وفر الباقون إلى القرى المجاورة فسكن بعضهم في صفورية قضاء الناصرة ويسمون بدار أبو حيط ومنهم عائلة العباس والتوبة كانوا من الملوك الكبار في القرية لهم أرض زراعية وكروم وبساتين."

"وهناك من آل الماضي قسماً سكن قرية المجيدل ويسمون اللوبيبين نسبة إلى لوبيبة كانوا أصحاب أملاك ومكانة مرموقة في بلدتهم."

"ومن آل الماضي من سكن في الجاعونة المسماة اليوم روشنين [روش بپنا] يدعون العマイرة وهم أيضاً نزحوا إلى سوريا. وهناك قسماً منهم نزح إلى بيت فوريك الواقعة شرقى نابلس ومنهم عائلة جبر والبعض منهم سكن نابلس. وهنالك قسماً منهم يسكن قرية حمامه قضاء القدس ويسمون بعائلة الحردانين أي الزعلانين. وقسم منهم نزح إلى قرية إجزم الواقعة على ساحل البحر جنوب حيفا وبقوا محافظين على اسم **ماضي**".

مازال منزل الماضي قائماً في إجزم حتى يومنا هذا، وكذلك المسجد والمدرسة. يقول أبو عصام: "كان قسماً منهم [أي عائلة الماضي] يسكن قرية الطنطورة وهي مبناء على البحر قرب قيسارية وعثنيت وقد اشتهروا بفطنتهم وثقافتهم فمنهم المحامون". انتقلوا جميعاً إلى لبنان بعد العام ١٩٤٨

تقع الطنطورة 35 كيلومتراً جنوب حيفا وقد ارتكبت فيها القوات الإسرائيلية مجزرة كبيرة ضد المدنيين بعد إعلان قيام إسرائيل في 22 و 23 أيار 1948، راح ضحيتها ما يقارب مائتي مدني فلسطيني.^{٢١}

وقد صارت البعض يعرفون كنابة ببلدهم الأصلي لوبية بعد النكبة. عيسى اللوباني^{٢٢} هو مثل على ذلك. كان عيسى شاعراً وأديباً وناشطاً سياسياً في صفوف الحزب الشيوعي يعيش في الناصرة. زرته في العام 1995^{٢٣} وكان مريضاً لا يقوى على مغادرة الفراش. بكى حين استذكر الأحداث المأساوية ومقتل أخيه بعد عام 1948، لكنه استجمع قواه في نهاية المقابلة.

قال عيسى: "لدت في المجيد، وكذلك أبي، ولد في المجيد سنة ١٨٨٤. وبحسب معلوماتي هاجرت العائلة من لوبية منذ القدم، وكان المختار هنا. سمعت قصة أجدادنا من أختي فهيمة النجار التي ولدت سنة ١٩٢٥. قالت لي جاء سبعة أخوة قبل مائتي عام إلى لوبية من مكان ما في الضفة الغربية. سكن ثلاثة منهم في المجيد، ولا نعرف مصير الباقيين. لكن من المؤكد أن أصلنا من لوبية، ولذلك أطلقوا علينا كنية لوابنة. لاحقاً، سجلنا اسم العائلة لوباني".

بعد عدة أيام على إجراء اللقاء اتصلت معي منوى الزعبي، زوجة عيسى، وخبرتني أن زوجها تعافي إنما المقابلة وغادر الفراش لأول مرة منذ أشهر. لا شك أن لروايات الماضي تأثير ليس على هوية المرأة فحسب، بل على نفسها أيضاً. لاحقاً، اتصل عيسى معى بالهاتف إلى كوبنهاغن على أمل أن أساعده في العثور على ناشر لرواياته.^{٢٤} وفي العام 1999 توفي عيسى دون أن يتمنى له رؤية جميع أعماله منشورة.

²¹ جور غين بيرسون، عرس في رام الله [بالديماركيّة]. كوبنهاغن: غالندال، ٢٠٠٣، ص. ٨٢. يقتبس بيعينين من شرطة التسجيل لمقابلة الباحث الإسرائيلي تيدي كاتس مع مورداً خاصاً سوكور الذي يقدر عدد القتلى بـ ٢٣٠. يقول كاتس في بحثه (الذى أثار ضجة إعلامية ثم سحبته الجامعة على خلفية دعوى التشهير التي رفعها الجنود السابقون ضد كاتس) إن لواء الكسندرוני كان مسؤولاً عن المجزرة. انظر شهادات عيان عن مجزرة الطنطورة من إعداد مصطفى الوالي: "شهود عيان يروون أحداث مجزرة الطنطورة"، في مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤٣، صيف ٢٠٠٠، ٢٠٠. وكذلك في نفس العدد: الياس شوفاني، "المجزرة الطنطورة في السياق التاريخي لتهويد فلسطين"، يتناول فيها السياق التاريخي للحدث ضمن سلسلة الأعمال الإراديّة الصهيونية الرامية لتهجير السكان العرب الفلسطينيين، وكذلك يتناول فيها أطروحة كاتس التي تتضمن الرواية الإسرائيليّة الرسمية. انظر بالإنكليزية حول نفس الموضوع: Ilan Pappe, "The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial," *Journal of Palestine Studies* 3 (Spring 2001) pp. 19-39.

المجزرة، وقد نشر هذا الكتاب قبل أربع سنوات على بحث تيدي كاتس. يعني محمود، الطنطورة، دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨.

²² عيسى اللوباني من مواليد العام ١٩٢١. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٩ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥ في الناصرة.

²³ يبلغ عدد أعمال عيسى الجاهزة للطبع ١٥ عملاً، منها التالية: عرس الدم؛ ثالثة بعنوان السقوط، الفلق، ووجع القلب؛ وثلاثة أخرى بعنوان: يعانون على حد الموس.

أخبرني طاهر محمد حسين (أبو طلعت)^{٢٤}، وكان مختار اللوبين في الأردن حتى وفاته عام 2000، أن فروعاً أخرى من العائلة تدعى لوباني تعيش اليوم في قريتي حواره وسال في الأردن. ويعرف أبو طلعت وزوجته أم طلعت، جميع العائلات اللوبية في سوريا والأردن. قال: "يحمل ناس في حواره اسم لوباني لأن أحدهم انتقل إلى لوبية مع زوجته الحامل. وعندما توفيت أطلق على الولد اسم لوباني. الجد الأصلي لعائلة لوباني كان من الأردن".

"يوجد اليوم ثلاثة آلاف لوباني إما بالأصل أو بالنسبة، منتشرين في الأردن. جاءوا بالأساس من عجلون، على إثر خلاف أخوة. انتقل قسم منهم إلى لوبية، وهم العجاينة، والأسم تحريف لعجلاني، من عجلون. وبقي قسم آخر في صماد في منطقة عجلون ويحملون اسم صمادي".

العائلات :

يعود تنظيم القضاء الاجتماعي بموجب النظام العائلي والقبلي إلى عقود طويلة.^{٢٥} الحمولة هي مجموعة من الناس تجمعهم رابطة تقوم على الاتفاق المتبادل وليس بالضرورة على رابطة الدم. قبيلتنا الحمزات والعجاينة اللتان تشكلان حمولة واحدة رغم أنها لا تتحدران من نفس الأصل، مما مثل جيد على ذلك. وكذلك الحال مع قبائل العثمانة والعصافرة والزعاترة؛ فجميعهم أعضاء في حمولة العطوات رغم أصولهم المختلفة. يقول أبو سام من حمص، وقد تحدث مطولاً عن معنى الحمولة، إنه لم تكن في لوبية قبائل تجمع بينها روابط دم مثلاً هو الحال عند العشائر.

وتعبر هذه الروابط الاجتماعية عن علاقات تضامن وتكافل، إذ يتعاون أعضاء الحمولة فيما بينهم في جلب المحاصيل من الحقل وما شابه، ويتحملون مسؤولية جماعية في حالات القتل أو التعرض للأذى.

ومن المعروف أن الولايات العائلية والقبيلية لم تتدثر مع بروز وانتشار الإسلام في القرن السابع عشر، بل اشتبت مع الولاء الأعم للامة الإسلامية المتكونة. وما زالت هذه

²⁴ طاهر محمود حسين (أبو طلعت) من مواليد العام ١٩١٤. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١ نيسان/أبريل ١٩٩٦، في إربد، الأردن.

²⁵ يتحدث ابن خلدون عن مفهوم العصبية، ويقول الباحث المعاصر إيكمان إن العصبية أو "مشاعر الانتماء للمجموعة لا تحتاج إلى علاقات الدم، بل إن مشاعر التضامن تكون سابقة لأي نوع آخر من الروابط". انظر: Dale F. Eickelman, *The Middle East, An Anthropological Approach*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1989, pp. 24-25.

الولاءات فاعلة بأشكال مختلفة في مناطق عديدة، خاصة كأدلة لاضفاء الشرعية على العلاقات السياسية. في فلسطين عشية النكبة، على سبيل المثال، كانت هذه النظم سائدة في جميع المناطق الريفية.

ظل أبو محمد الكيلاني مهاجراً عن أرضه داخل إسرائيل، وقد روى لي حين قابلته في العام 1995 عن شبكات العلاقات الاجتماعية في القرية. كان يجلس على أنقاض منزله في لوبيه. قال: "لوبيه شبكة، الكل ماخذين ومنطرين. الحمایل كلها شبكة. دار حسن العيسى كنتم ملakin وفلاحين. لنا ثمان دونمات بين كرومكم اسمها كرم الشيخ صالح. كرومكم من كرمنا للغرب والشمال. كرومكم مسيرة صبر وتين".

"كان في البلد ثمان حمایل: الشهابية، العطوات، العجاینة، سملوت، الفقراء، الكفارنة، الحجاجة، والشناشرة. دار على ياسين الكفري من كفرا، ودار حجو من بلد اسمها في قضاء الخليل، ودار صمادي من بلد اسمها صما في بلاد حوران".

تُعطي مذكرات [يوحيم](#) صورة أكثر تفصيلاً عن كل حمولة وأعضائها، وتذكر الحمائل التالية: الشناشرة، العطوات، الكفارنة (حجو)، سملوت، الكرزاني، الكيلاني، الرفاعية. وقد انتشر أفراد من هذه العائلات في قرى بجوار لوبيه كما في فلسطين عموماً، وكان يحدث ذلك إثر خلافات عائلية.

لقد انحدرت عائلة الشناشرة، بحسب مذكرات أبو عصام، "من أبناء رشدان وهم من نسل صالح. وهناك عيسى الرشدان خلف محمد الرشدان وهو أيضاً نزح إلى سوريا وكانوا يشتغلون بالتجارة. وهناك أولاد الحاج قاسم وهو أيضاً من أولاد الحاج صالح ونزحوا أيضاً إلى سوريا، وهناك أولاد ياسين نزحوا أيضاً إلى سوريا، وهناك آل غيث من نسل عزام، نزحوا إلى لبنان... وقد اشتهرت عائلة الشناشرة ببنوذها في المنطقة كلها".

"اشتهر الشهابية بأنهم كانوا رجال حرب. هم من لبنان من أتباع الأمير يوسف الشهابي الذي حارب الجزار ولكن الجزار غلبه وأسره. حكم الجزار على الأمير يوسف بالإعدام وأعدمه، وأصدر حكم بالإعدام على خليل الإبراهيم ووالده وكذلك على علي الأحمد من العجاینة في لوبيه، ولكنه عفى عن إبراهيم العزام وابنه خليل لتدخل الأصحاب ولكنه نفذ حكم الإعدام في علي الأحمد شنقاً في سوق الاثنين في الناصرة. وأما بنو شهاب فسكنوا أرض كفر كما التي لم تكن مسكونة في ذلك الوقت [لاحقاً استوطنها الشركس]. وبقوا هناك حتى زمن عبد القادر الخليل الذي أحضرهم إلى لوبيه وأعطاهم أرضاً.

"العطوات كانوا ثلث عيل وهم العثمانى والزعانى والعصافري والسملوت، ويقال أن هؤلاء أصلهم من مصر من بلد سما اللوط، العجانية يسمون الصمانية من قبيلة الصمانية في شرق الأردن، وحجو اسمهم أيضاً كفارنى، ومنهم العايدى والكرزون، الرفاعية كانوا يسمون القراء أو الدراويس أصحاب طريقة وكان لهم زاوية يجتمعون بها، الكيلانية أو الزيتية أيضاً أصحاب طريقة."

"وقد نزح آل ياسين والحمزات من العجانية في زمن تركيا إلى طبرية والأردن ومن الشناشرة شريف منصور إلى حيفا والذي خلف محمد شريف وأحمد شريف والذين أشتعلوا بالتجارة، وكان محمد شريف كم أكبر تجار الحبوب في حيفا ومن أصحاب العمارات الضخمة وكان غنياً وصاحب مركز في المدينة وله قيمة واعتبار، وخلف الأديب والحسن اللذين تعلما في جامعة بيروت واخذوا شهادات راية وعرضة عليهم الوظائف فرفضوها حيث كانوا يعملون في التجارة مع أيام."

تقول مذكرات أبو عصام أيضاً: "كان يسكن في لوبيه أناس غرباء كثيرون مثل دار الطوزي جاءوا من طلوزاً قضاء نابلس في زمن تركيا واستوطنوا في القرية، ثم أولاد شرفان مصطفى ومحمد وعبد الرحمن وهم من سيلت الظهر، وآل شاهين وقد جاءوا من عرابة البطوف، وهناك عائلات من لفراً للبد قضاء نابلس، وعائلة الجمل من غزة، ودار الجليلة من عرابة نابلس وغيرهم".

ويقول سميح جوهر الشهابي²⁶ من مخيم اليرموك إن "الشهابية بالأساس من بنى مخزوم من عشيرة بنى شيئاً شاركوا في حوادث بلاد الشام في عهد محمود الدين الزنكي، طلب الزنكي من الأمير منقذ الشهابي أن يحمس السواحل اللبنانية ضد غزوات الصليبيين، وبعد المعركة منح الزنكي الأمير منقذ المنطقة الواقعة بين حاصبياً وقلعة الشقيف وصفد، تحالف الشهابيون مع آل جنبلاط وأرسلان ضد المعنين، وانتصر الشهابيون في معركة عين دارة في العام ١٤٤٩ بقيادة الأمير حيدر".

" جاء بعده الأمير يوسف واعتنى ببشر الشهابي الذي كان طفلاً، بشير غير دينه وقتل عمه وساد على الشهابية، بعد موته يوسف هاجر أباوه من حاصبياً إلى لوبيه بقيادة الأمير قاسم والأمير حيدر، قاسم بقي في لوبيه بينما انتقل حيدر إلى مصر واستقر في قرية تدعى [] في منطقة السويس، اللويبيون الذين بقوا في لوبيه حتى العام ١٩٤٨ من سلالة قاسم".

²⁶ أجريت مقابلة مع سميح جوهر الشهابي في العام ١٩٩٥، في مخيم اليرموك للاجئين بدمشق.

"حافظ الشهابيون في لوبية على علاقات وطيدة بأمراء الجوار، مثل الأمير سعيد الجزائرى ابن عبد القادر الجزائري، والزعيم السوري أحمد مرعيد من الجولان الذى زار لوبية عدة مرات، وكامل بك الأسعد، وسلطان باشا الأطرش. في العام ١٩٢٥ خلا الحك الاستعماري الفرنسي في سوريا، طلب سلطان الأطرش من لوبية تقديم العون له في ثورته ضد الفرنسيين، فقاموا له ٣٥٠ جملًا محملًا بالحبوب والفاصلوا."

سلطان الأطرش كان زعيماً درزيًا سورياً مشهوراً حارب الفرنسيين بشدة فيما يعرف بالثورة السورية الكبرى التي قادها بين الأعوام ١٩٢٥-١٩٢٦. أحمد مرعيد من جباثاً الخشب في الجولان شارك في الثورة وقد حملت ضد الفرنسيين بعد لجوء الأطرش إلى الأزرق عام ١٩٢٦، واستشهد في نفس العام. سكان الجولان المحتل الدروز أقاموا نصباً تذكارياً يدعى "المسيرة" في مجلد شمس عام ١٩٨٧، يحوري شخص سلطان في مركزه، بالإضافة إلى شخصيات أخرى مجردة تعبير عن شرائح اجتماعية وأجيال مختلفة. يتضمن "المسيرة" بمجمله فكرة استمرار إرث المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في مسيرة نضال يتبلور فيها مجتمع الأمة الوطنية العبيطة.

ذكر أبو ماجد معلومات أكثر عن عائلة حمزات التي كانت فرعاً من حمولة العجاینة المقيمة في الأردن اليوم. قال: "حمزة آغا هو من العجاینة. كانوا أربعة أخوة كبار، وهو أحد اخاذهم، فسموهم حمزات. أحفاده اليوم في الأردن واسمهم حمزات. كان حمزة آغا مواليًا للأترار وكان مسؤولاً مع ابنه ياسين عن عكا. قاوموا إبراهيم باشا فلاحقهم حتى خرجوا من المنطقة. قبل خروجه ترك حمزة بناهه وابن له صغير اسمه اسماعيل في لوبية مع دار العجاینة. وخلال ترحاله مرض له ابن آخر وهو في دمشق فتركه عند مختار كفر حارب في الجولان. وعندما قبض إبراهيم باشا على الولد قال له: وين أبوك؟ قال الولد: أنت أبوي... حن قلبه، ووداه على مصر. بقي في مصر بدار إبراهيم باشا عشر سنوات".

لا تشمل هذه المعلومات جميع اللوبين نظراً لصعوبة الاتصال بهم في البلدان الثلاثة والعشرين التي يعيشون فيها اليوم:
(انظر الملحق الأول : العائلات كما يذكرها اللوبيون)

تحفظ أرشيف إسرائيلية عديدة وثائق عن البنية العائلية في لوبية، وهي عبارة عن تقارير

مخابراتية جمعتها الوكالة اليهودية والهاغاناه - المليشيا الأساسية للیشوف في فلسطين.^{٢٧}
كان الغرض من جمع هذه المعلومات عن العديد من القرى والبلدات العربية الاستفادة منها
في عملية شراء الأراضي والاستيطان وكذلك في مخططات الترانسفير للسكان العرب
الفلسطينيين.^{٢٨}

ينظر ملف الهاغاناه عن لوبيه ست عائلات رئيسية، ويفيد بأن الشهابية جاءت من تل
شهاب في حوران وهي من العائلات الأولى التي توطنت في القرية، وكانت تملك ثلاثة
أخمس أراضي وأملاك القرية وتعتبر ذات إمكانيات مادية متوسطة. ووصف الملف
العطوات بأنهم ينحدرون من السكان الأصليين في القرية، بينما جاء الآخرون بالأصل من
قرية عبود في منطقة رام الله. كان العطوات يملكون ثلثي الأرضي وأوضاعهم المادية
جيدة، وت تكون حمولتهم من عائلتين الحجاجوة والشناشرة.

ينظر الملف أن "المعلومات عن العطوات تفيد بعدم وجود فساد بين أعضائها؛ إلا أنه ثمة
إشارات عن اقتل بين الحين والأخر والدليل على ذلك هو حقيقة أن هذه العائلات لا تتقن
في بعضها البعض." ويقدم الملف معلومات رقمية عن حجم كل حمولة بموجبها، الشهابية
والعطوات هما الأكبر وعدد أفراد كل واحدة منها قرابة خمسمائة شخص. تتلوهما
الشناشرة وعدد أعضائها ثلاثمائة، فالعجبينة والقراء وعدد كل منها مائتين، والعصافرة
والزعترة وعدد كل منها مائة وخمسين.

لقد ألم المنفى العديد من اللوبين على وضع خرائط لسلاماتهم العائلية، مثل أبو ولید في
دمشق وأبو محمد الكيلاني في إسرائيل وأبو رفعت الصمادي في الأردن. إلا أن العائلات
لم تحافظ جميعها على هذه التقاليد، كما انه من الصعب الاتصال بكل اللوبين في البلدان
الثلاثة والعشرين التي يعيشون فيها اليوم، ولذا لم تشمل السلالات العائلية المذكورة هنا
جميع اللوبين.

ثمة ما يثير الإعجاب في النماذج المتوفرة لدينا، إذ تعود سلالة العجيبة، مثلاً، كما
وضعها يوسف يوسف^{٢٩} (أبو ولید) بمساعدة معظم أعضاء حمولته، إلى القرن السابع
ميلادي. يبلغ طول المخطوطة الأصلية لهذه السلالة تسعة أمتار بعرض أربعين سنتيمتر.
وقد بادر ابن أبو ولید المهندس في نقلها إلى قطعة كبيرة من الورق على شكل شجرة

²⁷ لوبينا (قضاء طبريا) ١٩٣٤-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر (بالعبرية).

²⁸ لمزيد من التفاصيل والوثائق، انظر: Masalha, Nur. *The Politics Of Denial, Israel and the Palestinian Refugee Problem*. London: Pluto Press, 2003.

²⁹ يوسف يوسف (أبو ولید) من مواليد عام ١٩٣٨. وهو أخ ابو سامح الصمادي. اجريت مقابلة معه ومع ابراهيم الشهابي بتاريخ ١٣ تشرين أول /اكتوبر ١٩٩٨، في مخيم البرموك لللاجئين بدمشق.

عائلة. أما سلالة الشهابية فترجع نحو أربعة قرون إلى الوراء، وقد حفظها ابن سميح جوهر الشهابي عن أبيه وجده وبذل شهوراً عديدة في تحرير المخطوطة الأصلية.

(انظر الملحق الثاني : أشجار عائلية مختارة)

يوجد بالطبع من ينقد هذه التقاليد. أبو بسام مثلاً تأمل بالجيل الجديد من المتفقين أن يهجر عقلية القبيلة والعائلة ويركز بما يفيد مستقبله فقط. يشعر أبو بسام بأن هذه الظاهرة تتعارض بشكل ما مع انتفاء المرء إلى الوطن. قال :

" لا حاجة للكتابة عن بشير الشهابي وأصل العائلة. لا نفع من العودة مئات السنين للتحقق من الأصول . يقولون أن أصل عائلتنا يعود إلىبني هلال بن عامر بن سعفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معاد بن عدنان . هذا ما يذكره عارف العارف في كتابه قبائل بتر السبع . إلا أنني أشك في صحة هذا القول ، فقد ذكر المؤلف نفسه أن معلوماته ليست من مصدر أولى . الدجاج يختلف معه فيعيد العطوات إلى معاذ بن بكر بن وائل ربعمية بن نزار بن معاذ بن عدنان . أيهما الأصح؟ ليس بالإمكان الإجابة على هذا السؤال ."

إن ما يفسر موقف أبو بسام هذا هو انتماوه إلى جيل عاش نمطاً من العلاقات الاجتماعية تجاوزت نظام الحمولة ، وهو ما لم يجربه جيل أبو ماجد إبراهيم الشهابي وأبو وليد يوسف اليوسف .

الشيوخ والمخاتير :

كان الشيوخ والمخاتير رؤساء لمجتمعاتهم ووسائل مع السلطات ، إن كانت العثمانية أو البريطانية أو تلك التابعة للاستيطان اليهودي . والحصول على لقب الشيخ كان يستوجب على المرء أن يكون في علاقات طيبة مع أعضاء حمولته ومجتمعه الأوسع . كان لكل حارة شيخها ، ويطلق عليه لقب شيخ الحمولة ، ينبع عنها في السراء والضراء . قال أبو ماجد : " كل شيخ كانت مضافة أو منزلة للغريب والضيف إلى بيبي على تلحمولة . الشيخ له مشيخة على البنـت اللي تتزوج من غير حمولة خمس ليرات فلسطيني . وإذا تزوجت خارج البلد عشر ليرات . في قلب الحمولة ليس له مشيخة ."

وقال أبو ماجد عن الشيخ أبو أحمد (عليه الرحمة)، إنه كان يجلس في ساحة مقام أبو غازى شرقى البلدة ، و " يضع البرغل في القدر والناس مروحة من الحراث ، وينادي :

العيش يا جوعان، تفضلوا. الله يديم الشيخ علي الأحمد... كان مرجع يحل أي مشكلة ومحظ من الدولة العثمانية. وصل حكمه إلى صفد. عمل تكية في صفد. ولد وله بنت.

وإنه من محاسنه أنه كان ينزل أيام الربيع إلى المزروعات. كان يسجل في مذكرته أسماء الذين لم يعشبوا في الليل. فلان جبيوه. يرسل اثنين لجلبه إلى المضافة. يضربه بالكرجاج، ويقول له: جلد لقشره. لدى سماع أحد الحضور لهذه القصة اعترض على تسجيلها، فقلت له: على العكس، إنها قصة جيدة.

حسب الويبين الذين قابلتهم فإن أسماء آخر عشرة شيوخ في القرية هي كالتالي:

عجاينة: محمود حسين عيسى (أبو صالح)

كفارنة أو حجاجة: احمد سليمان حجو (أبو زكي)

سلوت: إبراهيم ذياب حдан (أبو ذياب)

عطوات: حسن أبو دهيس (أبو مصطفى)

عصافرة: يوسف موسى الذياب (أبو محمد)

زعاترة: حافظ عيسى محمود

شناشرة: خليل عبد القادر

الكيلانية والرفاعية: غريب أبو إسماعيل

عوايدة: نايف اليونس (أبو عبده)

الشهابي: لهم الشيخ فواز العلي و المختار يحيى السعيد

كان حصول المرء على لقب مختار يحتاج إلى موافقة السلطات، وكان المختارين مسؤولين عن العلاقات مع القرى المجاورة، بما يشمل علاقات التجارة وتقديم العون عند الحاجة. وعلى سبيل المثال، حضر مختارين من لوبيبة اجتماعاً رفيع المستوى مع الشيخ عز الدين القسام في العام 1935. وكان ابن المختار ينبع عن المختار في مسائل أقل أهمية.

كان المختار يلقب كذلك بالشيخ من قبل أبناء حمولته احتراماً، ويكون عادة أثري من باقي أفراد الحمولة. منحت المختارين علاقاتهم بالسلطات فرضاً أوسع للنشاطات التجارية. مصطفى أبو دهيس مثلاً، وهو ابن المختار حسن أبو دهيس، كانت له علاقات مع موظفين ورجال أعمال بريطانيين ويهود. عينه البريطانيون مسؤولاً عن شراء الخيل والطعام وكان شريكاً مع عائلتين يهوديتين بالتجارة في طبريا. ثم أصبحت هذه العلاقات مصدراً للخلاف في القرية.

كان منصب المختار ينتقل عادة من الأب إلى الابن. أبو طلعت مثلاً أصبح مختار اللوبين في اربد بعد وفاة والده. كان للمخاتير معاونين يلقبون بالنواطير، يشكلون حلقة الوصل بينهم وبين الناس. أخبرني أبو ماجد بعض القصص عن النواطير في لوبية: "كان شخصان يعملان عند المختار خليل العبد نواطير. كانوا يكسروا الشوارع بالشهرين مرة، ويوصلون أخبار الناس للمختار، بما عوض قطامش عبد الله أبو الشيخ... وحين يزور القرية طاقم طبي كانوا يدوروا في الشوارع بعد المغرب وينادوا: يا فلاحين، يا أهل البلد... نهار الإثنين بدو يجي الدكتور عند دار المختار. كانوا يطلعوا عن المختار ناس أجانب معهم أدوية كل ٤ أو ٥ أشهر. كانوا اثنين انكليزيات وواحدة عربية مسيحية، معهم إسعافات أولية، قطرة، دهون. الناطور يحمل الشنطة ويوصلهم، والناس تطلب منه دواء، فيقول لهم: إحنا الموظفين مش صاير لنا، تيعطوكوا انتو".

كان الناطور يجوب البلد وينادي على غرض ضائع أو بقرة تائهة: "يا سامعين الصوت، صلوا عالنبي، أولاك محمد، ثاني علي، يا مين شاف هاليقرة الضاغعة، واللي بيلقيها له حلوان. كذا".

"ذباب دندش أجا من بعلبك في لبنان، سكن المغار، وعمل ناطور في لوبية على زمن الأتراك. كان لما يجي الأتراك وراء شخص من أجل العسكرية كان يحذر ذباب بالغنا: وإن كنّك فرارٍ فر، وإن كنّك فرارٍ فر، على دلعونا على دلعونا. كان يختار أغنية معروفة ويغير فيها بعض العبارات ليفهم الشخص. وبعدها يكمل الأغنية كالمعتاد".

كان المختار يعين من خارج القرية حتى أوائل القرن التاسع عشر. يقول أبو ماجد "كانت لوبية توظف مختار من قرية حطين لمدة عام كل مرة. يجمع له الناس أجره بكل سرور لأنّه كان يجيد القراءة والكتابة. ثمّ قرروا الاستغناء عن خدماته لأنّه كان كلما تшاجر مع أحد يغادر القرية. اجتمع رجال العجاینة وقررروا جلب قريب لهم هو الشيخ علي أحمد الرُّحیل (أبو احمد) وهو أحد الأخوة الأربع الأوائل وكان يعيش في قرية الشونة. كان اللوبيون يبيتون عنده في الشونة في طريقهم إلى شرق الأردن".

"حوالي سنة ١٨١٠ جاء على أحمد الرُّحیل إلى لوبية. طلب من العجاینة أن يكون مع صلاحية تامة كشرط. قبل العجاینة وبنوا له مضافة كبيرة اسمها العقد تنسع لمائتي رجل. كانشيخ على لوبية كلها. كان الفلاحين يزرعوا له يوم كامل وقت الحصاد يحصلوا له".

وبحسب رواية أبو ماجد، قدم الرحيل العون لإبراهيم باشا ضد الأتراك بعد احتلاله الناصرة^{٣٠}. قال أبو ماجد: "هذا ما ذكر في تقرير عنه قدمه إلى العثمانيين شخص من قرية طرعان من عائلة العدوى، عندما انسحب إبراهيم باشا في العام 1848 أعدم الأتراك الرحيل وأبنه". ويدرك أبو سامح أن موت الرحيل كان في العام 1832/1833، وأن شخصاً من عائلة عبد الهادي نفذ حكم الإعدام.

وقال أبو ماجد: "بقيت للرحيل بنت واحدة، جاء عادم أبوها من بيت عبد الهادي يردد خطبتها، أنها رفضت، قالت: هذا عادم زوجي، ففرض على العجانية غرامة أو جزاء مبلغًا ضخماً وإلا يسوقهم إلى السجن، قامت أمراً على الأحمد جابت ذهبها وأعطته، وزوجت ابنته إلى ياسين الحمز العجانية وكان قائم مقام طبريا".

"بعد موت علي أحمد وأبنه، العجانية وضعوا شخص اسمه يونس العلي مختاراً للوبيبة كلها، وخلف يونس العلي قواطين وخليل العابد، وحين استقال خليل العابد من وظيفة المختار عين البريطانيون حسن أبو دهيس والد مصطفى دهيس، ومن ثم يحيى سعيد وسلامان عطيه".

عرف أبو محمد الكيلاني المختار حاج خليل، والد أبو عصام، شخصياً وكن له الاحترام الشديد وتحسر على الحياة البائسة التي عاشها الحاج: "تاريخ الحاج خليل عندي". بعد 1948 أقام عندي في عربة، وانتقل بعد أن أشتد مرضه للسكن عند ابنه في الناصرة، واجه مشاكل في البيت وعاد إلى عربة، سكن عند عمي الحاج احمد الشناشرة، وجدنا له منزلًا بجنب بيت عائلة ياسين، نقلناه إلى المستشفى، توفي بعد أسبوعين ودفنته البلدية بعد ثلاثة أيام، كان وجيه، كانت أهل فلسطين كلها كانت تحترمه كبار وصغار، "توفي وحيداً في المستشفى في العام 1952 عن عمر يناهز الخامسة والستين".

تنذر وثائق الهااغاناه ثلاثة مخاتير أساسيين في لوبيبة في 1943-1944^{٣١}. أحد هم هو خليل العابد من العطوات، يقول التقرير إنه كان مختاراً مسنًا عيشه البريطانيون وكان مقبولاً على سكان القرية، وإن شغل منصب رئيس المجلس المحلي في لوبيبة، المختار الثاني هو حسن أبو دهيس، عينته السلطات البريطانية أيضاً، وهو شخصية معروفة على نطاق واسع ومقبول جداً على السكان، تزوج مع ابنة سعيد أفندي من طبريا فأصبح له بسبب ذلك نفوذ في منطقة طبريا، أما المختار الثالث المذكور في وثائق الهااغاناه فهو

³⁰ يكتب المؤرخ الإسرائيلي إيلان بايه عن إبراهيم باشا أنه ترك "أقوى انطباع من بين محظي فلسطين، حكم البلاد باسم أبيه [محمد علي، والي مصر]، أدخل الإصلاحات الزراعية، ونظم جبائية الضرائب المركزية، وحمى طرق المواصلات وأدخل نظاماً تشريعياً أنصف في النخب المحلية". Ilan Pappe, *A History of Modern Palestine, One Land, Two Peoples*, Cambridge: Cambridge University Press, 2004, p. 3.

³¹ لوبيبا (قضاء طبريا) ١٩٤٤-١٩٤٣، مصدر سابقذكر بالعبرية.

يحيى سعيد من عائلة الشهابي، عُين من قبل البريطانيين أيضاً، وكانت تربطه بهم علاقات عمل جيدة.

يحتوي التقرير كذلك قائمة بأسماء مخاتير كل عائلة في لوبية: مخاتير الشهابية كانوا يحيى السعيد وفوزي العلي، مختار العطوات كان حسن أبو دهيس. للعطوات كان فرعان: الحاجوجة ومختارهم أبو أحمد سليمان والشناشرة ومختارهم حاج خليل العابد. كان مختار العجاینة محمود حسين، ومختار العصافرة يوسف الموسى، ومختار الزعاترة حافظ العيسى، ومختار القراء غريب المغاوش.³²

LUBYA

Dedicated by the Honourable Minister

Ronnie Kasrils
(Minister of Water Affairs and Forestry)

to the Palestinian village of LUBYA
Upon whose ridge a forest was built
where cows were permitted to graze
but the displaced occupants
are not allowed to return.

18/11/2003



الفصل الثالث

المشهد

ها أنا ما زالت حيّا كما ترى
لكني كرجل يحمل قطعة أجرٌ
ليري الناسَ كم كان بيته جميلاً
(برتولت بريشت)

ما زال اللاجئون يشعرون بالارتباط مع قطعة الأرض التي يسمونها لوبيبة، يحفظونها في ذكريات مستديمة. لقد دمرت القرية ومحيت في خارطة إسرائيل الحالية، لكن آثارها ما زالت قائمة في أنقاض بئر هنا وهيكل حقل هناك، في أشجار الزيتون والصبار وحاجارة القبور. ذكريات ذلك المشهد هي جزء من تكوين هوية المهاجرين اللوبييين، سواء كانوا بجوار لوبيبة أو بعيدين عنها في بلاد المهاجر الأوروبية والأمريكية.

كتب يوسف يوسف، المقيم حالياً في مخيم البرموك، عن لوبيبة بأسلوب شكسبيري يبعث النبض في الأزهار والأعشاب والأشجار والتلال ويضفي على المشهد خصائص عالم البشر والآلهة القيمة: "... كلما استماثلت الجرمق أو تذكرته بعد الهجرة، فإنه لا يحضر في وعي - حتى الساعة الراهنة - إلا كوثن بدائي ضخم مشبع بالألفة والاستعلاء المهيّب... وكثيراً ما تسائلت عن السبب الذي منع الوثنيين القدماء من عبادة الجبال السامقة التي هي أحق المرئيات بالتكريم... كنت دوماً [في صغرى] أعزى نفسي بأنني سوف أسلقه يوم أصبح شاباً."³³

وحين زار يوسف محمد عيسى³⁴ لوبيبة لأول مرة بعد ستة وأربعين عاماً في المنفى تذكر كل قطعة أرض وأراني وهو يتجول بين أنقاض البيوت، أماكن خمسة آبار مدمرة. وجد في البداية أربعة، ثم قام بالحفر بيده بضع سنتيمترات بحثاً عن الخامسة فوجدها. ذهلت

³³ يوسف سامي يوسف، "إفادة شاهد عيان: مذكريات قرية ١"، في مجلة الحرية، ١٩٨٨/٢١، ص. ٥١.

³⁴ يوسف محمد عيسى من مواليد العام ١٩٢٠. أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٥ كانون ثاني ليناير ١٩٩٥، في كوبنهاغن بالدنمارك.

لهذا الأمر ولمقدرته العجيبة على تنكر قطعة من الحجر مع مسمار حديدي صنعت غطاء للبئر. قال: "رغم كل ما فعلوه في هذه الأرض لن يمحوا ذاكرتي حتى ولو بعد مائة عام".

وخلال المقابلات التي أجريتها مع أبناء لوبية استذكروا ما مجموعه مائة وستة وعشرين قطعة أرض باسم، بالإضافة إلى ستة كهوف وتنعيم مقامات. تضفي هذه الذكريات الشخصية معان خاصة على كل قطعة أرض وتتيح إلقاء نظرة فريدة على حياتهم الاجتماعية على مدار قرون قبل المنفى في العام 1948.

أصول التسمية:

ثمة مراجع عديدة تذكر أصل تسمية لوبية. يقول المؤرخ العربي ابن القط، إن لوبية هي نوع من الحبوب إذا انتهت بالألف، واسم مدينة في مصر بين الاسكندرية وبرقة إذا انتهت بالباء المربوطة.^{٣٥} ويقول مؤرخ آخر، هو أبو الريحان البيروتي، إن لوبية اسم كان يطلق على البلاد الواقعه جنوب مصر في تقسيم الأغريق للارض إلى ثلاثة أجزاء هي مصر في الوسط،^{٣٦} و夷ورقى وأسيا.

ويقول الباحث إحسان حقي إن لوبية كلمة يونانية تعني "بلاد البيض"، وهي مناطق تقع اليوم في ليبيا شمال ما كان يعرف ببلاد السود (مثل إثيوبيا).^{٣٧} ويقول أحمد داود إن ليبيا اسم ابنة ملك صور.^{٣٨} المؤرخ الفلسطيني المعروف مصطفى الدباغ يقول إن لوبية اسم نبات وكذلك اسم مدينة اغريقية قديمة.^{٣٩} يذكر الدباغ مرجعاً تاريخياً بعنوان الضوء الامع يثبت العلاقة بين العلامة الشهير أبو بكر عبد الرحمن ابن الرحيل ابن منصور اللوباني وبين قرية لوبية.

ويقول أبو عصام في مذكراته إن كلمة لوبية جاءت من كلمة لبوا، وقد سميت كذلك لموقعها الممتد على ثلاثة تحيطها السهول كأنها قلعة حصينة. أما أبو ماجد فقال إن الاسم بالأصل هو الجدر (من جدير بالشيء)، وهذا ما نقله شفويًا كامل الهوين من قرية الشجرة عن الكاتب والشاعر والشيخ علي أحمد الشجراوي.

^{٣٥} ابن القط، مذكور في معجم البلدان لشهاب الدين الحموي الرومي البغدادي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء للتراجم العربية، لبنان، ١٣٧٦ هـ / ١٩٧٥، ص ٢٥٠.

^{٣٦} إحسان حتي، الجزائر العربية: أرض الكفاح المجيد، بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧١، ص ١٥، مذكور عند الشهابي، مصدر سابق للذكر، ص ١١.

^{٣٧} أحمد داود، العرب والسلميون واليهود وبنو إسرائيل واليهود، دمشق: دار المستقبل، ١٩٩١، ص ١٣، مذكور عند الشهابي، مصدر سابق للذكر، ص ١١.

^{٣٨} مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السادس، بيروت: جار الطبيعة، ١٩٦٥، ص ٤٢٤.

^{٣٩} نفس المصدر.

ابراهيم شهابي، وهو صاحب أول كراس عن لوبية نشر في العام ١٩٥٤^{٤٠}، قال لي إن الاسم ذكر ثلاث مرات في الجزء الثالث من كتاب الروضتين لأبو شامة المقدسي في القرن الثالث عشر. ويدرك اسم لوبية كذلك في قصيدة كتبت احتفاء بالانتصار على الصليبيين، تقول: "أما رأيتم فتوح القدسية في أكتاف لوبية تجلّى وذا همرو".

وتنذر مصادر يهودية تفسيرات أخرى لتسمية لوبية. يقول دليل إسرائيل الرسمي إن الاسم هو بلدة يهودية من الحقبة الرومانية البيزنطية وقد حفظه الاسم العربي.^{٤١} أما القاموس الأنثولوجي الشامل للغة العبرية فيزعم أن أصل الكلمة يعود إلى المصدر العربي لأن، ويعني أيضًا، وكذلك للكلمة العربية اللبن.^{٤٢}

بعد النكبة عام ١٩٤٨ اختفى الاسم لوبية من الملفات الإسرائيلية الرسمية وأقيمت على أراضي القرية مستوطنة يهودية جديدة باسم لافي. وهذه حالة واحدة من بين ما يقارب تسعة آلاف اسم لقرية ووادي وجبل وأماكن أخرى تم تحريفها إلى العبرية. ترافقت هذه العملية مع بلوحة مزاعم صهيونية حول ملكية المكان.^{٤٣} وبات جراء ذلك عدد قليل جداً من الإسرائيليين يعرفون الأسماء العربية الأصلية لقرى اللاجئين الفلسطينيين.

الموقع ومعالمه

تقع لوبية عشرة كيلومترات ونصف إلى الجنوب من مدينة طبريا على الطريق المؤدية إلى الناصرة. وقد بنيت القرية على تل ارتفاعه ٣٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر. كانت أراضيها تمتد في السهل شرقاً وتصل تل يدعى جبلة ارتفاعه ٢٩٤ متر فوق سطح البحر. كانت لوبية أكبر قرية في قضاء طبريا في حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين، وكانت تعتبر من القرى الكبيرة في فلسطين. في العام ١٩٤٦ كانت مساحة أراضيها ٣٩,٦٢٩ دونم، ومساحة القرية ذاتها ٢١٠ دونم.^{٤٤} وينظر ملف أعدته الجهات الصهيونية بهدف شراء الأرضي والاستيطان في فلسطين، أن مساحة أراضي القرية تبلغ إجمالاً ٢٢,٠٠٠.

^{٤٠} *The Official Guide to Israel*. Tel Aviv: The Ministry of Defence, Carta, Israel Maps and Publishing Co. Ltd., p. 287.

^{٤١} Ernest Klein، *Comprehensive Ethnological Dictionary of the Hebrew Language*. Jerusalem: Carta, 1987, p. 292.

^{٤٢} لمزيد من المعلومات عن عملية تغيير التسميات، انظر: مiron بنقشتى، المشهد المقدس، طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ عام ١٩٤٨، ترجمة د. سامي مسلم. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ٢٠٠١. تعود عملية عبرنة الأسماء إلى ما قبل قيام إسرائيل وهي الفترة التي يخصها بنقشتى في كتابه: بحوزة المؤلف نسخة عن وثيقة أرشيفية مكتوبة بالفرنسية تعود إلى الأربعينيات، تنصح بعدم استعمال كلمة "سرجونية" (اسم قطعة أرض في لوبية) كاسم لمقر جديد في مستوطنة حزاريم، لأن الاسم يعود لملك كان معاذ للإسرائيليين القديماً. انظر ملف 7591/15 في الأرشيف الصهيوني بالقدس.

^{٤٣} *Village Statistics 1945, A Classification of Land and Area Ownership in Palestine*. Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1970, pp. 72 and 172.

دونم، منها خمسة آلاف وصفت بأنها غير صالحة للاستغلال الزراعي. ويلاحظ التقرير أنه تم لاحقاً استصلاح وزراعة مائتي دونم من المساحة المذكورة.^{٤٤}

تقدّم كتابات الرحالة والمستكشفين الأجانب أوصافاً غنية وشروحًا عن المواقع التاريخية والدينية والأثرية في لوبيبة، لكنها لا تأتي على ذكر اللوابنة أنفسهم، إلا فيما ندر. ويقول المؤرخ إيلان پابه إن عدد الكتب ومحاضر الرحلات المنشورة عن فلسطين من قبل الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، يزيد عن ثلاثة آلاف، جميعها يرسم "صورة لأرض مختلفة تتقدّم على أيدي الأوروبيين".^{٤٥} لكن هذا السجل الاستشرافي يبقى بمجمله مصدراً مهماً للمعلومات، خاصة وأن اللوابنة أنفسهم لم يتركوا أثراً مكتوبة عن بلدتهم في تلك الفترة.

وصف الرحالة البريطاني ج. س. بكونغهام، الذي زار فلسطين في أوائل القرن التاسع عشر، لوبيبة بأنها قرية كبيرة تقع على تل مرتفع.^{٤٦} وذكر الرحالة السويسري جوهان لدوينج بركماردت نبات الأرضي شوكى البرى الذي يغطي سهول القرية. وكان بركماردت قد لقب بالشيخ إبراهيم نظراً للحبيبة الطويلة وطربوشة وملابس العرقية التي كان يرتديها خلال رحلته. يكتب:

"... من هناك يستمر الدرب بدرجٍ خفيف نحو أخفض منطقة تدعى أرض الحمى [والحمى] أوسع سهول القرية. تكتسي المنطقة كلها بأشواك المُرار. بدأنا ثانية بالصعود من الطرف الغربي لأرض الحمى، نحو قرية كفر سبت على بعد ساعتين ونصف من طبريا... يقع على بعد نصف ساعة نحو الشمال الشرقي في وادٍ عميق عين الذامي (تعرف عند اللوابنة بالدامية). هناك يمتد سهلٌ واسع إلى سفح جبل طور، رأينا خلال عبورنا فيه قرية لوبي على بعد ثلاثة أرباع الساعة تقريباً على يمين الطريق، وبعدها بقليل قرية الشجرة. كان السهل مكسوا بالأرضي شوكى البرى المعروف بالخب؛ [وهو] نباتاً يحمل زهرة أبيرة ليلكية اللون بشكل الخرشوف، على ساق طوله خمسة أقدام."^{٤٧}

يصف مسح غربي فلسطين Survey of Western Palestine لوبيبة بأنها قرية حجرية تقع على قمة تل صخري:

⁴⁴ لوبيبة (قضاء طبريا)، ١٩٣٤-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر (بالعبرية).

⁴⁵ Ilan Pappe, *supra* note 42, pp. 34-35.

⁴⁶ James Silk Buckingham, *Travel in Palestine*. London: Longman, Hurst, Rees, Orme and Brown, 1821, p. 491.

⁴⁷ John L. Burckhardt, *Travels in Syria and the Holy Land*. London: John Murray, 1822, pp. 332-

333. وقد أورد الكاتب أسماء القرى بالعربيّة أيضاً، وذكر بيوت شعر لعرب الصبيح الذين وقت بينهم وبين الربّيين صدامات عديدة.

"لوبية - كهوف، أضرحة، sarcophagi؛ لقد تمت ملاحظة عدة معاصر حجرية للنبيذ وأحواض ماء، مما يدل ربما على موقع قيمٍ ثمة صورة فوتوغرافية لبيت في لوبية "مبني من حجارة مقطعة بحجم متوسط [...] يبدو أنها مأخوذة من كنيسة مسيحية قديمة - غورين".

وقد ذكرت لوبية أيضاً في دليل بيكر لفلسطين وسوريا (١٨٩٨) :
 "يتجه الطريق من كفر كنا شرقاً ويقطع سهلاً واسعاً خصباً جيد الاستغلال يعرف بوادي رمانة، وهو فرع من سهل البطوف. يمكن رؤية طرعان على مسافة ٥٠ دقيقة على جهة اليسار. وخلال ساعة نجتاز آثار خربة مسكنة ونسير شرقاً فنرى بعد عشرين دقيقة لوبية على جهة اليمين. في أبريل عام ١٧٩٩ حارب الفرنسيون بقيادة جانوت القوات التركية المتفوقة بالقرب من لوبية. ومن ثم نصل (بعد ٢٣ دقيقة) آثار خربة لوبية، نجتاز طريق القوافل (يظهر في الشمال قرن حطين [...])، نقطع منطقة جبلية نحو الشرق (١ ساعة و ٢٥ دقيقة) إلى الجبال فوق طبريا التي تبعد ساعة".

أقيم في الحقبة العثمانية خان على بعد كيلومترات من لوبية، وكانت في نفس الموقع بركة مهدمة وأثار بيوت قديمة. وقد عرفت لوبية كموقع للتنقيب الأثري، واكتشف تحتها العديد من الكهوف والمرات التحتية.^{٤٨}

ويذكر دليل موراي للسائحين في سوريا وفلسطين من أوائل القرن العشرين لوبية بشكل موجز :

"... نمر بجانب لوبية إلى اليسار، وتقع على تلٌ صخريٌ منخفض، محاطة بأشجار الكمثرى الشائكة. يوجد في هذه القرية العديد من الكهوف والأضرحة والتوابيت الحجرية، ومعاصر النبيذ حجرية وأحواض ماء، ولذا من المحتمل أنها تقوم على موقع قديم ذات أهمية... بعد عبور طريق القوافل من دمشق إلى القدس ومصر، وهو طريق تقع على جانبيه آبار مياه عميقة، نطل على سرج... قرون حطين، الموقع الشهير لانتصار صلاح الدين على الصليبيين في الخامس من تموز عام ١١٨٧. وقد جرت المعركة ذاتها على الهضبة المتموجة بين حطين ولوبية والتي تجتازها الآن. كاد الصليبيون يبادون تماماً في حربهم البائسة".^{٤٩}

⁴⁸ الذي لا ننسى، مصدر سابق للذكر، ص ٩٩٩

⁴⁹ John Murray (Firm), *Handbook for Travellers in Syria and Palestine*. Mary Brodrick (ed.) London: E. Stanford, 1903, p. 244.

وتنكر المصادر الصهيونية لوبية كقرية عربية "تقع على طريق طبرياـ الناصرة، وكان يقع على مسافة كيلومترین منها خانـ البيوت مبنیة من حجر، والسطوح من خشب أو إسمنت. وللقرية سیاج من أشجار الصبارـ هناك واديان يعرفان بالعلقة والحملةـ وبخلاف كتابات الرحالة والباحثين وموظفي المخابرات الصهيونية، تتبعث من ذكريات اللوابنة صوراً مفعمة بالحياة والتفاصيل والمشاعر التي تعبر عن العلاقة بين القرويين ومكаниهم الأصليـ تمام عجايبي (أم حسن) قشت نصف حياتها في لوبية، والنصف الآخر في مكان لجوئها في دير حنا داخل إسرائيل، لكنها ما زالت تقول إن "لوبية أم البلادـ". إن ذكريات أم حسن تققاوم الذبوب والتبدد، ومشاعرها تجاه الناس مليئة بالعاطفة والحبـ حين علمت أن عددي ابنتان، قالت لي: "الله يكون بعونكـ". ثم أصررت قبل مغادرتي دير حنا أن تعطيني ألفي شاقل من مدخراتها من أجل ابنتايـ. أخذت النقود منها لكي لا اجرح مشاعرها، ثم أعدتها عن طريق زوج ابنتهاـ. توفيت أم حسن عن عمر مائة عامـ.

لقد عبر أبو ماجد عن علاقته بلوبيه في القصيدة التالية:

يا زائر إن رحت لبلدك زيارة

بوس تراها بوس لخجرا

إذا ميلت ع لوبية العذبة

بيحزنك يا زائر منظر آثارها

شم على الحارة الشمالية

وزور لبلاد حارة بعد حارة

لما جربت القوات الإسرائيلية

على لوبية تشن غارة

دبّابات وطيارات ومدفعية

ورشاشات تزخر بغزاره

كان العدد واحد لميـة

ودارت المعركة من دارـ لدارـ

وبقينا بحلوقهم شوكـة قوية

قاطعين الطريق مشددين الحسـارـا

إلى إن إجـتـ القوات القاوقـجـية

سلـمتـنا بأـمـرـ مـدـرـوسـ وـصـادـرـ قـرارـا

يصف أبو عصام في مذكراته أن لوبية تقع "على طريق القوافل بين الشام ومصر وجنوب فلسطين وطريق القوافل الآتية من حوران إلى الساحل، حيث هناك مدينة عكا التي كانت

مركزًا تجاريًّا بين البر والبحر . فهناك طريق تمر من لوبية بين الشمال والجنوب تسمى طريق الشام نسبة إلى الشام . والطريق الذي يأتي من حوران يسمى طريق حوران . وكانت هذه القوافل تمر من لوبية شرقًا غربًا وشمالًا جنوبًا تحمل الحبوب من حوران إلى عكا ، والبضائع من الشام إلى مصر ومن مصر إلى الشام . وقد لعب موقع لوبية لاحقًا دورًا في علاقات القرية بالقوات البريطانية واليهودية .

ويرد في مذكرات أبو عصام أنه "كان بجوار القرية من جهة الشرق بركة ماء تتجمع فيها مياه الأمطار ، كما تتجمع في البرك الأخرى المنتشرة في بقية البلاد . لكن هذه البركة كانت مبنية جرائها بالحجارة ورغم تعاقب السنين كانت لا تزال قوية البنيان ." وأن "أرض لوبية تمتد غربًا من طرعان إلى طبريا ويمه وبيت جن ، وهي واسعة خصبة سهلية تربتها سوداء بركانية اشتهرت بزراعة الحبوب التي كانت من أجودها وكانت تصدر هذه الحبوب إلى مدن الناصرة وعكا وحيفا على القوافل وفيما بعد بالسيارات . وكانت تزرع موسم صيفي وموسم شتوي ويوجد هناك في سهل الحمى من جهة الجنوب الغربي خربة دامية ، جنوب غرب سهل الحمى ، وفيها ينابيع غزيرة تتبع من سفح جبل التل ، وفيها بركة قديمة تصب فيها هذه الينابيع وكانت تكفي لسقي مواشي البلد من جمال وأبقار وأغنام في موسم الزراعة والحداد وهناك بعض البساتين التي كانت حول الخربة تسقي من هذه المياه ."

"إلى الجنوب من السهل على سفح الجبل هناك مقام بسوم . كان الفلاحون يضعون عدة العمل في المقام لأن اللصوص كانوا يخافون دخول المقام . كانوا يعتقدون أن الله سيعاقبهم إن فعلوا . عندما زرت لوبية في العام ١٩٩٩ نبهني رفيقي بـألا أدخل إلى المقام الذي مازال قائماً .

ويرد في المذكرات أيضًا : "سهل الحمى فيه ينابيع في أرض بصاص ووادي النس الذي استخرج منه اليهود بئر ماء يسقي أرض المستعمرين . وسهل الحمى فيه أيضًا إلى الشمال خربة سرجوني وهي مأخوذة من الكلمة سرجنت الرومانية وتعني لقب شاويش ويظن أنها كانت مركزاً حربياً يقيم فيها سرجنت روماني ، وهذه سكنها أخيراً عرب الخوالد وهناك آثار في أرض التل الواقع إلى الشرق من قرية لوبية وفي أراضيها يدل على أن هناك كانت مدينة مسكنة . امتدت أراضيها حتى حدود طبريا في تل المعون ، وكانت هذه الأرض الجبلية لعائلة الطبرى (الشيخ سعيد الطبرى) . وإلى شرقى هذه التلة تقع أرض المنارة وهي سهل واسع يطل على طبريا وسهل الحمى المنبسط . وإلى الشمال وصلت حدود أرض لوبية إلى قرن حطين ، وإلى الغرب أراضي طرعان والشجرة ، وإلى الجنوب أراضي الشجرة وكفر سبت ."

أحمد خليل جودي (أبو سامح)^{٥٠} كان أحد اللوابنة الذين حظوا بالبقاء في فلسطين بالقرب من لوبية بفضل وجود أقارب له من طرف والدته يعيشون في الجوار. يقضي أبو سامح معظم وقته الآن في زيارة أطلال لوبية. وفي كل زيارة يقوم بتنظيف المقبرة ويرمم قبرا هنا وقبرا هناك. ويستطيع أبو سامح أن يميز قبور الرجال عن النساء والأطفال من حجم القبر وكيفية وضع الحجارة. شخصان فقط يمكن التعرف على قبريهما بالاسم هما حاج دواس و محمد المفضي.

وحين مشينا بين بيوت القرية المدمرة أصرّ أبو سامح أن يذكر لي أسماء قطع الأرض وأصحابها: "ثلة قنديل، الرويسة، الشبابة، جور الخيل، بركة عساية، وادي قدران، أرض العقبة. هذه السنابل ما زالت كما تركناها، هناك أرض الصدر التابعة للشهابية. وهنا منزل العجائبة وهذا كان المسجد".

"هناك على منحدر التلة كانت جبلاً العويني حيث كنا نلتقط ثمر الصبار. هذا كان كرم مسعود حيث كان محسن جودي يملك بستان زيتون. أصبح الان ملعاً لأطفال مستوطنة جفعت افني. هنا الكهف الذي كنا نختبئ فيه عندما كانت الطائرات تقصفنا في العام ١٩٤٨، وهذا هو الطريق المؤدي إلى قرية حطين المجاورة".

كان أبو سامح مريضاً جداً حين عاد من الحج في العام ١٩٩٨. وقبل أن يذهب إلى الحج طلب من ابن عمه أن يأخذه إلى لوبية لأنَّه خاف أن يموت هناك دون أن يرى القرية الثانية. وحين عاد من الحج سالماً كان أول مكان يتوجه إليه هو لوبية، قبل بيته في دير حنا. لوبية بالنسبة لأبو سامح ليست مجرد أنقاض بل هي مكانٌ حيٌّ مازال، حتى يومنا هذا. أخبرني ابن عمه أنهم حين وصلوا مشارف لوبية انبعثت الحيوية واللهفة في أبو سامح. وحين وصلوا همس: "يا حبيبي يا لوبية".

معالم لوبية في الذاكرة:

لكل قطعة أرض في القرية معنى خاص وأهمية تاريخية بالنسبة للوابنة. ولو سعى المرء إلى شرح أصل ومعنى كل قطعة أرض ودلائلها التاريخية في ذهن المسنين من القرية لاجتاز الأمر كتاباً كاملاً. كهف "مغارة العريس" على سبيل المثال هو المكان الذي كان يستخدم فيه العريس يوم عرسه. وثمة مكان آخر يدعى "مغارة الشهداء" دفن فيها الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن القرية.

يؤدي التاريخ الشفوي دوراً هاماً في استرجاع المعلومات عن الأرض، خاصة وأن الأهلالي خرجنوا في العام ١٩٤٨ من دون سندات ملكية الأرض أو وصولات الضريبة

^{٥٠} أحمد خليل جودي (أبوسامح) ولد في العام ١٩٣٢. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٩ ليلار ١٩٩٩، في دير حنا.

ووثائق أخرى متعلقة بالأرض. وقد استخدم هذا المنهج كذلك مستكشفو الأرض المقسسة في القرن التاسع عشر وفيما بعد علماء الآثار والمساحون الصهاينة، الذين سجلوا أسماء الأماكن كما كانوا يسموها من السكان العرب الأصليين بغية إيجاد صيغة عبرية لها. وقد جمعت بهذه الوسيلة أسماء معظم أراضي لوبيبة.

وخلال المقابلات التي أجريتها ذكر اللوبييون باسم مائة وستة وعشرين موقعًا وست كهوف وتسعة مقامات كلها في منطقة لوبيبة (أنظر الملحق الثالث من أجل قائمة كاملة بهذه الأسماء). بعض هذه الأسماء تعود إلى العهد الروماني. يقول أبو ماجد إنه كان في طفولته يسمع قصصاً عن هذه الأماكن من جدته، وقد حفظ قصص الجيل القديم: وتشابه هذه الروايات التي يحفظها أبو ماجد مع روايات لوبيبين آخرين.

"بسوم" هو اسم مقام لولي صالح يدعى بسوم: كانت في هذا الموقع بحيرة صغيرة. وهناك صخرة شمالي البلدة يطلق عليها اللوبيون "صخرة النصراني"، ويعتقدون أن المسيح كان يوزع هناك الخبز لأتباعه. "دامية" هو اسم بركة صغيرة تجتمع فيها مياه عين يدعى رأس النبي، وتترد الماشية إليها للشرب. يذكر بورخارت Burkhardt البركة باسم "عين ذاتي". وتقع تل الخيمة مقابل الخان الذي كانت تستريح فيه القوافل على الطريق بين استانبول والقاهرة. وقد أطلق هذا الاسم على التل لأن أحد قواد صلاح الدين شيد معسكراً هناك إبان الحرب مع الصليبيين.

أما الموقع الذي جرت عليه معركة حطين فيدعى "الكساير"، ويقع على الناحية الشرقية من القرية فيمتد إلى تل المعون حيث يوجد اليوم مستشفى إسرائيلي. أما الموقع الذي يطلق عليه اسم النبي شوامين فهو على اسم أحد أبناء يعقوب في العهد القديم. ويعرف أقدم بستان زيتون في القرية بـ"كرم عيسى". وهناك بركة تدعى بركة العجائبة تقع على قطعة صغيرة من الأرض مساحتها دونما واحداً. هذه كانت مجرد بضعة أمثلة على الأسماء المائة والثلاثة والأربعين للمواقع والكهوف والمقامات المذكورة أعلاه.

محو المشهد:

لقد تم تدمير لوبيبة بشكل شبه تام بعد الحرب عام ١٩٤٨ مثلاً دمرت مئات القرى العربية الأخرى داخل المناطق من فلسطين التاريخية التي أصبحت إسرائيل. وكانت عمليات التدمير هذه جزءً من سياسة نهاده إلى منع اللاجئين من العودة بعد انتهاء الحرب.^{٥١}

^{٥١} في حزيران ١٩٤٨ وضع حوزيف وايتز، وهو مدير دائرة الأراضي (قسم التطوير) في الصندوق القومي اليهودي ورئيس لجنتي ترانسفر أقيمتا بعد عام ١٩٤٨، مخططاً يفصل فيه ستة وسائل لمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة، تشمل تدمير بيوت اللاجئين وإقامة مستوطنات يهودية عليها وسن قوانين تمنع عودة اللاجئين. انظر: مذكرات وايتز، الجزء الثالث، ص

(الفصل الثامن من هذا الكتاب يعالج بتفاصيل أكثر أحداث لوبية في سنوات الحرب ١٩٤٨-١٩٤٧ ومصير أهلها).

ولقد دمر مسجد القرية أيضًا. وبإمكان الزوار اليوم رؤية الآثار المتبقية من المسجد والمدرسة. حين زرت يوسف اليوسف في مخيم البروموك وأريته صور المكان أخبرني بأن الحائط الأخير الذي مازال قائماً هو جزء من بيت جدي علي ياسين الكفري. وحين أرسلت صورة فوتوغرافية للقرية مأخوذة من الجو رد علي برسالة عاطفية جداً، اختتمها بالقول: "إنها أفضل هدية استلمها في حياتي كلها في المنفى".

أما مصطفى سعيد (أبو خالد)^{٥٢} الذي التقى في مخيم برج البراجنة بجوار بيروت، فقد زار القرية سرًا في العام ١٩٥٠. كان يأمل بالعثور على بعض الممتلكات التي خبئها قبل الرحيل في صيف عام ١٩٤٨ آنذاك كانت البيوت ما زالت قائمة. صالح شحادة هو النصف لوبي الأخير الذي مازال يعيش في لوبية جزئياً كحارس لما تبقى من أشجار هناك. أمّه ولدت في قرية صفورية المجاورة. وقد أخبرني أنَّ معظم البيوت ظلت قائمة حتى عام ١٩٦٠.

وقد شاركتني بعض اليهود الإسرائيлиين الذين قابلتهم بذكرياتهم عن مصير لوبية خلال الحرب عام ١٩٤٨. ناحوم عتو شارك في احتلال لوبية كضابط ومن ثم أصبح مسؤولاً عن المكسرة في لوبية. حين عملت حجارة في لوبية بعد الحرب كان يعمل عندي خمسة وسبعين عاملًا عربياً. كنت استحصل لهم على تصاريح من السلطات للعمل في لوبية.

"بقيت هناك حتى العام ١٩٥٥ وكانت القرية حتى ذلك الوقت قائمة كما كانت". وأضاف ناحوم "إن القول بأن الجرافات دمرتها كذب. بعد العام ١٩٤٨ ظلَّ المتسلون من الأردن لسنوات عديدة يختبئون فيها وفي كفر كنا أملأ بالعودة إلى ذويهم دون أن يكتشف أمرهم. كان سكان القرى المجاورة يأتون لجمع الحديد والنحاس وغيرها. كان عمالٍ يجمعون الأخشاب والنحاس والحديد من هناك".

أولئك الذي يطلق عليهم ناحوم عتو "المتسلون" كانوا في حقيقة الأمر لوبيين يجتازون الحدود لمعرفة أحوال بلد़هم واستخلاص ما أمكن من ممتلكاتهم الشخصية^{٥٣}. وفي نهاية المطاف تم بناء مستوطنات يهودية على أراضي هؤلاء اللاجئين، بما فيها لوبية. وثمة قول شهير لموسيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق: "إن القرى اليهودية بنيت محل

^{٥٢} تحت بند ٣٠ مايو ١٩٤٨، مذكور في بني موريس، ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧-١٩٤٩، ص.

Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem 1947-1949*. Cambridge: ٠١٣٦ Cambridge University Press, 187, p. 136.

^{٥٣} أجريت مقابلة مع مصطفى السعيد (أبو خالد) بتاريخ ١٠ شباط ١٩٩٩، في مخيم برج الشمالي ببلبنان.

للمزيد عن هذه الحقيقة وعن محاربات اللاجئين للعودة، انظر: بني موريس، حرب إسرائيل الحدوية. Benny Morris, *Israel's Border Wars, 1949-1956, Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown on the Suez War*. Oxford: Clarendon Press, 1993.

القرى العربية. أنتم لا تعرفون حتى أسماء هذه القرى، وأنا لا ألومكم لأنّ كتب الجغرافيا [القديمة] لم تعد متوفّرة. وليست الكتب وحدها لم تعد موجودة إنما القرى ذاتها. نهال قامت محل معلول، وكيبوتس جيفع محل جميع، وكيبوتس سرید محل خنیف، وكفر يهوشع محل تل شومان. لا يوجد مكان واحد في هذه البلاد لم يكن فيه سكان عرب في الأصل.^{٥٤}

في كتاب "الدليل الرسمي لإسرائيل" استبدلت لوبيبة بلافي، وتذهب الرواية الإسرائيلية الرسمية بأنّ "لافي" هي بلدة يهودية من العهد الروماني بيزنطى وقد حفظ اسمها في اسم القرية العربية لوبيبة. تم إنشاؤها في العام ١٩٤٨، وفي العام التالي نقلت إلى موقعها الحالي على أراضي قرية لوبيبة المتروكة. وأبان الاضطرابات عام ١٩٣٦-١٩٣٩ وحرب الاستقلال استخدمت القرية نقطة للعصابات العربية.^{٥٥}

تحكم كلمة "متروكة" الخطاب الإسرائيلي الرسمي حول افتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، وتؤحي بأنّ الفلسطينيين رحلوا برغبتهما الخاصة. إلا أنّ الحقيقة بالطبع خلاف ذلك فاللاجئين الفلسطينيين، مثلهم مثل جميع اللاجئين في العالم رحلوا إما لوجود خطر على حياتهم أو تحت الهجوم العسكري.

وقد أقيمت لجان لتغيير أسماء الوبيان والجبال والقرى ومعالم المشهد الباقية واستخدمت في الأغلب أسماء توراتية لأجل مسح الطابع العربي عن الجغرافية.^{٥٦} وقد أعلن عن الاسم الجديد للوبيبة في ٨ شباط ١٩٤٩ ي.أ. أريخا، سكرتير اللجنة الخاصة التي أقامتها الحكومة الإسرائيلية بغرض استبدال الأسماء العربية بأسماء عبرية. كان أريخا يخطب أمام "الطلبيعين" المتدينين في المركز الزراعي لهبوعيل هميرachi:

"شرفني أن أخبركم بأن لجنة الأسماء أقرت في اجتماعها الأمس بالاسم المناسب لمستوطنكم التي ستقام على أرض تعود للوبيبة في الجليل أسفل: بعد نقاش عميق قررت اللجنة اختيار اسم "لافي" وهو اسم لموقع تاريخي من فترة الهيكل الثاني... ومن الجدير التنويه بأنه فيما عدا الدلالة التاريخية فإن الاسم لافي يمثل إعادة إحياء الشعب اليهودي وإقامة إسرائيل أرضهم".^{٥٧}

•

^{٥٤} موسى بن ديان في خطاب ألقاه في التخنون (المعهد الإسرائيلي للتكنولوجيا) في حيفا (كما ورد في هارتس، ٤ نيسان ١٩٦٩)، منكر في كي لا ننسى، مصدر سابق الذكر ص: ٩٩٣XXXI.

^{٥٥} نفس المصدر، مصدر سابق الذكر.

^{٥٦} لمزيد من التفصيل انظر: بنقشتى، مصدر سابق الذكر.

^{٥٧} الأرشيف الصهيوني المركزي (نسخة محفوظة لدى المؤلف). لوصف مختصر للمستوطنة الجديدة انظر كتاب القرى اليهودية في فلسطين *Jewish Villages in Israel* الصادر الصندوق القومي اليهودي، ١٩٤٩. يرد في الكتاب أنّ جميع المستوطنين قدموا من إنجلترا، نفس المصدر، ص: ١٠٨.

وقد حول ما تبقى من موقع القرية لاحقاً إلى حرش جنوب إفريقيا، وفي العام ١٩٩٢ بنيت مستوطنة يهودية ثانية باسم جفعت افني على جزء صغير من أراضي القرية. ويستعمل يهود إسرائيليون آخرون بعض أراضي القرية مراعياً لمواشיהם أو للترفيه. ما زال تسعون بالمائة من أراضي القرية غير مبني، بعد أكثر من خمسين عاماً.

من الصعب التعرف على موقع القرية حتى بالنسبة لمورخين وانثروبولوجيين أجانب. يقول تيد سوينيرغ حين كان يجري البحث الميداني لكتابه *نكريات الثورة: ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ والماضي الوطني الفلسطيني* إنه من بجانب غابة صنوبر، فنون ما يلي في مذكراته:

"في أحد أيام آذار عام ١٩٨٥ اصطحبته عائلة سونيا النمر للتنزه على شاطئ بحيرة طبريا. وفي انحدارنا من الناصرة إلى طبريا رأينا رقعة من شجر الصبار نمت في قطعة صحراوية متعددة وسط أشجار الصنوبر المغروسة بنمط قروي. فقال والد سونيا وهو مهندس كهرباء في أواخر الخمسينيات من عمره، "اذكر أنه كانت هنا قرية تدعى لوبيبة". وفيما بعد بحثت في إحدى الخرائط فوجئت أن المستوطنة اليهودية مقابل الحرش هي كيبوتس أقيم على أراضي القرية في العام ١٩٤٩ وأسمه لافي - وهو الصيغة العبرية المفترضة لاسم لوبيبة. أما آثار القرية المدمرة فتقع تحت حرشين تابعين للصندوق القومي اليهودي، أحدها يدعى على اسم جمهورية جنوب إفريقيا. وقد أخبرني مجاهد سابق في الجليل أن لوبيبة كانت نقطة تهريب أساسية، إذ كان الثوار يشترون منها بنادق وذخيرة من أجل المشاركة في الثورة".^{٥٨}

أثناء زيارتي للوبيبة في العام ١٩٩٩ كان لوبييون يقدمون احتجاجات أمام وزارة الأديان الإسرائيلية لأن شخص ما قام بتشويه القبور المتبقية بطلاء شعارات عبرية عليها. وقد اصطحبني نايف حجو^{٥٩} المقيم في دير حنا في زيارة لمشاهدة القبور وتصوريها. حجو ناشط في اللجنة القططية للدفاع عن حقوق اللاجئين والمهجرين في إسرائيل، وكان قد جُرح على يد القوات الإسرائيلية في يوم الأرض عام ١٩٧٦.

صورة: نايف حجو ولوبيون آخرون يملون ممثل وزارة الأديان على آثار التخريب
الحاصل لمقبرة القرية (تاریخ ١٩٩٩)

^{٥٨} سوينيرغ، مصدر سابق الذكر، ص: ٦٢-٦٣.

^{٥٩} نايف حجو من مواليد ٧ حزيران ١٩٤٨. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١١ أيلول ١٩٩٥.

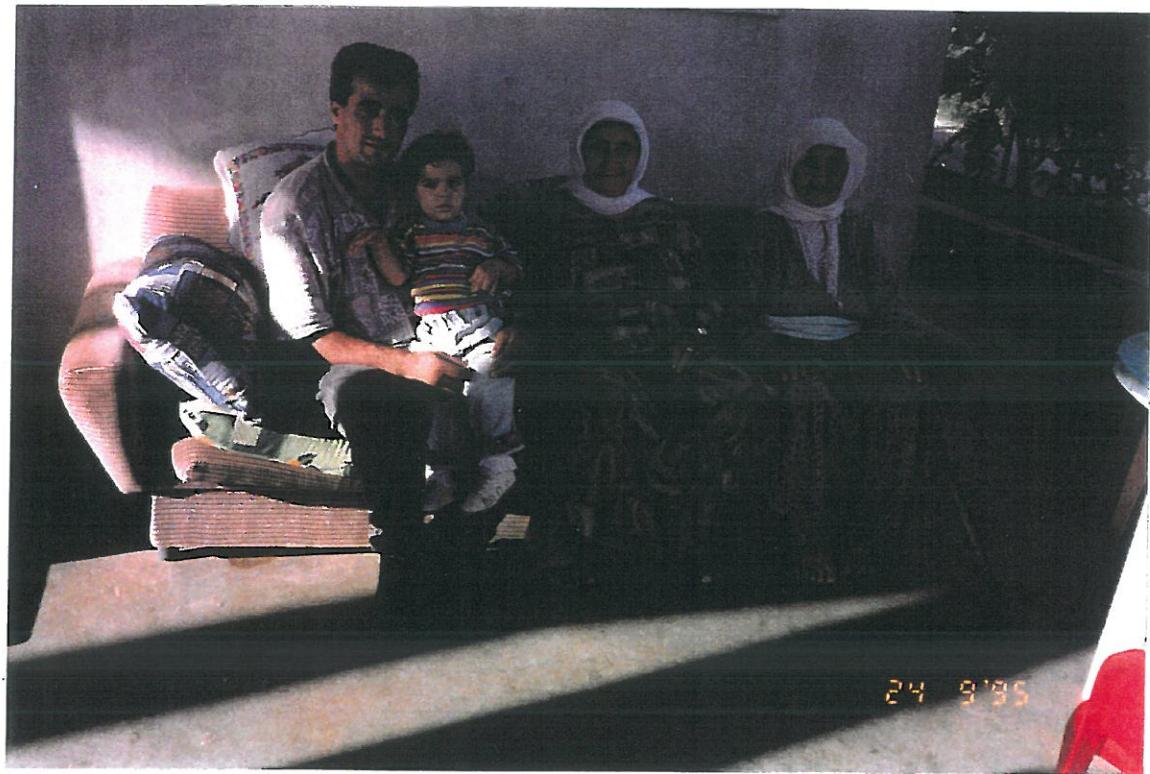
صورة: قبر مدنسي بشعار بالعبرية مفاده: "هنا مدفون الكلب" محتوى الشعار المطلي على القبور المتبقية هو " هنا مدفون الكلب" ، وقد نشرت صورة للقبور المدنسة في الصحف المحلية. وبعد هذه الحادثة، قام نايف بتقديم طلب إلى الوزارة بإنشاء سياج حول المقبرة لحمايتها. وقد تمت الموافقة فرآبة ثلاثة لوببي إلى المقبرة مع ممثل وزارة الأديان لمشاهدة وضع القبور التي أصبح من الصعب تمييزها بعد الاعتداء عليها. ولم يتم الرد على طلب إنشاء سياج حتى وقت كتابة هذه السطور.

أبو نمر الذي أخذني في سيارته اللاند روفر في جولة في أراضي لوببي، أخبرني عن محاولة اقتحام المقبرة ونجاجه في منع الأمر في اللحظة الأخيرة. لقد تحدث بحذر شديد في لقائنا الأول. وتحدث اللوببيون في إسرائيل بارتياح إزاء أبو نمر، لأنّه نجح في الحصول على موافقة الحكومة الإسرائيليّة بالبقاء في أرض لوببي، وتساءلوا عن سبب الإذن له بالبقاء. إلا أنّ أبو نمر كان كريماً جداً معي وحشاً لي الكثير من التفاصيل عما جرى في لوببي على مدار الخمسين سنة الماضية. وطلب مني نسخة عن وثائق تسجيل الأرض التي حصلت عليها من الأرشيف الإسرائيليّ لكي يعطيها إلى أبنائه.

يلاحظ الزائر وجود مقبرة يهودية، تدعى "بيت رعيل؟" وسط مقبرة لوببي القديمة. وبنظره سريعة على المقبرتين يظهر المصير المعد لكل واحدة: الإهمال التام للمقبرة القديمة وأحجار الرخام والسياج الحديث والزهور للمقبرة اليهودية الحديثة.



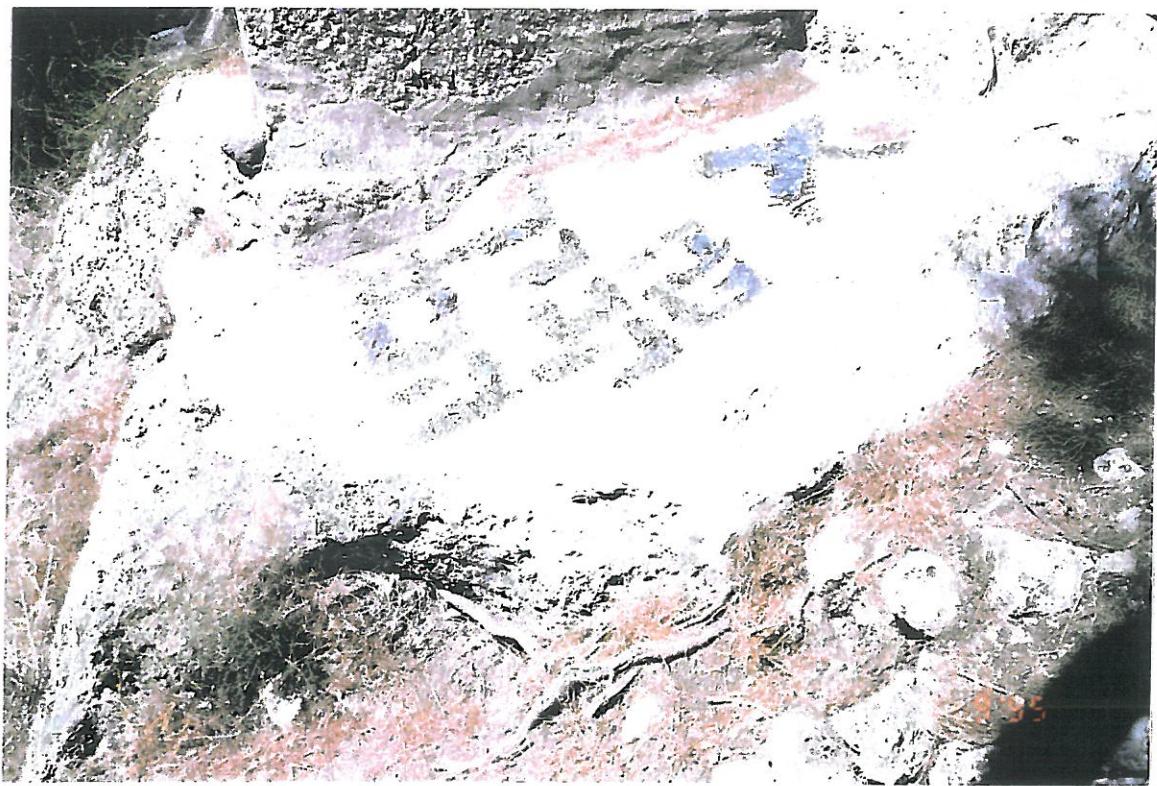
“Haji Tamam” reciting religious speech to cure her daughter of sickness.



Four generations of Lubyans, a few kms. away from their land, in Deir Hanna, Israel.



Cleaning the children's graveyard near "Prophet Shwamin's tomb".



"Here is buried a dog", reads this Hebrew Graffiti, written on the tomb of Muhammad Mufaddi. Lubyans demand that Israeli authorities fence the graveyard, but in vain.



Vehicles and artillery used in the attack on Lubya in 1948.(displayed in a military museum at Jolani Junction). The forest in the background of the upper photo covers the traces of the village of Lubya.





Kilani, blind, celebrates the feast day "al-Iid" every year in Lubya: "I would come tomorrow from Akka to live here if I were allowed".



Saber, has two meanings in Arabic: the name of the plant, Cactus, and Patience.

الفصل الرابع

لِيقاعات الحياة اليومية

"تتدخل القرية بفضاءاتها — بما فيها من بيوت وبساتين وساحات عامة وترب وإحساس بالانتماء الجماعي — في تركيبة الشخصية لكل فرد في القرية، إلى درجة أن الفصل بينهما يكون بمثابة محو للذات" (روزماري صايغ)

كانت لوبيه تنعم قبل تدميرها بوتيرة حياة خاصة وثقافة وديعة وشبكة علاقات اجتماعية محكمة، تقوم على العادات والأعراف ذات الجذور العميقة، والتي يمكن وصفها، مع مؤسسات التعليم والنادي الثقافي المحدثة، بأنها بمثابة "مجتمع مدني" ٦٠٠ أما أجهزة الحكم، أو ما يمكن أن نطلق عليه "المجتمع السياسي"، مثل الجيش والشرطة وبيروقراطية الدولة، فظللت رغم حضورها في القرية بمثابة مركب خارجي ومُضاف.

لقد حمل العديد من اللوبين ذكريات مشابهة عن لِيقاع الحياة اليومية في القرية وفي الحقل، وعن المناسبات الاجتماعية والأعراس والحصاد. وت تكون لدى من يتأمل هذه الذكريات صورة نابضة عن انسجام رائع كان يسود بين الإنسان والأرض، وعن حياة عفوية وديعة مازالت آثارها في شعور اللاجئين بارزة رغم أعوام طويلة وقاسية في المنفى. لقد عبر نديم عثمان (أبو خليل) ٦١ عن ذلك بقوله أن: "حياة القرية كانت قائمة على البهجة والسرور". وأضاف: "كنت أقف في باب الدار وأسمع صوت فرح فأذهب مباشرة للمشاركة". وقالت أم حسن: "كنا نملك كل ما نحتاجه... التحق بعض الرجال بالشرطة البريطانية وغيرها من دوائر الحكومة. وكان عند الفلاحين أبقار ومواشي، وكان التجار يجوبون فلسطين وخارجها... كنا نعيش مستقلين". ووصف نايف محمد حسن الحياة بأنها "كانت بسيطة لكنها جميلة" ٦٢. هكذا ظلت لوبيه وحدة اجتماعية منسجمة تعتمد أساساً على الزراعة إلى أن تدمر تهجير سكانها عام ١٩٤٨، وما زالت هويتها وثقافتها الخاصة حية بين أبنائها اللاجئين حتى يومنا هذا.

^{٦٠} "المجتمع المدني" مصطلح مركب يصف العلاقة بين الدولة والمواطن والمؤسسات المدنية، أما في استخدامي له هنا فأقصد الدلاله على البنية الاجتماعية في لوبيه والعلاقات التبادلية بين الأفراد. للمزيد عن تاريخ المصطلح انظر: عزمي بشارة، مساهمة في نقد المجتمع المدني (رام الله: مؤسسة مواطن، ١٩٩٦).

^{٦١} نديم عثمان (أبو خليل) من مواليد عام ١٩٢٩. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١٨ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٩٨، في مخيم حمص لللاجئين بسوريا.

^{٦٢} نايف محمد حسن من مواليد عام ١٩٢٥. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١٤ نيسان/ابريل ١٩٩٦، في عمان بالأردن.

وصف حياة القرية:

تحدث غالبية الرواة بشكل مماثل عن ذكريات الحصاد والتعليم والأعراس. وكان للبعض، مثل نايف محمود حسن، نظرة مغایرة. فقد خدم نايف (مثل أبو ماجد) في الشرطة البريطانية في سنوات الأربعينات العسيرة، وعرف القرية والحياة فيها جيداً رغم عمله خارجها لمدة خمس وعشرين عاماً في الجيش الأردني. وما يميز رواية نايف حسن هو أنها تخلو من الرومانسية.

قال نايف: "ربينا في الحقول. كان المزارع يعمل طوال العام ولا يستطيع شراء ملابس لابنه. كيس الذرة بوزن ١٢ صاع (٥ كغم) كان سعره ستين قرش. كان أفضل للفلاح شراء الكيس بليرة بدل كل ذلك التعب. كانت الذرة اللوبية مشهورة في المنطقة كلها. الذرة اليوم تستعمل علفاً للطيور. كنا نشم رائحة الخبز عن بعيد حين كانت أمي تخبز. اليوم لم يعد للخبز رائحة. كانت حياة الفلاح في تلك الأيام أفضل من حياة أهل المدن. لكن الفقر في القرى كان من سياسة الحكومة".

"كان في لوبيه حلاقان هما محمود شرعان وعوض قطامش، كانا يتقاضيان أجراً للحلاقة في السنة، ويقبلون أحياناً بالذرة مقايضة. وكنا كلما طال شعرنا ذهبنا إليهما، فيحلقان لنا دونما اعتراض. كان محمود شرعان يتاجر بالخضار والفاكه إلى جانب عمله كحلاق، ولذا كان يتقاضى دينه ذرة أيام الموسم. كان يشتري البضائع من طبرية وكان يتعرض له أحياناً رجال من العطوات بمقابلاته في الطريق وإتلاف البضاعة بتهمة أنها من عند اليهود."

"كان عمري أقل من سبع سنوات، وأذكر أن إحدى الممرضات ألقت علي محاضرة في الدين المسيحي فلم أفهم شيئاً. في اليوم التالي جاءت أمي وأخي على حمارين وأخر جاني من هناك، وفي الطريق توقفنا لتناول الغداء في أحد المطاعم في الناصرة، لكن أمي وجدت ذبابة في الطعام واحتاجت لدى صاحب المطعم فانصرفنا دون تناول الغداء. وحين وصلنا إلى البيت رأيت مشعللاً على السور. كان جميع الأقارب، عمي صالح وعوّض شاويش وكثيرون غيرهم، قد جاءوا لاستقباله ومعهم الحلوى".

"كان في القرية جهاز راديو واحد عند مصطفى أبو دهيس (ابن المختار) وكانت له بطاريات تعمل على مروحة مركبة على مولد كهربائي ومثبتة على عصا. كان في القرية خياط واحد، وكان شركسياً، اسمه درداح. كان يصنع البدلات العربية والإفرنجية ويكتوبيها بمكوى حديدي يضع فيه فحاماً ساخناً. كان يتقن صنعته جيداً. كان يسكن في بيت سليمان سيد بالحارة الشرقية ويدفع له عشرين قرشاً في الشهر".

روى نايف قصة عن شخص عاطل عن العمل اسمه عوض الزيني. قال: "في يوم من الأيام مر عوض ببيت أبو دهيس، فأعطاه الأخير كيسين وبعض النقود ليشتري له فحم. أخذ عوض النقود وانصرف، وفي الطريق نحو منطقة الشهابية التقى بعوض الطلوزي (المعروف بأبو سعيد) ومعه جماله، فباعه الزيني الكيسين. وبعد يومين كان أبو دهيس يسأل عن كسي الفحم فعرف القصة من الطلوزي".

اعتاد نايف الذهاب إلى المسجد للصلوة منذ طفولته، وكان الإمام آنذاك الشيخ علي الشهابي. ذكر أبو ماجد في مذكراته أن مسعود الماضي هو الذي بنى مسجد لوبية في العام ١٨٢٢، واختار موقعه بين منزلي الأخرين شنشير وماضي من عائلة الشناشرة، وشيده على أعمدة بازلتية خاصة على نمط معمار الجامع الأبيض في الناصرة والجامع الأعلى في طبرية، لكنه ظل دون مئذنة. وكان يتسع لثلاثمائة إلى أربعمائة مصلٍ".

ونذكر أبو سامح عن أصل عائلة الماضي أنها من قبيلة الوادي من عرب النقب. قال: "كان مسعود إقطاعياً كبيراً من أتباع العثمانيين في قرية إجزم قضاء حيفا، وكانت لعائلته محاكمها وقوانينها الخاصة. أعدمه إبراهيم باشا حين وصل من مصر في العام ١٨٣٤. تزوج الشيخ إبراهيم الجودي من زينة (أم خليل) ابنة مسعود، فبنا والدها الجامع على شرف المناسبة".

في الأربعينيات من القرن العشرين، التحق بعض الشبان من القرية بالجيش البريطاني المتواجد في فلسطين لكي يوفروا دخلهم من الأرض. كان يوسف عيسى مثلاً يخدم في الجيش ستة شهور في كل عام بين ١٩٤٦ و ١٩٤١ روى: "كنت أجمع ضرائب المواشي من الفلاحين في منطقة طبرية كلها طلبوني للخدمة في العام ١٩٤٧ فلم أذهب. كنت أتقاضى معاشاً قدره ثلاثة جنيهات فلسطينياً. كنت أعمل ستة شهور في الجيش وأزرع الذرة باقي السنة. كان سعر كيلو الذرة عشرين قرشاً في تلك الأيام."

لقد أتاحت الخدمة في الجيش لنایف الحسن زيارة أماكن عديدة ومرافق مشاهير زاروا المنطقة. قال: "حين كنت في الجيش [الأردن] عملت في فيلم لورنس العرب لمدة ثلاثة أشهر. كان ذلك عام ١٩٦١١٩٦٠. كانت وظيفتي قيادة رافعةAnthony Quinn لعب دور الشيخ عودة أبو تايه وبيتز أوتوول Peter O'Toole لعب دور لورنس. صور الفيلم بمعظمها في منطقة تبوك شرقي معان، وجاء منه صور في وادي رم في الأردن. صديق لي من عرب التعammerة وجد جرة مزخرفة ذات فتحة ضيقة وباعها لشخص من بيت لحم بخمس وعشرين دينار، فباعها هذا بخمسة وسبعين ألف".

روي لي أبو ماجد عن شخص من عائلة الكيلاني قال قصيدة ساخرة في لوبين يأكلون الصبر. وكانت للقصيدة نغمة سلبية أزعجت العديد من العجائب. إلا أن أبو ماجد أصر على إلقائها:

دباس وابنه وابن أخيه
نزلوا غ الصبر هفوه
قاموا العجائب شافوه
عملوا طوشة عمومية

محمود حسين هالز عيم
قسم الصبر تقسيم
وكل نفر عطوه مية

خليل العموري يا غاوي
إن عصمت كيف بتلك تساوي

دربك عالنمساوي
اضرب إبرة قوية

طلوزي بحكي الحق
وإلي بجي دكوه دك
سعيد وعارف سنجي تك
عالصبر حربجية

ما زال العديد من اللوبين يذكرون هذه القصيدة، دباس، محمود حسين، خليل العموري، الطلوزي، وأبو ماجد كانوا جمِيعاً أبناء حارة واحدة، وما زالت نباتات الصبار تحمل الشمار حتى يومنا هذا ويأتي لوبيون من دير حنا كل عام لانقاطها. كان القرويون يستخدمون نباتات الصبار أسواراً لحظائر مواشיהם، وما زالت هذه النباتات قائمة كشهادة مادية على العدد من القرى المدمرة. في العديد من هذه المواقع يمكن التتقبق قليلاً تحت التراب أو الأعشاب والعثور على حجارة وقبور وآثار أخرى تدل على القرية.

ذكريات الحصاد:

كان جميع سكان القرية بمختلف أعمارهم، رجالاً ونساء، أطفالاً وشيوخاً، يساهمون في العمل. وكانت حقول لوبيبة الخصبة توفر ما يزيد عن احتياجات السكان، فتصدر المحاصيل للقرى والبلدات المجاورة. في العام ١٩٤٤-١٩٤٥، حسب آخر معلومات إحصائية رسمية، كان في لوبيبة ٣١،٠٢٦ دونماً مزروعة بالحبوب؛ ١،٦٥٥ دونماً من البساتين المروية^{٦٣}؛ و ١،٥٢٠ دونماً من الأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة.^{٦٤} وقد طلب الأهالي من دائرة الزراعة في طبرية إذناً بزراعة أنواع أخرى من الأشجار، كالزيتون والتفاح.

كانت أشجار الزيتون في لوبيبة، بحسب تقرير الهاغانا الاستخباراتي عن القرية، تنتج ٦٠٠ جرة زيت سنوياً، وعشرة قنطاطير (القططار هو ٣٣٠ كغم) من التين، وعشرة قنطاطير من العنب، وخمسة عشر قنطاطراً من الشمار الأخرى. وينظر المصدر كذلك وجود ألف

^{٦٣} لكي لا ننسى، مصدر سابق الذكر، انظر كذلك Village Statistics

^{٦٤} ١٩٤٥، مصدر سابق الذكر، ص ١٢٢.

^{٦٤} الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق الذكر، ص ٥٥.

وثمانمائة رأس غنم، وأربعمائة بقرة، ومائة حصان، وثمانون حماراً، وأربعون جملة،
وثلاثة آلاف دجاجة.^{٦٥}

قالت أم حسن: "كانت أراضي لوبيبة الأفضل في المنطقة، وكان أهل لوبيبة أغنياء". وقال يوسف عيسى: "كان هناك أناس ينعمون بحياة جيدة ودخلهم مقبول، وأخرون في الوسط، وكان هناك فقراء ليس بحوزتهم أرض أو عمل ثابت فكانوا يعملون في أراضي الآخرين ويتقاضون أربعة أكيل (أكيل هو سنتين كغم تقريباً) ونساوهem كيلاً ونصف. يعني أن الزوجين كانوا يحصلان معاً على خمسة أكيل ونصف، أو ما يقارب ٧٥ كغم من الطحين. كان هذا يلبي احتياجات العائلة طيلة العام".

لم يكن في القرية سوى عائلتين من دون أرض، جاء أفرادها بعد توزيع الأراضي على الأهالي. يذكر تقرير الهاغاناه وجود قرابة خمسين عائلة من دون أرض في القرية بين الأعوام ١٩٤٣-١٩٤٤، تعتمد في عيشها إما على العمل المأجور أو على تربية الماشي أو التجارة. ويرجع الفارق بين هذه المعطيات، جزئياً، إلى الاختلاف في مفهوم العائلة المقصود. وينظر تقرير الهاغاناه كذلك أن كل عائلة كانت تملك بين مائة ومائة وخمسين دونماً.^{٦٦}

قال يوسف عيسى: "كان العديد من الحمالين يأتون مع جمالهم من قرى جولس وكفر ياسيف والبعنة لنقل الحزم، وكانوا يتتقاضون كيلاً واحداً مقابل كل اثنى عشر كيل ينقلوها. وفي أواخر الثلاثينيات اشتراطت اثنتا عشرة عائلة من حمولتي العصافرة والسمالوط تراكتوراً لحرث أراضيهم، وكانوا يؤجرونه بالتسعيرة المتعارف عليها، أي كيلاً واحداً عن كل اثنى عشر كيل".

تعكس ذكريات الحصاد طبيعة التكافف الاجتماعي في تلك الفترة. يقول نايف حسن: "كان جميع أفراد العائلة يذهبون إلى الحقل، ولم يكن الهواء ملوثاً. كان أصحاب الأرض يستأجرن أحياناً مربعين ليعملوا في الأرض على قسم الرابع من المحصول، وكان الفلاحون يبنون عرايش في الصيف، يسهرون تحتها لوقت متأخر وينامون، في جو بديع". حتى أولئك الذين لم يملكون أرضاً، أو وسائل إنتاج، كان بمقدورهم كسب الرزق والعيش باحترام. كان الناس يتازرون فيما بينهم. الراعي والحلق والتاجر والمعلم والإمام وكل أبناء القرية كانت ترتبطهم علاقات وطيدة، إما بسبب القرابة أو بسبب المصالح المشتركة. وكان أبناء القرية جميعاً من رجال ونساء وأطفال يتعاونون في الحصاد. الرجال يحصدون السنابل بالمنجل والنساء تجمعها في رزم وتنقلها إلى البدر.

^{٦٥} لوبيبة (قضاء طبرية) ١٩٤٤-١٩٤٣، مصدر سابق الذكر (بالعبرية).

^{٦٦} نفس المصدر.

ما زالت ^{لسعيدة يونس}^{٦٧} زوجة يوسف عيسى تذكر أيام الحصاد في لوبية. في العام ١٩٩٥ زارت القرية لأول مرة منذ عام ١٩٤٨، وكان ذلك اليوم من أكثر الأيام سعادة وأكثرها حزنا في حياتها. بخلاف نساء آخريات، لم تخف سعادية من إجراء مقابلة معها وتحدثت عن الماضي دون تردد. كان حديثها، مثل باقي نساء القرية، حميمًا وأغنى بالتفاصيل من أحاديث الرجال.

"كنا نجمع الحبوب في مكان خاص لنرزمها في حل، ثم يأتي أحد الرجال مع جمل وينقلها إلى البيدر لدرسها. في نيسان، كنا نلقط الفاصلوليا والعدس والبيقية ونرسلها للدراسة بعد أن تجف. في أيار كنا نقوم بحصاد القمح والشعير."

كانت النساء تصنعن المواد من الطين (الصلصال) المجبول بالماء والمجفف تحت أشعة الشمس، وهذه المواد كانت وسيلة الطهي. وهناك نوع من التربية يدعى حزرية كان يستخدم لصناعة الجرار والأواني ^{الزروقية}. وفي هذا الصدد قالت سعادية: "حين كنت طفلاً لم يكن عندنا بريموس، كنا نطيخ ونتتفاً على المواد ونجمع لها الحطب من عيلبون والمغار. لم يدخل البريموس إلى لوبية إلا بعد ذلك بمدة، قبل تهجيرنا في العام ١٩٤٨". وفي أثناء الحديث مع سعيدية قاطعها يوسف ليضيف عباره معروفة كانت تستعمل لإعلان حلول موسم الحصاد: "في خمسطاعش أيار إحمل منجلك وشار". ويصادف أن الخامس عشر من أيار أصبح يوم ذكرى النكبة الفلسطينية.

كان يستخدم الجحش أو البقرة أو الحصان لتحرير لوح الدراسة، وذلك يتعلق بالوضع المادي للعائلة. كان الأولاد حسبما روى يوسف يقومون أساساً بسوق الحيوانات. قال: "كنا بعد أن نفصل بين القش والحب بالمدراة نضعها في أكياس منفصلة. كنا نحن نجني بين خمسة عشر وعشرين كيلا، نخزن منها مئونة السنة في كواير من الطين ونبيع الباقي. أما القش فنبيعه علها للحيوانات".

وتتابع يوسف ذكرياته عن أيام الحصاد: "أقوم أولاً بالصلة ثم أحضر الحمير والأحصنة ونذهب إلى الحقل. كنا نمشي حوالي الساعة وأكثر حتى نصل إلى أرضنا، ونكون في العادة خمسة أو ستة من أفراد العائلة. العائلات التي لم يكن لديها أولاد كانت تستأجر

^{٦٧} ولدت سعادية يونس في العام ١٩٣٠. أجريت المقابلة معها بتاريخ ١٠ تشرين أول ١٩٩٨، في كوبنهاغن بالدنمارك. لديها أحد عشر ولداً يعيشون اليوم في لبنان وسوريا والأردن وإسرائيل وكوبنهاغن. سعادية يونس هي والدة المؤلف.

مزارع بخمسة قروش . كنا نبدأ بالفاصوليا والعدس والكرسنة، التي كانت تتضمن قبل باقي المحاصيل ."

بعد الحصاد نجمع الحل، ويستغرق هذا عادة أربعة أيام. ومن ثم نقوم بنقل الحل
ب بواسطة الجمال إلى البider في لوبية. العائلات التي ليس فيها عدد كاف من الرجال كانت
تستأجر الصبيان في عملية الدراسة. وكان هؤلاء يعملون من الحادية عشر إلى الرابعة
بعد الظهر ويتقاضون كلًا واحدًا عن المحصول كله. كان جني الفاصلوليا والعدس
يستغرق عشرين يومًا، يأتي بعدها حصاد القمح ويستغرق شهر أيار كله ويستمر حتى
آب".

كنا نقول: إن فاتك آب وما ذريت كإنك بالهوا انغريت! وفي نهاية آب كنا نبدأ بجمع
الذر، ومن ثم البطيخ والبامية والبندوره والكوسا. وتعلمنا كذلك زرع المقطاه بعلاء. وفي
نهاية أيلول يأتي موسم شد الزيتون. لم يكن منتوجنا من الزيتون كافيا في العادة فكان
نشتري من عيليون والرامة. كان في لوبية مصترتان للزيتون، يملك واحد حسن دهيس
(المختار) والأخرى يملكها قوّاطين، وكان حجر المعصرة يحركه الحصان. كان صاحب
المعصرة يتقاضى جرة زيت مقابل كل اثنى عشرة جرة. كان الشركسي، اسمه الحقيقي
سعيد الشامي لكان أخوه ضابط في حرس الحدود البريطاني، يملك مطحنة للحبوب.
أصله من كفر كما. كان يتقاضى قرشين أو ثلاثة أو ربعة على كل كيل (الربعة هو كيل
لوزن الحبوب أو الطحين). ما زال حجر المطحنة في مكانه لكن مبني المطحنة نُمر بعد

وفي الشتاء كان يتم الاستعداد للموسم القادم فتذر الحبوب ويغرس الشتل . ذكرت سعدية يونس عن ضرورة الاستعداد للعمل في كانون أول : "إلى ما بشد بالجراد عند الصاليب بمرد" .

التعلمه:

كانت المؤسسات التعليمية في لوبية متواضعة، لكن إنشاء المدرسة ومحاولات تأسيس نادي ثقافي ومدرسة زراعية، تدل على وجودوعي بضرورة مواكبة الاحتياجات الحديثة للمجتمع الفروي، وخاصة لدى الجيل الشاب. أحد مخاتير القرية، مثلًا، اقترح إنشاء

مدرسة للبنات. وفي هذا الصدد قال يحيى الشهابي: "من الأجدى بالفتاة أن تتعلم فك
الحرف بدل أن تلهى برمي الحصى على جارها الشاب".

افتتحت المدرسة الأولى في لوبية في العام ١٨٩٦^{٦٨}، وقد مول الأهالي بناءها، وظلت
 تعمل طيلة فترة الانتداب البريطاني. كانت مدة البرنامج الدراسي فيها عامين فقط وكان
 ذلك يعادل المرحلة الابتدائية. وقد شمل منهاج التعليم في زمن الانتداب البريطاني
 المواضيع التالية: الدين، الجغرافيا، الحساب، العربية، الانكليزية (ببدأ تعليمها في الصف
 الرابع)، الرسم، والرياضة. وكان عدد الطلاب في كل صف عشرين طالباً^{٦٩}.

وكان في لوبية كذلك كتاب يعلم فيه الشيخ علي الشهابي الدين لأطفال القرية وأغلبهم من
 المسلمين، ويقوم بإعدادهم لدخول المدرسة الابتدائية. كان في الكتاب ستون طالباً، ولم
 يكن الكتاب خاصاً للسلطات الرسمية العثمانية أو البريطانية، ومع ذلك التحق به جميع
 صبيان القرية.

كان عدد قليل من التلاميذ يحظون بإتمام دراستهم في طبرية بعد الصف، وذلك لأسباب
 مادية. نذكر نايف حسن عن أبو دهيس أنه كان يقول لولده: "أبيع أمك وأخواتك لأجل أن
 تتعلم". وقد باع البعض قطعاً من الأرض لأجل تعليم أولادهم. حوران عبد الرحمن هو
 مثال جيد على ذلك، فقد باع في الأربعينيات قطعة من الأرض وأبقاراً لكي يدفع تكاليف
 الدراسة لولده في الجامعة الأمريكية في بيروت. لكن النقود لم تكف فعاد ابن عبد
 الرحمن إلى القرية. وقد التحق شابان آخران بجامعات خارج البلاد هما محمد خليل عبد
 القادر وفوزي أبو دهيس.

بعض اللوببيين، كطاهر محمود حسين (أبو طلعت) ترك التعليم منذ صغره. يمتاز أبو
 طلعت بحس الفكاهة والسخرية من الماضي، ولم يدخل في تقديم التفاصيل العديدة عن
 الحياة في القرية. ذكر أنه تعلم حتى الصف الثاني فقط وترك المدرسة لأن "الناس لم تكن
 تكثر بالتعليم في ذلك الوقت".

^{٦٨} الكتاب السنوي، اصدار وزارة التربية، ١٣٢١، ص ٤٤٣ (بالإنكليزية): Ministry of Education, Yearbook, 1321, p. 443.

^{٦٩} يذكر تقرير الهجانة أَم عدد الطلاب في المدارس الحكومية كان ١٣٥ في العام ١٩٤٢-١٩٤٣. انظر لوبية، (قضاء طبرية) ١٩٣٤-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر (بالعبرية).

قال: "في يوم من الأيام رجعت من المدرسة وأنا أبكي، فسألتني أمي وكانت تحبني كثيراً، عما جرى. قلت لها ضربني المعلم. فحملت عصا وهجمت على المدرسة لتهدم المعلم وتنوّعده. فرحت جداً. كان معلمو المدرسة احمد عفيفي وسامي خوري والشيخ مصطفى عنتباوي. كنت أقضي وقتى بالحقول أرعى البقر والغنم، أشرب الحليب الطازج، أركب الخيل، وأزور الجيران".

كانت المدارس بمثابة شبكة تربط بين القرى والبلدات المجاورة بما فيها الناصرة، التي كان يأتي منها معظم المعلمين. قال نايف حسن: "كنا نتنافس مع مدارس الناصرة في الألعاب الرياضية المختلفة، مثل كرة القدم والقفز". دخل نايف حسن المدرسة عام ١٩٣٢ وكان عمره سبع سنوات، وظل فيها حتى الصف الرابع. قال: "مرة جلب لنا مدير المدرسة فمCHAN رياضة ولم نكتشف أن عليها رسم نجمة داود إلا بعد أن ضحك علينا الناس في الناصرة. لا أعرف لماذا لم يعرض المعلمون الآخرون، محمد عبد القادر وسفريني، على ذلك". وحکا نايف قصة أخرى مضحكة تعكس الحياة المدرسية في القرية قبل نصف قرن: "حين توفي الشيخ مصطفى جاء محله شخص اسمه عبد الله. دخل الصف وسألنا عن برنامج اليوم فقلنا له: إملاء. قال: ها! وعندما فتح فمه رأيت أنه ليس عنده أسنان فاندفعت ضحكاً. اقترب مني دعس على قدمي بحذائه وضربني وقال أصبح عمرى ٤٥ سنة ولم يضحك على أحد!"

مازال يوسف الماني^{٧٠} ويوسف عيسى يتذكراً أن أمر قائد الثورة عز الدين القسام بأن يرتدي الجميع الكوفية العربية ويمتنعون عن ارتداء الطربوش التركي التقليدي، وقد احترم هذا الأمر في فلسطين قاطبة. قالا: "كان المعلمان محمد وسفريني يرتديان الطربوش لكنهما استبدلاه لاحقاً بالحطة والعقال".

"وكان عندنا معلم من صفد اسمه نجيب الخضرا كان يجبرنا على الركض من الصف إلى وادي الشومر حيث وقعت معركة صلاح الدين ضد الصليبيين. لم يكن أحد في القرية يستمع إلى نصائح المعلمين".

^{٧٠} يوسف الماني من مواليد عام ١٩٢٨. أجريت مقابلة معه ومع محمد عيسى عام ١٩٩٥، بالنمسا.

قال إبراهيم شهابي^{٧١}: "كنا نتشارج مع أطفال آخرين خصوصاً أولاد العطوات. نجمع الحصا وننفخها عليهم بالنفحة، ونتقلب عليهم بالعادة. وفي يوم من الأيام بعد عراك بيننا، جاء مختارهم وكلم والدي، فحضر والدي مباشرة إلى المدرسة وطلب من نصري أن يأخذ جميع الطلاب إلى الداخل ويبيقي على أولاد العطوات والشهابية فقط. أمرنا بالرکوع على الأرض المرصوفة وأخذ يضرينا بقوسون. كان ينالني قسط من الضرب زيادة عن الآخرين. وبعد انتهاءه من الضرب سلموني للمعلمين ليكلموا. الواجب. ظلوا يضربوني من الثامنة صباحاً حتى الثالثة والنصف بعد الظهر. بعد ذلك أصبحنا أصدقاء. ما زلت أحن حتى اليوم للتصرف بشقاوة الأطفال، كما كنت في لوبيه".

كان مسؤول باومان مراقب المدرسة في بداية الأربعينيات، وكان مدراء المدرسة سامي خوري ونصري نخلة وكلاهما من الناصرة. وكان من معلمي المدرسة، حسب إفادات اللوبيون، عبد الله ~~الطربيل~~ ومحمد عبد القادر من طبرية، عبد الرحمن حجو ومحمد جوهر من لوبيه، ونجيب الخضرا من صفد، ومحمد السفريني من سفرين في الضفة الغربية، ومصطفى العنباوي من عنبا، وكان الأخير معلم مادة الدين.

هناك اختلاف بين أسماء المعلمين التي ذكرها اللوبيون وبين المعلومات المذكورة في وثائق الهاغانا المخابراتية. تذكر هذه الوثائق: نصري نخلة من الناصرة وكان أيضاً مديراً، ومحمد علي فاهوم من الناصرة، وحسن الحاج من صفد، ومحمد عبد القادر من الرينة. وبالإمكان تفسير هذا الاختلاف بكون اللوبيون يتذكرون المعلمين الأوائل وليس من تلامهم.

أبو عصام صاحب المذكرات عن لوبيه كان معلماً في لوبيه ومديراً في عيلوط والناصرة. وقد ذكر ابنه هشام معلومات أكثر عن عمل والده في لوبيه وكذلك بعد النكبة. قال: "لقد درس والدي مرة واحدة في لوبيه. كان قد حصل على شهادته في العام ١٩٣٣ من مدرسة كدوري^{٧٢} الشهيرة ومن ثم درس في المنسي وعرابة وسمخ وعيلوط. وبعد أن استقال

^{٧١} إبراهيم الشهابي من مواليد عام ١٩٣٣، أجريت مقابلة معه ومع يوسف اليوسف بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٩٨. لقد سمعت عن إبراهيم في فلسطين حين بدأت بحثي؛ إذ أخبرني صالح جود من جامعة بير زيت عن مخطوطه وصلته من شخص اسمه إبراهيم شهابي يقيم في دمشق. وحين التقيت إبراهيم في سوريا كان كريماً معي وقام لي جميع وثائقه المتعلقة بلوبيه بما فيها كراس عن لوبيه نشره عام ١٩٥٤.

^{٧٢} أست مدرسة كورني في مدينة طولكرم بهدف استقبال الطلاب العرب واليهود دون تمييز، إلا أنَّقيادة الصهيونية رفضت أن يتلerner اليهود سوى باللغة العبرية فتم افتتاح مدرسة أخرى بنفس الاسم لغة التعليم فيها العبرية. وكان هذا منسجماً مع سياسة الانفصال الصهيونية التي عبر عنها دافيد بن غوريون (أحد أبرز قادة اليهود في فلسطين وأول رئيس حكومة

مدير مدرسة عيلوط بسبب الاعتداء عليه بالضرب وتعرضه للسرقة، تسلم والدي مهامه.
وقد حازت المدرسة على المرتبة الأولى في الجليل.⁷²

كان في لوبية ناد ثقافي أيضاً. في ٢٩ تموز من عام ١٩٤١ أرسلت مجموعة من القرية معروضاً إلى مساعد حاكم لواء الشمال في طبرية وحاكم لواء الجليل في الناصرة تطلب فيه الموافقة على إنشاء ناد ثقافي في القرية.⁷³ ومن ثم أرسلت عدة رسائل أخرى لتوضيح أهداف هذا النادي. وكان من المخطط أن ينتمي النادي إلى المجلس الثقافي البريطاني في فلسطين.

كان أعضاء اللجنة: فوزي الشهابي (رئيساً)، حافظ صالح يحيى (نائب الرئيس)، محمد لافي كايد (سكرتير)، نايف يحيى شهابي (مدير المالية)، حسين علي ياسين (مراقب). وقد وقع على الطلب الأول فوزي محمود الشهابي ونايف الشهابي. إلا أن هذا الأخير طلب إعفاءه من مهامه في ٨ آب ١٩٤١.

وبعد عدة أشهر على إرسال المعروض الأول وقع ثلاثة شخساً من أعضاء النادي على معروض آخر يحتوي على لائحة نظام النادي المكونة من عشرين بنداً. وقد رُوِّس المعروض بالتالي:

اسم الجمعية: نادي لوبية الثقافي
العنوان: قرية لوبية - طبرية
أهداف الجمعية: تشجيع التعليم والزراعة والتجارة والتطوير.

وقد ذكر في المعروض أن الطلب مقدم بموجب البند السادس من القانون العثماني الخاص بإجراءات تأسيس الجمعيات وأنظمتها. في ٢ شباط ١٩٤٢ أرسلت قيادة الشرطة الإقليمية في طبرية ردًا على مساعد حاكم اللواء: "لست متشجعاً جدًا من تأسيس مثل هذا النادي في لوبية، فالموسسون غير موثوق بهم ويملؤن إلى إثارة الشعور الغامق". وكان ذلك

لإسرائيل) في خطابه أمام اللجنة التنفيذية للمجلس العام ليهود فلسطين (أعاد نومي)، في أيار عام ١٩٣٦؛ "إذا أردنا بعثاً عبرياً مائة بمالها يجب أن يكون استيطاناً عبرياً مائة بمالها، ومزارعنا عبرية مائة بمالها، وميناؤنا عبرياً مائة بمالها". اقتباس من مذكرات بن غوريون ورد في: مصالحة، مصدر سابق النك، هامش ٤٠، ص. ١٧؛ المصدر العربي في:
مذكرات بن غوريون، المجلد الثالث، تل أبيب: عام عوفيد، ١٩٧٢-١٩٧١، ص. ١٦٣.

⁷³ الرسائل محفوظة في وثائق حكومة الانتداب في الأرشيف الحكومي الإسرائيلي، وتعود على التوالي إلى الأعوام ١٩٤٢-١٩٤٥: R/3634, 8073/N, R/3624, N/13657, P323/524.

على أثر مشاركة لوبية في الثورة بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩، كما سنبين في الفصل
السابع.

لم يأت الاعتراض الوحيد ضد النادي من الشرطة، فقد احتاج أيضاً مخاتير القرية على الفكرة لأنها تهدد بنظرهم السلطة التي كانوا يمنحهم إياها النظام الاجتماعي الأبوي السادس آنذاك. وقد تبين لنا ذلك من رسالة بعثها رئيس النادي فوزي محمود الشهابي إلى نائب حاكم طبرية يشكره فيها على دعمه بالرغم من اعتراضات بعض القرويين.

ويمكن أن نستنتج من رد حاكم لواء الجليل أن الاعتراض على إنشاء النادي جاء على خلفية سياسية، إذ كتب يقول: "يمكن للشرطة الاعتراض على أشخاص حكم عليهم جنائياً في السابق أو سحب حقوقهم في المواطن أو كانوا تحت العشرين، وذلك حسب الجزء الخامس من قانون الجمعيات. أرى في الفقرة الأولى من نظام النادي السماح لشبان في الثامنة عشر من عمرهم الالتحاق بالنادي، وهذا غير مسموح به. لذا أطلب من القيمين على المشروع تعديل البند ليصبح الحد الأدنى المطلوب عشرين عاماً بدل ثمانية عشر". وبعد القيام بهذا التعديل تم الحصول على الموافقة الرسمية من حاكم لواء الجليل د. هيلتي

بتاريخ ٢٤ كانون ثاني ١٩٤٢.

نزاعات داخلية

كانت النزاعات الداخلية فيما بين اللوبين قليلة نسبياً، خاصة عندما تواجه القرية تحديات خارجية. معظم هذه النزاعات كانت ذات طابع مؤقت وتنور حول العلاقة مع سلطات الانتداب أو المسؤولين الصهابيين، أو حول علاقات الزواج والأراضي. ينكر المسنون الذين قابلتهم أوقات فرح في حياة القرية وكذلك أوقات عصبية.

كان المختار هو الذي يحل في العادة مشاكل القرية الداخلية. أخبرني أبو ماجد أن رجلاً قدم من الجاعونة وبات ليلته في بيت المختار. وفي الصباح حين كانا يشربان ^شالقهوة سمعاً رجلاً في الخارج يصرخ ويتوعد بقتل السارق. كان قد فقد ثلاثة سكك فلاحه. خرج المختار وأعطاه ثلث ليرات فسكت الرجل وانتهت القصة. وعندما سأله الضيف المختار إن كان يعرف السارق، قال: لا، إنما أعطيت الرجل نقوداً لتفادي نشوء شجار قد يؤدي بحياة أحد منهم. ثم سمع الحضور المختار يقول إنه خلال عشر سنوات على توليه المنصب لم تحدث أية عملية قتل كانتقام.

كان الفلاحون يتبعون تقاليد الصلحة لحل الخلافات بينهم. فإذا حدثت عملية قتل كان القاتل يظهر أمام حمولة الضحية ويفدي بحياته لأجل الصلحة، فتقوم عائلة الضحية عادة بالغفران عنه وطلب الفدية نقداً.

أخبرتني أم حسن قصة عن "رجلين من سخنين قتلا حسين حجو بالقرب من عيلبون". في البداية شك أقاربه بأن القاتل من عيلبون، لكن القاتل الحقيقي جاء لاحقاً إلى القرية ووقف أمام مائة رجل رافعاً منديله، وقال: أقتلوني إن أردتم فقد ارتكبت خطأ وأطلب العفو. فشرعوا بعقد الصلحة.⁷⁴

كانت تحدث أحياناً خلافات داخلية تؤدي إلى إبعاد حمولة ما أو أحد أفرادها عن القرية. حصل هذا مع الشهابية. روى أبو ماجد عن أبناء علي الشهابي الخمسة، قال: "كانوا متكتلين وكلما تعرض أحدهم لمشكلة ناصره أخوه، وابعدوا عن لوبيبة بعد أن قتل أحدهم العطعوط (لقب لرجل طويل نحيف وخمول)، فلجئوا إلى قرية نقع جنوبى لوبيبة وتدعى اليوم كفر كما وكانت لقبيلة بني صقر".

"لكن هذا الإبعاد لم يردعهم فتعرضوا مرة لشخص من حمولة العصافرة وقتلوا لمجرد كونه من لوبيبة. وما زاد من تعقيد المشكلة أن الشيخ يونس (الذى خلف الشيخ أحمد الرُّحِيل) أمر شخصاً اسمه جودي بحرق مضارب الشهابية انتقاماً لمقتل الرجل، فأرسل الشهابية قصيدة إلى جودي يحزرونها من تنفيذ أوامر الشيخ، تقول: 'جودي لا تهدى البيت تتعب، يجيك شهاب يسفيك سَمَّ عَرْبٌ'."

"لقد وفر بنو صقر الحماية للأخوة الخمسة واستمر بإعادتهم حتى جاء قائمقام جديد اسمه عقيل الحاسي. مرّ الحاسي بجانب بيت يحيى، أحد الأخوة، فقام هذا وأوقفه ودعاه لتناول الغداء وذكره بأن مناصرة الأخوة له ضد رغبة أهالي القرية كانت سبب النزاع الذي أدى إلى مقتل العطعوط. وبعد سماع هذا الكلام قرر الحاسي التدخل مع عائلة القتيل من أجل عقد الصلح."

⁷⁴ ظل أهل لوبيبة يكتون مشاعر العداء لأهل سخنين. تقول أم حسن إن رجلاً من سخنين طلب يد بنت اسمها خضرا من لوبيبة فاعتراض أبوها على الزواج قائلاً أنهم لا يعطون ابنته للعدو.

"عندما سمع أهالي الضحية بقدوم الحاسي صعدوا على أسطح المنازل وبدعوا ينترون القش عليه علامة رفضمهم لمساعيه. أراد رجال الحاسي قتل النساء اللواتي قمن بإيساءة قائدتهم برمي القش، إلا أن الحاسي ردع رجاله عن ذلك قائلاً: إن من يسير في هذه الطريق عليه تحمل النتائج. وفي النهاية تمت المصالحة وعاد الشهابية إلى لوبيه."

وحصل شجار عاثلي آخر في العام ١٩٤٤، ما زال يذكره اللوبيون، أودى بحياة مجاهد معروف هو صالح رقية. روى أبو طلعت: "لقد ضرب صالح رمزي ابن المختار، فلكله ذلك حياته. عندما عاد إلى القرية قُتل بعيار وزن حديدي كان مسعود، وهو قريب عمي حسن، يستعمله في نكائه".

كان يوسف اليوسف شاهد العيان الوحيد على ما حدث وقد روى لي ما يلي: "قال صالح لمصطفى: إذا نجوت من هذه الضربة سترى ماذا سأفعل بالعطاوات. أراد الانكليز شهادتي. قالت لي جدتي خضرا: قل لهم إنك لم تر ولم تسمع شيئاً وإلا أحرق العطاوات منزلنا وزيتوننا. لكنني رفضت أن أبقى صامتاً وقدمت شهادتي بما حدث في مسافة يحيى السعيد".

كان أبو طلعت يحترم صالح لنضاله ضد البريطانيين والصهاينة وقد بذل جهده في إصلاح الأمر بين الرجلين اللذين كانا رفقاء في نفس المجموعة من المجاهدين. قال: "كان صالح رجلاً شجاعاً إلا أنه عند طلبت منه أن يأتي معي إلى عمي حسن أبو دهيس المختار، لكنه رفض. لو قبل المصالحة لما لاقى هذا المصير المؤسف".

وقال يوسف اليوسف: "جرت المصالحة بين عائلة صالح وحسن أبو دهيس بواسطة سليمان عطية، والد زوجة صالح وشيخ حمولته، إلا أن أبناء حسن أبو دهيس لم يكونوا راضين. لقد رأيت "القلة"، أخو صالح، يرفض المصالحة لكنه وافق في نهاية الأمر وقبل مصافحة رمزي. كانت القرية كلها مع الشناشرة".

وروى أبو ماجد قصة عن جد الشهابية، شهاب. قال: "تزوج شهاب من امرأتين ورزق بولد من الأولى اسمه علي وبولد من الثانية اسمه صالح. في تلك الأيام كان زواج البدل مقبولاً. التقى علي الشهابي بأشخاص من عائلة الكيلاني وعرض عليهم أن يعطيهم ابنته ويأخذ ابنته، فقبل الكيلاني بالعرض معقددين أن الرجل في الثمانين من عمره ولا بد أنه سيموت قريباً ويتراك ثروته لابنته فتعود حينها ويتزوجها واحد منهم".

"اعتراض صالح على مراد أخيه الكبير وضربه، فأستكى علي إلى الشيخ أحمد الرحيل، فطلب هذا قدوة صالح إلى المضافة وأمر بتحضير مشعل وأخذ علي وأخيه إلى أهل العروس لكتب الكتاب. وحين سأله الشيخ صالح إن كان موافقاً الآن، قال نعم سيدتي. تم ذلك حوالي العام ١٨١٢-١٨١٥، وزرعت الحلوى في العرس وأنجب الشيخ الثمانيني خمسة أولاد، بينما أنجبت ابنته ابنتين جذب، هما حسون ونوف."

كان اللوبيون يحلون مشاكلهم فيما بينهم دون تدخل من قبل السلطات العثمانية أو البريطانية ما عدا في حالات القتل، كما نبين في قصة اعتقال وإعدام حسن طاه. وقد أعرب بعض اللوبيين الذين قابلتهم عن شعورهم بوجود معايير مزدوجة لدى البريطانيين، وساقوا على ذلك مثال مصطفى أبو دهيس ابن المختار الذي استطاع إخراج أخيه رمزي من السجن حيث كان ينتظر تفويذ عقوبة الإعدام بحقه بعد قتله لصالح رفقة. ويعزى اللوبيون الأمر لعلاقات مصطفى القوية بالبريطانيين.

وبخلاف الصورة التي رسمها إبراهيم الشهابي عن حياة انسجام ووئام بين العائلات الكبيرة في القرية، قدم آخرون صورة عن حياة كانت تطغى عليها نزاعات العائلتين الكبيرتين، الشهابية والعطوات. قال أبو طلعت: "كانت القرية تعيش في ظل هذه النزاعات وكان الشهابية فقراء بالمقارنة مع العطوات الذين كانوا ملوكاً وأصحاب ورش صناعية صغيرة".

وأضاف: "بدأ الخلاف في الثلاثينيات من القرن العشرين نتيجة محاولة إجبار فتاة جميلة على التزوج من رجل عجوز من الشهابية، فرفضت وهربت مع عشيقها فايز الفواز إلى الأردن. ثم عاد العاشقان إلى طبرية وأقاما فيها إلى أن عثر عليهم عم الفتاة حسن طاه فقام بحرق البيت وابنة أخيه في الداخل. وقد نفذ البريطانيون عقوبة الإعدام بحق حسن طاه في سجن عكا. وكان لهذا الحادث أثر سيء على جو العلاقات الاجتماعية في القرية، وهو نتيجة لجهل الناس في تلك الأيام".

•

ويقول نايف حسن إن الخلاف بين الشهابية والعطوات ظل مستمراً بعد التهجير، إذ "امتنع الرجال، وخاصة الشبان، عن حضور أعراس العائلة الأخرى". وقد فسر نايف حسن استمرار هذا العداء في المنفى بالجهل، وقال: "إن على المتعلمين أن يقودوا المجتمع بدل المخاتير... كان الناس في مستوى تعليمي منخفض، لم يكن أي من المختارين أبو دهيس وفواز متعلماً بشكل جيد".

وكان نزاعات حول الأرض في العشرينات، أقيمت لجنة لحل الخلافات المتعلقة بالأرض: تحدث يونس الألماني عن نزاع شيق بين رجلين من عائلتين مختلفتين، هما محمد عزام ومحمد حسين الشهابي. قال: "اختلف الفريقان حول قطعة أرض في منطقة الفايق، ولم تكن آنذاك حدود الأراضي واضحة. وكان محمد الشهابي من عائلة كبيرة ذات نفوذ في القرية بينما كان محمد العزام من عائلة كبيرة أيضاً لكنها ليس بوزن الشهابية. وقد وكل الشهابي أحمد الشقربي (أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية) للدفاع عنه في المحكمة، بينما وكل عزام محام مشهور آخر هو حنا عصفور".

"وبعد عقد جلستين في المحكمة في طبرية لم يعد بمقدور عزام الذي خسر القضية رسمياً أن يتحمل تكاليف إضافية للمحكمة والمحامي فتوجه إلى لجنة الأراضي في القرية لتدرس القضية وتبث فيها. وفي الاجتماع سأله عزام الشهابي عن نوع الأشجار المغروسة في الأرض، فقال هذا: زيتون وتين. أما عزام فقال إنه زرع الكرمة. فذهب أعضاء اللجنة إلى الأرض للتحقق من أقوالهما وقلبوا التربة فوجدوا جذور كرمة ولم يجدوا أثراً للتين أو الزيتون، فحكموا لصالح عزام وأعادوا له أرضه."

الأعراس والاحتفالات:

إن للأعراس مكانة خاصة في حياة اللوبين، فلم يكن العرس بداية حياة جديدة لأبناء وبنات القرية فحسب، إنما مناسبة لانتقاء العزاب وتقصي إمكانات الارتباط بأحد الأقارب أو الأصحاب من القرى المجاورة أيضاً. قالت زهرة إبراهيم خليل⁷⁵ زوجة أبو طلعت مختار اللوبين في الأردن: "لم نكن أغنياء لكننا كنا نشعر بالفخر، وكانت مناسبات الأفراح هذه تجمع بين الأقارب والأصحاب وتدخل البهجة إلى قلوبنا".

كانت الأعراس تدوم عدة أيام وتمتد أحياناً على مدار أسبوعين، وذلك حسب مكانة العرسان. فقد دام عرس مصطفى أبو دهيس مثلاً، وهو ابن المختار، مدة أسبوعين كاملين، بينما دام عرس أبو طلعت أسبوعاً. وقال أبو طلعت: "كانت حفلة كبيرة شارك فيها الجيران وأبناء القرية جميعاً". وروى أحمد حجو⁷⁶ (أبو حسن) الذي تزوج في العام ١٩٣٥ إنه أراد أن يكون عرسه كبيراً، قال: "جرى عرسه في الميدان بجانب بابور

⁷⁵ زهرة إبراهيم خليل من مواليد عام ١٩٢٣. أجريت مقابلة معها بتاريخ ٦ نيسان ١٩٩٦، في إربد بالأردن.

⁷⁶ أحمد حجو (أبو حسن) من مواليد عام ١٩٠٤. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١١ أيلول ١٩٩٥.

الشركسي . وسارت فيه أكثر من ثلاثة فرساً " كان الضيوف يجلبون الهدايا كالغنم والبقر . أما العائلات الفقيرة فكانت تقدم هدايا من محاصيلها الزراعية كالزيتون والذرة وما شابه .

لقد كان للنكبة أثر عميق في نفس الكثير من اللوبين ، وقد طغت على ذكرياتهم الجميلة عن لوبيه . رفضت تمام عجاینة (أم حسن) مثلاً أن تتحدث عن لوبيه ، وطلت تقول : "لوبيه راحت " . كان لها ولدان توفيا في وقت باكر . الأول لدغته أفعى والآخر وقع عن الحصان . وتوفي لها ولد ثالث بالسرطان . حاولت أن أقنعها بالتحدث على مدار شهرين أثناء إجرائي للبحث في الجليل ، إلا أنها رفضت وطلت سألي عن مصير بعض المسنين الذين غادروا إلى لبنان أو سوريا . ثم انبثق عنها الكلام فجأة ، فبدأت تحكي عن عرس جرى في حارة العطوات في لوبيه ، وتنكرت الكثير من أغاني الأعراس ونبذ عن حياة القرية . كانت القصة الأولى التي تذكرتها تخص خلاف بين مغنيين (هدایة) من دير الأسد وحطين . وقع الخلاف لأسباب عائلية تتعلق باحترام عادات الزواج ، فالعادة كانت تقضي بالتزوج من داخل الحمولة .

كاس انصب على المصب
ولا تعاديني يا من صب
قهوة سودا حجازية
للأندية بتتصب
يا من صب لا تعاديني
وبنت عمي بتحميوني
معها سيف وسكينة
بتخلّي دمك يتبعثر
قومي اطلعى ويش عليك
خلي الحكى مني وليك
كانك زعلان برضيك
مندل جناح الورور
مندل ما أنا رايديك
وللي الأزر عر بقتلك
أخلي أخوي يسبلك
طيش راسك بالحجار
خلي أخوك يلاقيني

يا بسترجي يحاكيني
 معاي سيف وسكينة
 بخلي دمه يتبعثر
 قومي اطلعى ويش عليكِ
 خلي الحكي مني واليكِ

ثم روت لي أم حسن عن عرسها في لوبية. قالت: "لقد تزوجت في العام ١٩٤٢، وكان عمري ثلاثة وأربعين عاماً حين غادرنا لوبية. كان زواجي نتيجة تبادل مع عائلة زوج اختي محمد إبراهيم. واستمر العرس أسبوعاً وشارك فيه الجيران وأهل البلد".

"عشت في منزل واحد مع زوجي عبد الرحمن وأخوته الخمسة وهم عيسى وعبد الرحيم ومحمد وعيد وعaidu. جميعهم كانوا متزوجين في الدار ويعيشون مع زوجاتهم وأطفالهم. كان الضيوف يعتقدون أننا أخوات. كانت الزوجات من عائلات مختلفة. غزالة الوحش كانت من المغار".

"كان في الدار قاع داخلي وفوقه سدّة مفتوحة، من يجلس فيها يشعر أنه في العالى. كانت القرية تحسد الأخوة الستة. زوجي كان الأصغر بينهم وكان الأقوى أيضاً. كان مختارنا محمود حسين (والد أبو طلعت)، وكان له أربع زوجات. يوسف الموسى كان له ست زوجات". آخرون أفادوا أيضاً أن محمود حسين كان له أربع زوجات، لكن ليس معـاً.

وقد روى نايف حسن من الأردن، طرفاً عن أعراس القرية. قال: "أراد سعيد يونس أن يتزوج، وكان المأذون عوض أبو دهيس فنادى علينا لنكون شهوداً على عقد القرآن، فقمنا بذلك وكنا أطفالاً لم نتجاوز السابعة من عمرنا بعد!"

تصف قصص زهرة بعض نواحي بنية العائلة والعلاقات الأبوية السائدة في ذلك الوقت. قالت: "تزوجت في العام ١٩٤١ وعشنا أنا وزوجي في بيت من ثمانية أعمدة وأربع قناطر مع عمي رشيد. قام جدي بتقسيم الدار إلى قسمين لأنه كان على خلاف مع عائلته. وعندما بلغت العشرين رفض عمي زواجي من شخص غريب عن العائلة. وكانت عائلة عمي هذا تسكن بمحاذاتها ولم تكن بيننا كواير اسمنت فكنا نسمع أصواتهم حين يتحدثون فيما بينهم. كان أخي خطيباً لابنهم و كنت أنا خطيبة لابنهم، ودام ذلك ستة أشهر".

"وفي أحد الأيام اختفت من منزلنا قطع من ثياب فاشتكى والدي للبوليس البريطاني فوضع خطيبه في السجن مع أخيه الذي كان يلقب بليشو. وبعد خروجهما من السجن طلبت منهما زوجة عمي عايد بأن يعطوها الثياب لقول إنها هي التي سرقتها، لكنهما رفضا الاعتراف بالسرقة حتى أمامها. لكن أخي الصغيرة كانت متأكدة أنهاهما السارقان. فذهب أخي محمود خطيب أموني ابنه عمي إلى دار عمي وأخذ ثيابها ليriadها بالثياب المسروقة. فوافقوا حينها على التبادل لكن أبي قال إنه لن يسمح بكتابة كتابي على ابنهم. وهذا ما حدث. خطب أبي فتاة أخرى لأخي كانت مخطوبة لأبن عمي، وفسخ خطوبتي. تزوجت من زوجي الحالي وأخي تزوج من أخيه. كان مثل هذا التبادل مقبولاً في ذلك الوقت."

كان جميع أفراد العائلة يشاركون في التحضير للزواج. قالت زهرة: " كانوا يحضرون للعرس أيام عديدة قبل اليوم الكبير. كانوا في الأول يدعون القرية كلها، وفي وقت لاحق أصبحت العزيمة تقتصر على جiran العروس والعربيس فقط. كان الرجال يدعون رجال القرية ويدعون الدبة⁷⁷ الشعبية الفلسطينية الجميلة".

"كانت ليلة الحنا تقام للعروس وللعربيس. يوضع الحناء على يد العريس اليمني وعلى أيدي العروس كلتيهما وكذلك على أرجلها ورأسها." ثم ردت زهرة أغنية الحناء:

حنوا العريس ولا تحنوا ديّاتي
ما أحلى النوم بحضين البنياتي

يللمي يللمي يا أمي < هاتيلي مخداتي
طلعتي من داري ما ودعت خياتي

يالاهلي يالاهلي ما يجبر لكم خاطر
شنو اللي عماكو عن ابن العم هالشاطر
شنوللي عماكو عن الخالي والعمي

ومن ثم يتتابع العريس في الغناء:

⁷⁷ يعرف الليبيون خمسة أنماط من الدبة: الشعراوية، التصيرية، الشمالية، المغربية، الانكليزية.

وأعطيتني بنتك يا اسماعيل، وابشر بعجة الذخير

وبعد ذكر هذه الروايات والأغاني، قالت زهرة في خاتمة المقابلة إنها لم تغادر منذ غادرت فلسطين في العام ١٩٤٨.

وقد تذكر نايف حسن أيضاً، مثل الكثرين من أبناء لوبية المسنين، أغاني أعراس. قال: "كانت النساء تدبّن وحدهن، وكان الرجال يجلبون العروس من دار أبيها وتتبعهم النساء بالزفة والغناء والرقص".

زلّوا زلّوا يا نصارى
زلّوا عن الدرب زلّوا
تنمرق بنت الأمارة
يمرقوا الداعين كلّن

نکد: [MF24]

وقال نايف: "كان في القرية شخص مسيحي واحد اسمه نصري نخلة، وكان يغضب بشدة لسماعه هذه الأغنية. لكن الناس كانوا يقولون له إنها مجرد أغنية لا أكثر!"

وروت زهرة عن تجهيز العروس، فقالت: "في صباح العرس يقوم اللحام بتحضير المنسف [طبق من الارز ولحم الضأن واللبن المجفف] الخاص بالعرس ويرسله إلى دار أهل العروس. وخلال النهار يعني الرجال للعروس على ظهر الفرس وهي تحمل في يدها منديلاً أبيض، علامة العفة والطهارة وصونها لشرف العائلة. وبعد الظهر يتتحقق العريس بالاحتفال. يرفع الغطاء عن وجه العروس ويستمر الاحتفال بعد ذلك إلى حين. ومن ثم يغادر الضيوف ويتركون العريسين وحدهما. كانوا يضربون العريس أربع أو خمس مرات مزاحاً، تشجيعاً له ليدخل إلى عروسه".

٤٣

وقد ذكر المسنون بالإضافة إلى الأغاني والدبكة وما إليه، استعراض الفرسان الذي كان يجري في الأعراس. قال أحدهم: "كانت الفرس تأتي من القرى المجاورة وليس من لوبية وحدها وتجمّع في ساحة تدعى زاتونات الشنبishi شرقى مطحنة أبو دهيس. وكان العريس يجلس هناك ويقوم الفرسان بالاستعراض أمامه. مرة حين كان عبد الرزاق على ظهر فرس في أحد الأعراس جنّت الفرس فسقط ومات، لكن العرس استمر رغم ذلك.

كان أخوه قد أشتروا الفرس من منطقة تدعى تل الفرس وأصبحت القصة عبرة عند اللوبين".

"وكان المغني، وهو في العادة شاعر أيضاً، يحضر بعد الظهر ومعه رجال القرية. كان بربيش يضع علامة على فرس العريس ليحميه من العين. وجرت العادة بأن تخاط بدلة العريس بخيط من دون عقد وكانت تفرغ زجاجة من عطر اسمه ميكادو على بدلة العريس وزجاجة عطر آخر على رأسه. كانوا يشترون العطر من دكان محمود شرعان. كان عند عوض أبو دهيس مسدس على شكل عصا المارشال، يطلق منه النار في الأعراس. كانوا نعجب بشدة من هذا المسدس حين كانوا صغاراً. كانت الحياة بسيطة وبدائية لكنها كانت جميلة".

وقد اختلفت عادات الحياة الاجتماعية في القرية عنها في المدينة. قالت زهرة: "كانت العادة أن تذهب العروس للعين لجلب الماء في الصباح الأول بعد ليلة العرس. وكانت مريم عباس وأصلها من طبرية تسخر من هذه العادة وتقول إن أهل المدينة في طبرية عندهم حنفيات في البيوت، وإنه لم يكن على العروس في طبرية أن ترمي الزباله خارج الدار أو تذهب إلى الخباز لشراء الخبز!"

استمرت هذه المشاهد في حياة اللاجئين خارج لوبية لفترة ليست بعيدة، لكن استحوذ الثورة على المخيمات جعل الأغاني والاحتفالات الثورية تحل محل التراث الشعبي.

الفصل الخامس

علاقات لوبية بالجيران

"إلى بيتزوج أمي بصير عمي"
(مثل)

لقد ارتبطت لوبية بشبكة علاقات اجتماعية واقتصادية مع القرى الفلسطينية المجاورة، وكان تماسك هذه العلاقات يبدو واضحا في أوقات الأزمات. ما زالت ذاكرة هذه العلاقات حية إذ أشار العديد من الفلسطينيين خلال زياراتي للجليل إلى شجاعة اللوبين وبأسهم. وقد سمعت شهادات مشابهة من عدة ضباط يهود شاركوا في احتلال لوبية. قال ناحوم عبو: "إذا ذكرت اسم لوبية يتذكر الناس فوراً قرية شجاعة... لقد تميز اللوبيون بين أهل القضاء بصمودهم، وكانت كلمتهم مسموعة عند أهالي باقي القرى."

اشتهرت لوبية بازدهارها وكرمها وحسن الضيافة فيها. وكان الزوار يقصدونها للمبيت أو لتناول الطعام أو لتقديم العلف لحيواناتهم. وكان لكل حمولة مسافة يتناول فيها عابرو السبيل والباعة المتجولين طعامهم أو يقضون ليلتهم. وينظر أهل لوبية أن القرية كانت دائماً مليئة بالزوار.

وينذرون أيضاً علاقتهم بجيرانهم اليهود. قال يوسف عيسى: "كنا ندعوه جيراننا اليهود لاحتساء القهوة حين كنا نعمل بجانب بعضنا البعض في الحقول... كنا نسلم عليهم وكانت التجارة بيننا ممتازة، وكانوا في الأوقات الصعبة يرسلون الوفود إلى مخاتيرنا طلباً للمحافظة على علاقات طيبة بيننا وبين المستوطنات المجاورة."

•

ويذكر يهود إسرائيليون أموراً مماثلة عن العلاقات بين المجتمعين في طبريا. قالت استير ليفي، زوجة عزرا ليفي، أحد الضباط الذين شاركوا في احتلال لوبية عام ١٩٤٨: "كان جاري حسين يقول: سوف اتزوجك. كنا نسكن في عمارة مشتركة مع العرب وكنا نعلم معاً ونتعاون فيما بيننا ونشترك في استخدام الأدوات المنزلية".

ويعتبر معظم اللوبيون المؤسسات الحكومية العثمانية والبريطانية والصهيونية خارجة عن نسيج العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط بين العرب واليهود. وقد نوه اللوبيون وكذلك اليهود الإسرائيليين الذين قابلتهم، إلى أن جذر المشاكل بين الفريقين كان الغرباء يهودا وعرب، الذين قدموا إلى فلسطين من الخارج.

العلاقات بين العرب

لقد تأثر التاريخ الاجتماعي في لوبيه بانتقال القبائل والسكان إلى القرية وجوارها، مثل عرب الدلايكة، والشركس، والشيشان، وعرب الصبيح، والمغاربة (المهاجرون الجزائريون الذين قدموا إلى فلسطين مع الأمير عبد القادر بعد ثورته ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر).

قال أبو ماجد: "سكن عرب الدلايكة قرب لوبيه في عهد العثمانيين، وبني اليهود لاحقاً مستوطنتين على أراضيهم، هما بيت جن وبية. معظم المستوطنين كانوا يهوداً روس من كيف، أما في مستوطنة السجرة فقد كانوا جميعاً من كيف. وقد بنت السلطات العثمانية نقطة عسكرية على تلة قرب السجرة لحماية المستوطنين من العرب".

كان سبب هجرة الشركس والشيشان إبان العهد العثماني هو احتلال الروس للقوقاز. قال أبو ماجد: "كان الروس في تلك الفترة يبعثون الدمار والخراب في بلاد القوقاز فهرب المسلمون من الشركس والشيشان إلى البلاد الإسلامية جنوباً ووصلوا إلى فلسطين، وقامت الحكومة العثمانية بتوطينهم في طبريا ولاحقاً في الشجرة".

"كان أهل الشجرة قد باعوا نصف أراضيهم إلى عائلة لبنانية باسم المدور لأن شخصاً من القرية كان قد قتل رجلاً من عرب الصبيح فغادر السكان خوفاً من انتقام عرب الصبيح الذين كانوا يعرفون بقصتهم، فتشردوا أهل الشجرة عن بلدتهم لمدة عامين في لوبيه وقرى أخرى. ولما طلبوا دفع الديمة والصلح مع عرب الصبيح، كان المبلغ المطلوب أكثر مما يملكون فاضطروا ببيع نصف أراضيهم. كان المدور الذي يملك نصف العين يتربّط تلك الفرصة".

"أراد المُلَكَ الجدد إخراج الشركات من القرية، فاقتصر القائمون على إعطائهم أرضاً في الجوار مقابل أن يوفر المدُور تكلفة مواد البناء ويقوم الشركات بإنجاز أعمال البناء بأنفسهم". وهكذا بُنيت قرية كفر كما على النمط الروسي مع قرميد أحمر.

"وقد بُنى المدُور كذلك بناءً من طابقين على مساحة دونمين في القرية، خصص الطابق الأول فيه لإيواء الحيوانات وجعل الطابق الثاني مسكنًا له. وبعد عدة أعوام بدأ يخسر نقوده فباع الأرض لليهود، فأقام هؤلاء مستوطنة سجرة فيها، على بعد كيلومترٍ من قرية الشجرة الأصلية".

أما سكان كفر سبت فقد جاءوا من الجزائر مع الأمير عبد القادر الجزائري الذي ثار على الفرنسيين في الجزائر وأبعد عنها إلى سوريا في القرن التاسع عشر. وقد ظل عبد القادر في سوريا بينما سكن بعض أتباعه جنوبية لوبيبة في منطقة تدعى الشفا، وبنوا قرية كفر سبت وعلوم ومعدن. وقد سكن آخرون في سمخ وشفاعمو والكساير وكوكب.

وقال أبو ماجد: "كانت أرض كفر سبت ملكاً للفلسطينيين من عائلة البريدي، وفي أحد الأيام أشعل مجهولون العشب اليابس في الأرض فانتشرت النار في المنطقة كلها لمهد الرياح الغربية. كان رجل من لوبيبة اسمه محمد مصطفى قد مر من هناك صدفة وحاول أن يخمد النار بعباته فعلت فيها النيران وأودت بحياته. حين وصل خبر وفاته إلى القرية قام الأهالي بمهاجمة كفر سبت ظناً أن محمد مصطفى قد تعرض لعملية قتل عمدًا، فغادر أهالي كفر سبت بيوتهم فيما عدا عدّة واحد تدعى الحميد، كانت ترتبط بعلاقات قرابة باللوبيبين. ومن ثم قامت الحكومة بتوطين المغاربة في القرية شبه المهجورة، متّماً فعلت في حادثة الشجرة".

كانت علاقات لوبيبة وقرية طرعان تشوّبها حوادث سلبية، إلا أن عجاج سعد العدوى (أبو عجاج)⁷⁸ ما زال يحمل ذكريات طريفة عن العلاقات بين القرىتين. قابلت أبو عجاج في منزله في طرعان بجوار لوبيبة في أيار من عام ١٩٩٩، وكان البيت مقراً للنشاط الانتخابي تحضيراً للانتخابات البرلمانية في إسرائيل. وكان أبناء أبو عجاج من همكين بتوزيع المناشير والتحضير للقاءات مع عزمي بشارة (رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي) المرشح في الانتخابات الـلـكـنـيـسـتـ.

⁷⁸ ولد عجاج سعد العدوى (أبو عجاج) في العام ١٩٣٢. وقد أجريت المقابلة معه بتاريخ ٩ أيار / مايو في طرعان، إسرائيل.

روى أبو عجاج: "كانت علاقة لوبية مع طرعان معروفة للجميع. كان أهل لوبية يفزعون دوماً لطرعان في الشدائد، وكان مختار لوبية يزور مختارنا على الدوام. لكن وقعت بعضحوادث الصغيرة فعكرت صفو الأجواء بيننا. كانت بين القربيتين بركة ماء في أرض المسكنة تعود ملكيتها لقربيتنا، فادعى اللوبيون أن لهم حق فيها. وكانت تقع أيضاً خلافات حول الأراضي، لكنها كانت قليلة وتحدث بين فترات طويلة".

وقد تطرق معظم الأشخاص الذين قابلتهم إلى الخلاف مع عرب الصبيح، وشكلت قصة انتقام العرب لمقتل زعيمهم جزاً من ميثولوجيا الشجاعة التي يرويها اللوبيون عن أنفسهم. ولا شك أن القصة حقيقة إلا أن ثمة الكثير من المبالغة فيها لأن عرب الصبيح اشتهروا أيضاً بشدتهم وبأسهم.

قال أبو ماجد إن عرب الصبيح قدموا إلى المنطقة إبان العهد العثماني، وأضاف: "كان عقيل الحاسي من قبيلة الهنادي قد عين حاكماً للجليل، فجلب عرب الصبيح معه. وكانت العادة تجري بأن يرسل زعيم القبيلة حين يصبح قوياً كفاية، طلباً إلى استانبول بتعيينه حاكماً على منطقته مقابل أخذ جمع الضرائب للخزينة على عاته. وعقيل كان أحد هؤلاء الذين عينتهم الحكومة".

عندما سألت رمزية حسن أبو دهيس (أم عصام)⁷⁹ عن تاريخ لوبية، اختارت أن تبدأ بقصة المعركة ضد عرب الصبيح. أم عصام هي زوجة أبو عصام وابنة المختار أبو دهيس، ولها ثمانية أولاد وابنتين. تبدو أم عصام بمظهرها الخارجي وطريقة إدارتها لأمور المنزل ذات شخصية قوية توحى بشخصية أبيها. يعرف جميع اللوبيين في دير حنا والمكر أم عصام ويكتون لها بالغ الاحترام.

الشخص الذي قُتل في المعركة مع عرب الصبيح هو جد أم عصام. قالت: "وقعت المعركة بين لوبية وعرب الصبيح المعروفين في المنطقة كلها منذ زمن جدي. جاء أشخاص من العرب وأكلوا وناموا وتلقوا ضيافة حسب الأصول، لكنهم خرجن من القرية متسللين وسرقو بعض الأبقار من الفلاحين. فلحق بهم جدي مع مجموعة من الرجال وكان أبي

⁷⁹ ولدت رمزية حسن أبو دهيس (أم عصام) في العام ١٩٢٥. أجريت مقابلة معها في ٢٥ أيلول / سبتمبر ١٩٩٥.

معهم: قتل جدي في المعركة وقت كذلك فارس مشهور من العرب اسمه الجلمود. عاد أبي إلى القرية واقسم بأن يشرد عرب الصبيح وهذا ما تم فعلاً فيما بعد.

وقد روى أحمد، ابن أم عاصم، بقية القصة التي تشكل فيما يبدو جزءاً من تراث العائلة. قال: "كان عمر والدي أربعة عشر عاماً حين قُتل والده. وبعد عام حاول عرب الصبيح غزو لوبية فكان اللوبيون مستعدين لذلك هذه المرة. كان عرب الصبيح عندهم مقاتل شجاع اسمه الجلمود وكان في لوبية شخص اسمه كايد ضعيف البصر لدرجة أنه كان يركب حصانه في الاتجاه المعاكس. وقد استطاع كايد قتل الجلمود في المعركة لأن الأخير كان يستخف بكايد ولم يعره أي انتباها".

وقد روى لي يوسف عيسى قصة أخرى عن كايد. قال: "حين جاء أشخاص من الأردن لسرقة الماشية من القرية لحق بهم كايد دون توقف لأنه لم يستطع السيطرة على حصانه. وكان يصبح بأعلى صوته: خيال الخيل كايد! خيال الخيل كايد! فخاف اللصوص منه وهرموا تاركين الماشية المسروقة وراءهم. ومرة جاءوا إلى لوبية وطلبو أن يلتقطوا بهذا الخيال فدهشو لصغر حجمه وقصره وخجلوا من أنفسهم لأن رجلاً كهذا أخافهم ومنعهم من إتمام السرقة".

وروى أبو خالد أيضاً، وهو صديق أبو خليل، عن معركة عرب الصبيح. قال: "أنا من الشجرة التي تقع بين لوبية وعرب الصبيح. وقعت المعركة كما سمعت في العام ١٩٠٢".

وقد روي أيضاً أن فواز العلي زعيم الشهابية دعا رجال القرية إلى منزله بعد مقتل المختار أبو دهيس، وقال لهم: إما نحن أو عرب الصبيح في هذه المنطقة! وأعطت النساء ذهبها لشراء البنادق. كان فواز العلي قد اختلف سابقاً مع أهل القرية فلجاً إلى عرب الصبيح ولذا كان يعرف موقعهم ومعلومات أخرى ساعدت اللوبيين في الانتصار عليهم.

تعرض عرب الصبيح للتشتت والتهجير مثل كثير من أبناء الشعب الفلسطيني، ويعيش قسم منهم في قرية عرب الشibli على سفح جبل طابور. وما زالت هذه المعركة تثير الحساسية بين اللوبيين وعرب الصبيح في المنفي. فقد أخبرني أبو خليل عن شاب من الصبيح ادعى أن العرب هم الذين انتصروا في تلك المعركة، وقال إنه عثر على امرأة من لوبية اسمها أم محمد الجليلي كان عمرها مائة وعشرين عاماً وهي التي روت له ذلك.

وروى أبو ماجد قصة أخرى عن عقيل الحاسي والحكومة العثمانية تدل على نوع العلاقات بين الحكومة المركزية وأجزاء الإمبراطورية. قال: "طلب العثمانيون من شمدين آغا زعيم الأكراد في دمشق أن يعتقل الحاسي بعد امتناعه عن تأدبة الضربة، فأرسل شمدين ابنه حسن آغا مع مائتي فارس لاعتقاله، وكان بعقل أن عرف بالأمر فنح بتفادي المفاجأة. وقد جرى الاشتباك بين الطرفين في لوبيه قرب حجر النصري واستمرت المعركة منذ الصباح إلى الظهر وكان اللوبيون يشاهدون ما يجري من على أسطح منازلهم".

تدلى المنطقة التي قتل فيها حسن آغا ابن شمدين لدى اللوبيون باسم ذراع شمدين، وهي المنطقة التي أقيمت عليها جفعتاً افني مؤخراً، في العام ١٩٩٢. وما زال قبر حسن شمدين موجوداً هناك بجانب قبر النبي شوامين. كان اللوبيون مع الآغا في تلك المواجهة، وقد خطب فيهم الحاسي بعد انتصاره: يمكنكم الآن أن تأخذوا جثة زعيمكم. وكانت أم حسن شمدين تزور قبر ابنها كل عام في أحد الأعياد. كان أطفال اللوبيون ينادون عندما يرونها: جاءت أم الآغا، حين زارت لوبيه مع أبو نمر أراني مكان الموقعة، وقال: "وَقَعْتُ هُنَاكَ فِي الْكَنَّارَةِ شَمَالِيِّ الشَّارِعِ حِيثُ أُقِيمَتْ بَعْضُ الْمَصَانِعِ عَلَى أَرْضِ لَوَبِيَّةٍ".

وأكمل أبو ماجد الرواية، فقال: "حين سمع شمدين بمقتل ابنه أرسل قوة أخرى للانتقام بقيادة ابنه الآخر رسول، وقال له: إما أن تموت مثل أخيك أو تعود برأس الحاسي. وحين وصل جيش رسول إلى جوار عين ماهل ليس بعيداً عن كفركمما على حدود لوبيه، كان الحاسي قد غادر مع البدو إلى منطقة الكرك (في الأردن اليوم)، فأصبح رسول حاكماً على الناصرة".

"وفيها بعد أيام الحاسي عند شيخ عبلين لمدة عام تقريباً، لكنه لم يستطع تحمل عيش البداوة فذهب للبحث عن عبد القادر الجزائري الذي كانت له مكانة مرموقة في دمشق وطلب أن يتوسط لإصلاح الأمر بينه وبين شمدين، فذهب الرجلان إلى المهاجرين في حارة الأكراد بدمشق وعقدوا الصلح حسب الأصول. ربط العقال على عنق الطرف المذنب، أي الحاسي، وقام شمدين بمسامحته قائلًا إن من تجرأ على قتل ابنه لا بد أن يكون رجلاً شجاعاً، وهكذا أذن له بالعودة إلى عبلين حيث قضى بقية حياته ومات ودفن فيها".

العلاقات مع المجتمع اليهودي :

كانت حياة اليهود في فلسطين مختلفة تماماً قبل مجيء موجات المهاجرين المتعاقبة من أوروبا، وقد تحدث العديد من اللوبيين عن علاقات جيدة حسنة كانت تسود بينهم وبين اليهود في فلسطين قبل قيام الصهيونية السياسية (التي يحددها بعض المؤرخين في العام ١٩٠٤ مع بدء الهجرة الثانية خاصة من روسيا)، وقبل إعلان بلفور عام ١٩١٧ الذي وعدت فيه الحكومة الانتدابية بدعم إقامة دولة يهودية في فلسطين.^{٨٠}

قالت أمينة إسماعيل: "كانت العلاقات بيننا طبيعية. كنا نشتري منهم البضائع في طبريا". وذكر يوسف العيسى أيضاً علاقات طيبة بين الجيران العرب واليهود، كما ورد آنفأ. كانت طبريا تشكل نموذجاً للعلاقات العربية اليهودية الحسنة. قال عزرا ليفي^{٨١}، أحد الضباط اليهود الذين قاموا باحتلال لوبيه في العام ١٩٤٨: "ولدت في طبريا في ٢٦ كانون ثاني ١٩٢٦، وما زلت أذكر أصدقائي الفلسطينيين القدامى أبو حرب ونعميم الحلاق وأولاده نظمي وعادل. كانوا ضباطاً في الجيش السوري". فقاطعته زوجته استير ليفي^{٨٢} قائلةً: "كان جاري حسين يقول لي سأتزوجك" وروت كيف كانوا يعيشون معاً ويعيشون مع جيرانهم العرب في نفس العمارة.

وقال عزرا: "كان الشيخ الطيري ورئيس البلدية موشيه [ساهار] أصدقاء وقد اتفقا على أن لا يتراكما مجالاً للشقاق بين الطرفين. كان عدد المسلمين في البلدة ٣،٥٠٠ نسمة في العام ١٩٤٨ وكان عدد اليهود ٤،٥٠٠. كان المسلمون يشكلون أغلبية السكان في السابق وكان

^{٨٠} في الثاني من أيلول عام ١٩١٧ أرسل أرثر بلفور وزير الخارجية البريطانية رسالة إلى اللورد روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية في تلك الفترة رسالة يده فيها يدعم بريطانيا للداعي الصهيوني في فلسطين، أصبحت تعرف بـ بلفور. ويقول نص الرسالة: "إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الاعطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يتوتى العمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يفتقر به اليهود في البلدان الأخرى". (الترجمة مأخوذة عن موقع الجزيرة الإلكتروني، قسم المعرفة). من الجدير التذكرة بأن الوعد يذكر حقوق سياسية لليهود في فلسطين وخارجها (وان كان يخص فلسطين بعبارة البيت القومي الشامخة)، بينما يقصر حقوق العرب على المجال الديني والاجتماعي.

^{٨١} عزرا ليفي Izra Lavi من مواليد عام ١٩٢٦. أجريت مقابلة معه ومع زوجته استير لافي بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في منزلهما بطبريا، إسرائيل.

^{٨٢} استير لافي Ester Lavi من مواليد عام ١٩٣٧. أجريت مقابلة مع استير وزوجها عزرا لافي بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في منزلهما بطبريا، إسرائيل.

رئيس البلدية مسلماً، لكن حين أصبح اليهود الأغلبية انتخب رئيس يهودي: كان العرب واليهود أخوة، واتفق زعماء المجتمعين على تجنب المشاكل. في صفد كانت هناك مشاكل. كان عرب صفد حين يأتون إلى طبريا يقولون: المسلمين في صفد زهور وفي طبريا حشارة وجبناء.⁸³

وأكَد إلياهو عنتابي، وهو صديق لعزرا شارك في اللقاء، أن العلاقات بين العرب واليهود في البلدة كانت جيدة حين كان هو سكرتيراً للبلدية طبريا في الثلاثينات. وشدد على وجود علاقات صداقة بين الطرفين. تحدث العربية بطلاقة. قال: "لدت في طبريا، وبدأت أعمل في البلدية حين بلغت التاسعة عشر. في العام ١٩٣٦ أصبحت سكرتيراً للبلدية، وقد أحضرت إلى التقاعد قبل أربع سنوات. كنا نعيش كالأخوة هنا في طبريا، ٦،٥٠٠ يهودياً و٥،٠٠٠ مسلماً. كان هنا مسيحيون أيضاً. وما زال عندي أصدقاء عرب."

وأضاف: "عندما بدأت المشاكل في العام ١٩٤٨ اجتمع قادة الطرفين لمعالجة بعض الأمور. في العام ١٩٤٧ عملنا كل يوم مع سكرتير البلدية صدقى العبد الله أبو رمزي من السابعة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر. بدأت معركة طبريا يوم الخميس وقد حذرنا أبو رمزي لكي نغلق البلدية. ذهب إلى البيت لكنه بقي على اتصال مع رئيس البلدية. بدأ إطلاق النار في التاسعة صباحاً. هذا إثبات على أننا كنا نعيش سوية ونكرث لبعضنا البعض. وحين زرت الأردن مؤخرًا التقى بأصدقائي من طبريا الذين لم أرهم منذ العام ١٩٤٨".

أبو وجدي، وهو صديق لي^{٨٣}، كان معروفاً في طبريا وكانت تربطه علاقات طيبة ببعض الضباط اليهود الذين شاركوا في الاحتلال لوبياً. بعد النكبة، عمل أبو وجدي في محطة وقود وكان يمارس هواية الرسم. قال: "كنت مرة في بيت أبو نمر (حبيب كهالة) وسمعته يقول لساهار: لقد طردت العرب من طبريا... لماذا لم تتجه أنت والمعتني في السيطرة على الأمور؟ قال ساهار: لا، هذا غير صحيح! ما زلت احتفظ بورقة تحمل توقيعي وتوقيع المعتني، تعهدنا فيها بعدم القيام بنشاطات عدائية في طبريا. يقول المثل: إلى بيتزوج أمي بصير عمي. لا بد أن يبقى كل من اليهود والعرب في هذا البلد".

⁸³ ولد أبو وجدي في العام ١٩٤٣. شارك أبو وجدي في اللقاء مع عزرا واستير لافي في منزلهما في طبريا، في ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

ناحوم عبو هو كاتب، وقد شارك في كل حروب إسرائيل قبل وبعد قيامها، وكان بين الضباط الذي دخلوا لوبية في العام ١٩٤٨. يتحدث العربية بطلاقة ويعرف اللوبين جيداً. لم يظهر أي قلق أو تردد في الخوض في أدق التفاصيل، إلا في حالات قليلة مثل إطلاق النار على شخص عربي في طبريا. بدأ حديثه في المقابلة بشرح أصل اسمه التوراتي ليثبت جذوره في البلد.

قال: "ولدت هنا لعائلة دخلت سجل التاريخ منذ ٢٥٠ عاماً. الأحرف الأولى من اسم عائلتنا مأخوذة من التوراة (العين من عسوبيم؛ والباء من بليمت؛ والواو من ويشار - أي أننا أناس مستقيمين). لقد اشتربت عائلتنا الكثير من الأرضي في روش بيناه، وصفد، ومieron، والشجرة. عمى، اسمه شلومو الخيال، ظل في السجارة حتى العام ١٩٢٢، وعملت عنده مجموعة من لوبية وكفر سبت. التقيت فلسطينيين من مناطق عديدة كانوا حين يسمون أسمى يحكون لي عن عائلة عبو. وما زال عندي أصدقاء عرب."

لقد أكد كل من اللوبين واليهود الإسرائيликين الذين قابلتهم، أن المشاكل بين العرب واليهود نشأت بسبب قدوم الأجانب إلى فلسطين. قالت أمينة علي إسماعيل^{٨٤}: "بدأت المشاكل حين جاء يهود من الخارج إلى فلسطين، فخلقوا المشاكل لنا ولليهود المحليين." وقال عزرا: "في العام ١٩٤٨ جاء متقطعون من سوريا والعراق إلى طبريا، ومن هنا بدأت المشاكل. وقد كتب موسيه ساهار عن ذلك. في أحد الأيام أطلقوا النار على اليهود وحرقوا سيارة، وبعد ذلك بفترة وجيزة اجتمع ساهار والمفتى لإصلاح الأمور بينهما، لكن المشاكل بين العرب واليهود بدأت بعد ذلك بشهر."

وأضاف: "كان عندي صديق من حزب النجدة وكنا نلعب كرة القدم معاً في النادي، قال لي: يا عزرا لماذا تأتي إلى هنا كل يوم؟ يوجد هنا غرباء وقد يطلقون عليك النار. فقلت له: أنا من طبريا وهذه بلدي ويحق لي أن أذهب حيث أريد. كنت أسير في أحد الأيام في زفاف بجانب سوق السمك ومعي صديق يحرسني اسمه دافيد شيبي، وكان يتحدث العربية بطلاقة. رأيت عشرة رجال يبدون وكأنهم بانتظارني فراودوني الشك وقلت لدافيد أن يغير المسار لتقادي الكمين. وحين نادى الحراس العرب: من هناك؟ أجابهم صديقي دافيد بالعربية. ومنذ تلك اللحظة عرفت أنني بخطير. كلامي هذا هو لإثبات ما قلته لك عن أن العلاقات كانت جيدة بيننا حتى قدم الغرباء."

^{٨٤} ولدت أمينة علي إسماعيل عام ١٩٢٩. أجريت المقابلة معها في الدنمارك في ١٢ أبريل، ١٩٩٥.

لناحوم أيضاً نكريات مشابهة. كان محكوماً بالإعدام من قبل السلطات الانجليزية بتهمة قتل عربي انتقاماً لمقتل أصدقاء له على يد عرب فلسطينيين.^{٨٥} قال: "في طبريا، اعذرني" لقولي هذا، كان العرب اليهود يعيشون كالأخوة، لكن المشاكل بدأت بعد تدخل الغرباء. في العام ١٩٢٩ حين وقعت المشاكل في صفد لم يحدث شيء في طبريا. اجتمع زعماء العرب مثل الشيخ نايف الطيري مع نور أبو العافية وشمعون دهان، إلا أن المفتى الحسيني لم تعجبه هذه العلاقات الإيجابية فأرسل رجاله لاقتحام المشاكل.

وفي حالات معينة ظلت العلاقات مع الطرف الآخر قائمة بعد العام ١٩٤٨. حسام أبو دهيس^{٨٦}، حفيد المختار خليل العابد، حدثني عن العلاقات الطيبة بين جده وحاييم لافييف، وهو ضابط برتبة رفيعة في الجيش الإسرائيلي. قال: "أعرف بالتأكيد أن يهودياً باسم حاييم لافييف، وقد جاء مع عائلته من بولندا في العام ١٩١٥، كان يعمل في أرض جدي. زرته قبل عدة سنوات في منزله في حولون بجوار تل أبيب. وأخبرني أن والده أوصاه باللجوء إلى بيت المختار حاج خليل في حال انتصار العرب في الحرب. وأما إذا انتصر اليهود فعلية أن يحمي عائلة الحاج خليل. كان عمي سعيد الذي يعيش في الأردن قد فقد الاتصال بابنه إبان الثورة فذهبت إلى حاييم لأطلب منه المساعدة في العثور على ابن عمي في أحد السجون الإسرائيلية. كان حاييم آنذاك ضابطاً رفيع المستوى ومسؤولاً عن شؤون الأقليات في الجيش الإسرائيلي. قال لي حاييم: سوف أبذل كل ما بوسعني للعثور عليه بسبب احترامي للحاج خليل، وعلمنا لاحقاً أنَّ ابن عمِي كان قد قُتل في لبنان".

لقد حاولت الاتصال بحاييم في تل أبيب وقيل لي أنه توفي مؤخراً.

وقد تحدث أبو نمر كذلك عن استمرار العلاقات بعد النكبة، وأبو نمر كما ورد سابقاً هو الشخص الوحيد من لوبيه الذي ظل بحوزته قسم من أراضي لوبيه. قال: "عشت في لوبيه منذ كنت في السابعة من عمري حتى الثامنة عشر، وأحببته الحياة فيها كثيراً. لم أواجه مشاكل مع المستوطنين المتدينين في لافي وجفعت أفنى (اللثان بنينا على أراضي لوبيه)،

^{٨٥} في رسالة إلى حاكم لواء الجليل في ١٩ آب/أغسطس ١٩٤٢، رفض د. هيللي طلب العفو الذي قدمته مازل والدة ناحوم بشان ابنها. تقول الرسالة: لا أرى سبباً للتوصية بالعفو ذلك لأنَّ العربي المقتول لم تكون له أي علاقة بالهجوم السابقة ضد آخر السجين، ولا يعود لي أنَّ هناك أية اعتبارات مخففة تجعلني أتفهم جريمة قتل شقيقة جداً، بعد أن لم تخرج المحكمة حكمها بالإعدام على المتهم إلى حيز التنفيذ". (الارشيف الإسرائيلي، ملف رقم: 2692/T.461/N).

^{٨٦} حسام أبو دهيس هو ابن رمزية أبو دهيس (أم عصام). أجريت مقابلة مع حسام في الناصرة بتاريخ ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

بل قد يفاجئك أن مستوطني لافي أقاموا مظاهره قبل عدة أعوام وشرعوا بإغلاق الطريق المؤدي إلى طبريا، وكان مطلبهم أن تشق الحكومة طريقاً زراعية إلى أراضيّ وقد دهشت الحكومة من موقفهم وهذا وقيامهم بإغلاق الطريق الرئيسي لمدة ساعة لم يكن موجوداً حين حدث ذلك. وقد حصل أمر مشابه حين سقط خزان وقود إلى أرضيّ جاء أهل الكيبوتس وحفروا خنقاً حول بستانى لكي لا تنتشر الحرائق التي نشبت عقب سقوط الخزان إليه.

العلاقات مع البريطانيين:

كانت العلاقات مع البريطانيين هشة منذ البداية نتيجة دعم هؤلاء لمشروع إقامة وطن قومي لليهود في البلاد. وقد اعترضت القيادة العربية الفلسطينية على قرار الدول العظمى منح بريطانيا انتداباً على فلسطين. وكان الإحباط الناتج عن سياسة بريطانيا إزاء مبيعات الأراضي والهجرة اليهودية قد أدى إلى العديد من الاحتجاجات كانت ذروتها الثورة الكبرى في الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩.

عمل حوالي ٤٦ لوبي خلال فترة الانتداب كموظفين لدى الحكومة في التعليم والشرطة وجني الضرائب والحراسة. وكان الالتحاق بالشرطة بالنسبة للبعض، مثل نايف حسن، وسيلة لتجنب مشقة العمل في الأرض. قال: "ذهبت مع مجموعة يبلغ عددها ٢٧ شخصاً للالتحاق بالشرطة لأنني وجدت العمل في الأرض صعباً. وقد قبلاً منا ستة فقط. عمى عبد الرحمن غضب من ابنه جودي للالتحاق بالجيش. تركت لوبياً بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٢ والتحقت بشرطة الحدود في الزرقاء بجوار عمان. وفيما بعد خدمت لمدة شهرين على الحدود التركية السورية في مكافحة التهريب، وعدت إلى الأردن لأعمل سائقاً".

لقد استخدم البريطانيون الفلسطينيين كحجر في لعبة شطرنج سياسية إقليمية. قال نايف: "أمرت الشرطة بالذهاب إلى العراق لقمع حركة رشيد علي الكيلاني في بغداد^{٨٧}، وحين وصلوا إلى الحدود الأردنية العراقية رفضت الوحدات العربية تنفيذ الأوامر بقمع الثورة. كان العراقيون يريدون الاستقلال ولم يقبل أفراد الشرطة العرب، ومعظمهم من

^{٨٧} أعلن رشيد علي الكيلاني الثورة ضد البريطانيين في ٣١ آذار ١٩٤١، بعد استقالة نوري السعيد. لكن تدخل القوات البريطانية أدى إلى خروج الكيلاني وحزبه في ٣٠ أيار إلى إيران وعودته نوري السعيد إلى الحكم بحماية البريطانيين.

الفلسطينيين، المشاركة في قمع هذا المطلب. قام البريطانيون بمعاقبة هذه الوحدة بالذات وحلوها. حصل ذلك أيام الحرب العالمية الثانية".

كانت فرقاً من لوبيية نفسها تطلب أحياناً من البريطانيين التدخل في الخلافات الداخلية أو الانتصار لفريق على آخر. قال يوسف يوسف: "قرر مصطفى أبو دهيس وزمي أحمد سليمان من عائلة حجو مرة الخروج للصيد، فأعترضهم على ^{القيم} من الشهابية ونصبهم بآلاً يقونان بذلك. وحين لم يأبهوا بكلامه قام بإطلاق النار في الهواء لاجتذاب الشرطة البريطانية إلى المكان. وحين وصلت الشرطة قال لهم على بأن الثوار يخططون لاقتحام القرية ليلاً. كان الانكليز يوظفون بعض الجواسيس ليفتحوا عيونهم على من يشكرون باضطلاعهم بالثورة".

"وفي حادثة أخرى قام مصطفى الحوران، وهو قريب أبو دهيس، بإطلاق النار على الشرطة البريطانية المتواجهة بجوار المصنوع الصغير الخاص بمصطفى أبو دهيس لكي يخلقوا انتباعاً بأن مصطفى معاد للبريطانيين. كان مصطفى على علاقة جيدة بشخص يهودي من طبريا اسمه تادرس، وأعطاه هذا تادرس له في طبريا لمنع الثوار من وضع اليد عليها، ومنحه الحق بإدارة محgraً له. كان مصطفى شرطياً مع البريطانيين، بينما خدم الآخرون في شرطة الحدود العاملة على الحدود مع لبنان أو بين الأردن والعراق".

كان مصطفى أبو دهيس من اللوبين القلائل الذين كانت تربطهم علاقات جيدة مع البريطانيين والمسؤولين الصهاينة ورجال الأعمال اليهود. وقال حسام: "كان لعمي نفوذ وكلمة مسموعة عند البريطانيين، فقد نجح بإخراج أخيه من السجن قبل أيام على الموعد المقرر لتنفيذ حكم الإعدام فيه. كان أخوه رمزي قد قتل لوبياً (هو صالح رقية) في خلاف عائلي، ونجح مصطفى بالحصول على عفو أخيه من وزارة المستعمرات البريطانية". وقد نصح قبل مقابلة رمزي في الأردن بآلاً أنكر الموضوع نهائياً نظراً لحساسيته.

حين اشتد النضال ضد البريطانيين والحركة الصهيونية، أصبحت العلاقات ^{أعلاً} حتى مجرد الاشتباه بوجود علاقات مع هذه الأطراف مصدراً للخلافات الداخلية في القرية. طلب قيادة الثورة من أبو طلعت، مثلاً، أن يقتل ابن أخيه مصطفى أبو دهيس لارتباطه بالبريطانيين واليهود. إلا أنه رفض ذلك بشكل مبدئي، لأن قيامه بمثل هذه العمل كان سيؤدي إلى خلق شقاق في العائلة إلى يومنا هذا. قال أبو طلعت: "لقد راح عدة أشخاص في لوبيه ضحية لمثل هذه النزاعات".

وأضاف: "كان رجل اسمه يوسف الجليلي أصله من عربة ويعيش في لوبيه قد قُتل لاشتباه البعض بأنه يعمل لصالح العدو . وقد قُتل سليمان الفتروش لأنَّه كان اعتاد الذهاب إلى معسكر الإنكليز لشرب الكحول . قتله الثوار مع رجل من عرب الدلايكة باعتبارهم خوارج ." ونكر يوسف أيضاً خلافاً بين شخصين من لوبيه يدعيان مطلق ومصطفى . قال: "أنت الأول الآخر بالتجسس لصالح الإنكليز ، فصوب المدسس نحوه وقال: خذ هذه الرصاصات! إلا أن الناس تدخلوا وفكوا بينهما".

ومن الجدير التنويه أنه في مقابل هذه الروايات، لا تذكر المصادر البريطانية واليهودية الرسمية وجود علماً في لوبيه . يقول تقرير الهاغاناه عن لوبيه: " كانت العلاقات بين القرويين والحكومة اعتيادية . ليس هنا مخربين بين القرويين يعملون لصالح الحكومة ".⁸⁸

ونظر أبو ماجد الأسماء التالية من بين الرجال الذين لعبوا أدواراً رئيسية ضد البريطانيين في الأربعينات: "أحمد طوبي (أبو غازي) كان يعيش في صفورية لكن أصله من لوبيه من حمولة الشناشرة، وقد توفي قبل عشرة أعوام في حادثة تحطم طائرة كانت تقل الحجاج إلى مكة . تطوع الطوبي لقتل حاكم لواء الجليل، أندروز، بسبب إساعته إلى مختار الشجرة ونعته للعرب بالكلاب . وقد كان القائد الذي اتخذ قرار اغتيال أندروز هو خليل العيسى أبو إبراهيم الكبير من المزرعة، لواء القدس . كان من أتباع الشيخ عز الدين القسام بعد لجوئه من سوريا وعمله خطيباً في مسجد الاستقلال الذي ما زال قائماً في حيفا ."

وأضاف: "كان أندروز يقول دوماً: لم أر مثلكم في أيٍ من المستعمرات التي خدمت فيها سوى الكلاب . إنكم تتجبون الأطفال وترمونهم دون عناء . أنت لست مختار بل مخ طار!" قتل أندروز في الناصرة وهو في طريقه إلى الكنيسة . وقد أرسل كينيث بلاكبورن الذي خلفه إلى أمه يطمئنها قائلاً: لا أريدك أن تتفقى على فأنا مختلف عن لويس الذي لم يثق العرب فيه أبداً وكانوا مصممين على ضربه . كانت تربطه علاقات كثيرة غامضة باليهود

٤٠

⁸⁸ تقرير الهاغاناه حول لوبيه ١٩٤٣-١٩٤٤، مصدر سابق للذكر، هامش . لقد أكد على ذلك أيضاً هيلك كوهن وهو باحث إسرائيلي كتب أطروحته في الجامعة العبرية عن العمال الفلسطينيين الذي عملوا لصالح المؤسسات الصهيونية قبل العام ١٩٤٨ ، وقد نشرها مؤخراً في كتاب بالعبرية بعنوان: وكان كوهن قد نشر قبل ذلك كتاباً عن المهجريين في الداخل بعنوان: الأرض، الذكرة، الهوية: اللاجئون الداخليون في إسرائيل . نشر بالعبرية في العام ٢٠٠٣ من قبل

والعرب عرفوا بذلك، وكانوا يخوّفون منه أيضاً لأنّه يُعرف الكثير عنهم: لقد وجدت
أشياء مختلفة بين أوراقه، أيّ منها يكفي لإثارة العرب.^{٨٩}

^{٨٩} رسالة مُؤرخة ٢٨ أيلول، ١٩٣٧، أوراق بلاكتورن، صندوق ٥، ملف ١، مقتبساً من كتاب سوينيبرغ، مصدر سابق
الذكر، هامش [] أعلاه، ص. ٢١١.



Replacing fallen stones from his grandfather's (Hussein Youssef Hajo) tomb.



A well: There were 300 wells to provide water in Lubya.



Giv'at Avi and Lavi: the new and the old settlement that replaced Lubya.





Cactus trees in Lubya: still productive.

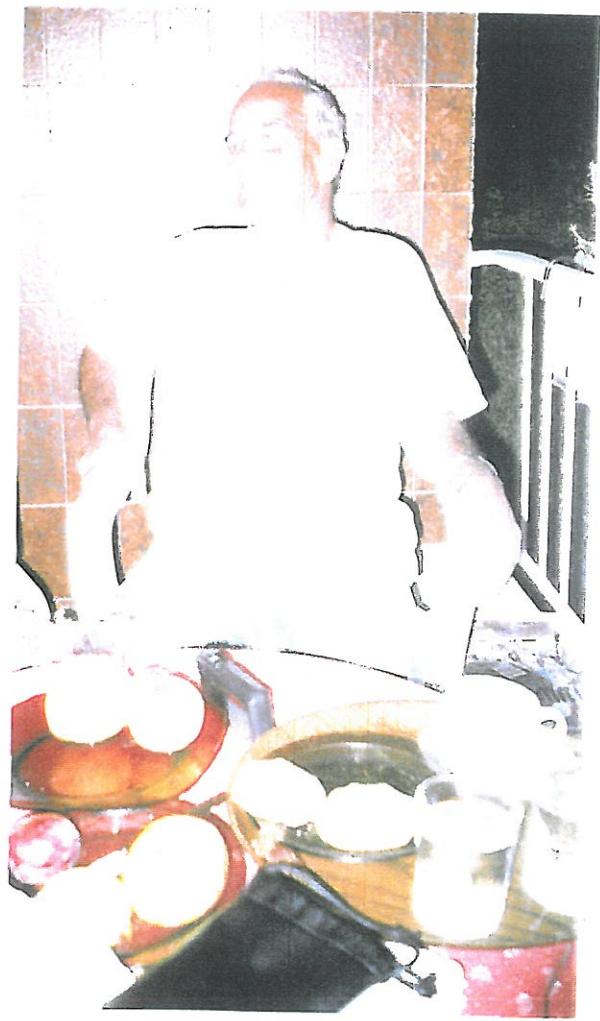
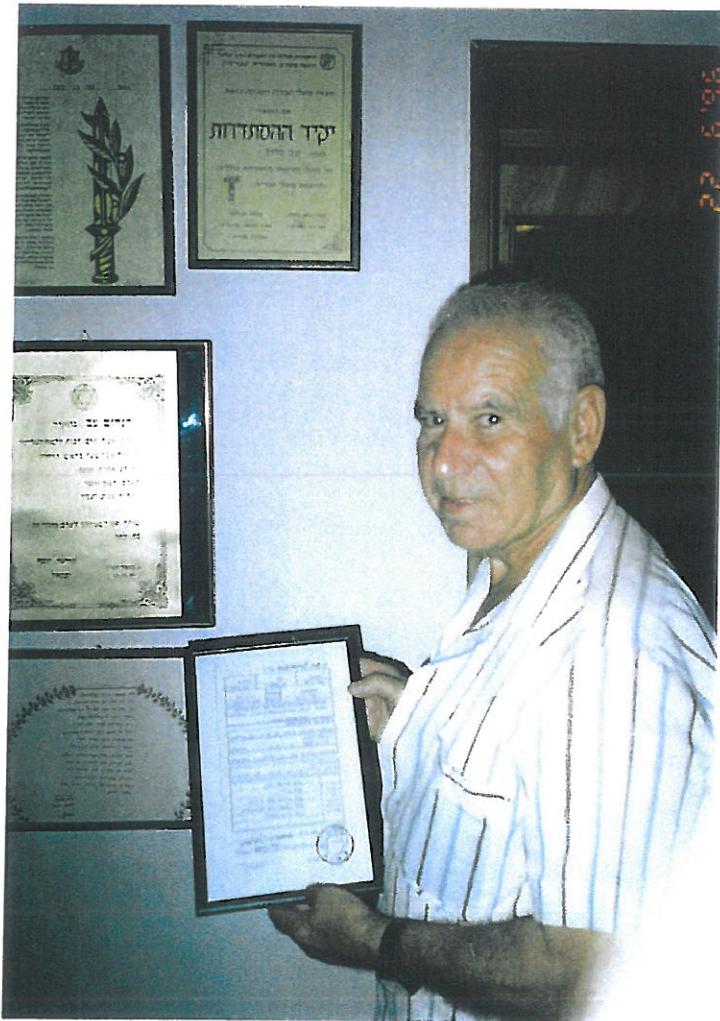




**The meeting in Shafa-Amr of the Committee for Defending the Rights of the Refugees
in Israel**



Izra Lavi, the officer who led the first attack on Lubya 1948, and his wife.



Nahom Abbo, the officer who participated in Lubya's occupation, 1948.



The remains of the historical caravansary, or “khan”, of Lubya.



The old and the new road, passing through Lubya’s land, between Tiberias & Nazareth.

الفصل السادس

"لا أسى على وجه البسيطة أشد على المرء وأقسى من خسارة الوطن"
(يوريبيديس، ق. م. ٤٣١)

كانت معيشة الليبيين تعتمد على الأرض، وقد طوّعت اللغة نفسها لتعكس ألوان الطبيعة وأشجارها وثمارها وفصولها الأربع. قال عابد العجانية^{٩٠}: "تعلّمت حب الأرض منذ صغرى حين كنت أرافق والدي إلى لوبية. مرة رأيت أفعى وأردت قتلها لكنَّ والدي منعني من ذلك قائلاً: لا تقتلها، هذِي بنت بلدنا! كان والدي يكره الأفاعي لأنَّ أفعى قاتلت أخيه، لكنه لم يرد أن يلحق الأذى بهذه الأفعى. هكذا أنا نشأت."

جميع الليبيين الذين قابلتهم قالوا إنهم لن يبيعوا أراضيهم أبداً. قال أبو محمد كيلاني: "إننا نعيش حياة جيدة والحمد لله... لسنا بحاجة لبيع الأرض". وقال أحمد حجر: "إذا تحدثت مع أي فلسطيني عن بيع أو استبدال أرضه لن يأخذ كلامك محمل الجد". لكنَّ الغالبية تحدثوا أيضاً عن بيع أراضي في لوبية للصهاينة وسماسرتهم.

لا يمكن فهم الثورة الكبرى بين الأعوام ١٩٣٩-١٩٣٦ أو النكبة عام ١٩٤٨ بمعزل عن الصراع حول الأرض، فقد أعتمد قيام إسرائيل على السيطرة على الديار على الأرض. ومن أقوال مناحيم أوسישكين مثلاً، وهو زعيم صهيوني مشهور ورئيس سابق للصندوق القومي اليهودي، إنه "إذا كان لـ[في] فلسطين [أ] شعب آخر، فيجب نقله إلى مكان آخر: يجب أن تكون هذه الأرض بحوزتنا. إن مهمتنا أكبر وأجل من احتياجات بضع مئات الآلاف من الفلاحين العرب".^{٩١}

بدأ بيع الأرض للمؤسسات الاستعمارية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبشكل خاص على يد الملاكين الكبار الذين عاشوا في المدن. ورغم ذلك، لم تتجدد الحركة الصهيونية حتى العام ١٩٤٨ في الديار على أراض متواصلة تكفي مساحة لقيام دولة يهودية عليها. فكان التهجير واسع النطاق الذي لحق بالفلسطينيين بين الأعوام ١٩٤٧-

^{٩٠} عابد العجانية من مواليد عام ١٩٦٣. أجريت مقابلة معي بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٩٥، في دير حنا، بإسرائيل. عابد هو ابن صبحية محسن جودي ويعيش اليوم في دير حنا.

^{٩١} المصدر السابق، اقتبساً عن صحيفة بوآر هايمون، القدس، ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٣٠.

١٩٤٩ أشبه بتحقيق أمر خيالي، وكانت إحدى الخطوات الأولى التي قامَت بها الدولة الجديدة هي مصادرَة أراضي اللاجئين وتحويلها إلى ملكية قومية لليهود حسرا.

بدايات شراء الأرض في لوبية:

كان جميع سكان لوبية تقريباً يملكون أراضٍ. كانت أراضي القرية قد قسمت، بحسب رواية أبو ماجد، إلى أربعة أقسام متساوية ووزعت على العائلات المختلفة، ووزع كل ربع على مجموعة من العائلات بموجب حجم كل واحدة، وذلك حسب التقسيم التالي: العجائنة مع الحجاجوة؛ والزملوط مع الشهابية؛ والعطوات مع العصافرة؛ والشناشرة مع الفرا. وأضاف: "كان مأمور الطابو ياسين الحمز من حمولة الحمزات - العجائنة، وكانت الأرض المقسمة على نوعين: أرض العطل وهي مراعٌ صخرية غير قابلة للزراعة، وكانت ملك للدولة يقولون لها جفتلوك بالتركي^{٩٢} وأرض المشاع وتعود ملكيتها للقرية بأكملها ولا يملكها شخص محدد".

ينكر أبو عصام في مذكراته إن "الارض من شمالي لوبية حتى حدود طبريا كانت لعائلة الشناشرة. وقد أخذت كل عائلة أرضاً بحسب عدد الأشخاص فيها. أما سهل الحمى فقد قسم بالتساوي بين جميع العائلات^{٩٣}. وكانت الحمولة توزع الأرض على العائلات المختلفة وعلى أفراد كل عائلة. كانوا يقيسون الأرض بالفدان (ويعادل ٢٠٠ دونم)".

لقد شملت الأراضي الخاضعة لنظام التقسيم ثلاثة الخيم على بعد مائتي متر من بئر الخان حيث نصب أرناط قائد الصليبيين خيمته، وكذلك أرض الكساير التي لقبت بذلك لأنكسار الصليبيين فيها. وينكر ملف الاستخبارات الصهيونية وجود مائة دونم تابعة للأوقاف ومسجلة باسم المسجد، تبلغ قيمتها بحسب دائرة تسجيل الأراضي ستة وخمسون ليرة فلسطينية.^{٩٤}

•

* الجفتلوك في الاستعمال العثماني الرسمي في نهايات القرن التاسع عشر هي الأرض الزراعية المملوكة من قبل السلطان، وليس الأرض "الموات" والأرض "المتروكة" التي يطلق عليها الراوي هنا "أرض العطل" (المترجم).
^{٩٢} شكل سهل الحمى من القطع التالية: الخلالات، دامي، العقبة، العدران، المعابر، البصاصر (الماعونية)، أم السيف، بسوم، سرجوني، الكراسي، حلول، الزغفارية، البوسكندية، المفترضة، أم خيط، البلعي، البرانس، الجمرة، الصحن، القنارة، الكروم، العريض، الخروبي، اللث، راس الزيتون، والمدان.
^{٩٣} لوبية (فضاء طبريا)، ١٩٤٣-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر (بالعبرية).

بدأ اليهود بشراء أراض في لوبية ومناطق أخرى في الجليل منذ أواخر القرن التاسع عشر.^{٩٤} وكانت المؤسستان الأكثري نفوذاً في نشاط شراء الأراضي هما جمعية الاستعمار اليهودي^{٩٥} Jewish National Fund والصندوق القومي اليهودي Jewish Colonization Association (أو كيرن كايميت لیسرائل كما يعرف بالعبرية، أي الصندوق الدائم لإسرائيل). وقد أقيمت بعد الحرب العالمية الأولى شركة ذات مساهمة محدودة باسم شركة تطوير أراضي فلسطين (بيكا) Palestine Land Development Company لإدارة أراض يملكونها اليهود في فلسطين.

لم تكن غایيات الجمعيات اليهودية بيّنة تماماً للفلاحين العرب الفلسطينيين في تلك الفترة، أما بالنسبة للحركة الصهيونية فكان اقتداء الأرضي يشكل عنصراً جوهرياً في مشروع إقامة "بيت قومي" لليهود في فلسطين. ومن الجدير التوبيه هنا بأن اليهود كانوا يملكون قبل العام ١٩٢٠ ٣% من أراضي فلسطين، معظمها في السهل الساحلي والقدس.^{٩٦}

لم تكن فلسطين أرضاً بلا شعب كما وصفت في خطاب الحركة الصهيونية، تكريراً لمقولته أحد زعماء الحركة الشهيرين وهو الكاتب البريطاني الصهيوني إسرائيل زانغويل Israel Zangwill^{٩٧} لكن إنشاء دولة قومية لليهود سيترتب عليه فيما بعد تهجير أهل فلسطين العرب واستلاب أراضيهم.

كانت فكرة التهجير ماثلة في ذهن الحركة الصهيونية منذ البدء، فكما ورد على لسان ثيودور هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية:

^{٩٤} المصدر أطروحة دكتوراه غير منشورة لسحر هندي بعنوان: "سر هربرت صموئيل، الصهيونية، والعرب الفلسطينيين ١٩٢٥-١٩٢٠". (مانشستر: جامعة مانشستر، ١٩٩٥)، مأخوذ عن جريدة الحياة، أعداد ١٢٢٢٢ و ١٢٢٢٣.

^{٩٥} أقيمت هذه الجمعية برأسمال خاص يبلغ مليوني جنيه استرليني في العام ١٨٩١ وكان مؤسساً لها بارون موريتس هيرش، ومن ثم سجلت كشركة لمساهمة محدودة بموجب القانون البريطاني.

^{٩٦} Cmd. 1785, *A Survey of Palestine 1945-1946*. Jerusalem, vol. I, Chapter 8, pp.244, cited in Sami Hadawi, *Palestinian Rights and Losses in 1948, A Comprehensive Study*. (London: Saqi Books, 1988) p. 44.

^{٩٧} كان أول من أطلق هذه العبارة بحسب مصالحة هو اللورد شافتزبيري Lord Shaftesbury في العام ١٨٥١، وليس زانغويل Zangwill. انظر مصالحة، مصدر سابق الذكر، ص. ١٣٠ في العام ١٩١٤ صرخ حاييم وايزمن، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للمؤتمر اليهودي العالمي وأول رئيس لإسرائيل، بأن "الصهاينة الأوائل كانوا يفهمون الصهيونية في مرحلتها الأولى على أنها تقوم على عوامل ميكانيكية: توجد أرض تدعى بالصنفية فلسطين، وهي بدون شعب، وبال مقابل يوجد شعب بدون أرض، هو الشعب اليهودي. ماذا نحتاج أكثر من هذا المصطلح؟ لتصبح الجوهرة على الخاتمة، فيتوحد هذا الشعب بهذه الأرض؟!" يورد مصالحة (ص. ١٢) هذا الاقتباس من خطاب ألقاه وايزمان في اجتماع لاتحاد الصهيوني الفرنسي في باريس بتاريخ ٢٨ آذار ١٩١٤ نشر في: Letters and Papers of Chaim Weizmann. Vol. I, Series B, Paper 24. (Jerusalem: Israel University Press, 1983) pp. 115-116.

" حين نحوز على الأرض سوف نجلب المنفعة المباشرة للدولة التي تستقبلنا، يجب أن نحصل بشكل ليق على ملكية الأراضي التي تخصص لنا. يجب أن نشجع السكان المعدومين على المغادرة إلى ما وراء الحدود عبر خلق عمل لهم في البلاد الانتقالية ومنهم من العمل في بلدنا... سيف ملك الأرض إلى جانبنا. يجب القيام بفعل التملك ونقل القراء بتكم وحضر... دع أصحاب العقارات يعتقدون أننا مخدوعون بشراء شيء يبلغ أعلى من ثمنه الحقيقي... فنحن لن نبيعهم أي شيء بعد ذلك".^{٩٨}

لم تحصل عملية شراء الأراضي وتراكمها في أيدي الحركة الصهيونية في فراغ قانوني وسياسي، إنما أتيحت عبر التشريعات العثمانية والانتدابية البريطانية المختلفة،^{٩٩} منذ قانون الأراضي العثماني الصادر عام ١٨٥٨ (وخاصة التعديلات اللاحقة التي أتاحت للأجانب اقتداء أراضي ضمن حدود الإمبراطورية) إلى قانون تحديد الملكية الانتدابي لعام ١٩٢٨. لقد قامت هذه التشريعات المتلاحقة بالتأسيس لنظام من ملكية الأرض، جعل فلاحين في مناطق عديدة، خاصة في السهول، عرضة لعملية فقدان الأرض.

لقد أرتبط تسجيل الأرض في الطابو العثماني بمساعي الدولة لفرض التجنيد الإجباري ونظام جديد للضربي في نهاية القرن التاسع عشر، ولذا يعتقد المؤرخون أن الفلاحين كانوا يتتجنبون تسجيل الأرض بأسمائهم تفادياً للتجنيد والضربي. وقد كانت رسوم التسجيل عالية نسبياً، مما أدى بالكثيرين إلى الاقتراض من البنك ورهن أراضيهم. وكان المخاطر ورؤساء العائلات هم المستفيدين الأوائل من هذا الوضع إذ تنسى لهم التلاعيب بمخاوف أصحاب الأرضي. فقد بلغت نسبة الأرض المسجلة في العام ١٩١٤ ٢٥٪ فقط. وثمة أيضاً اعتقاد بأن بعض الفلاحين أقدموا على تسجيل أراضيهم باسم أحد المالكين الغائبين أو المختار مما أتاح لهم إمكانية بيع الأرض لاحقاً من أجل الربح دون معرفة أصحاب الملك الأصليين. كان الفلاح يخسر أرضه المرهونة حين لا يقدر على دفع الضربي. وقد هاجرت بعض عائلات لوبيبة لتفادي دفع الضربي. وذكر أبو ماجد أن عائلة البكراوي انتقلت إلى حوران لهذا السبب تحديداً، وعاد أحد أبنائها إلى لوبيبة بعد حين.

٠

نجمت معظم مبيعات الأرضي في لوبيبة عن معاملات أجراها عبد الغني بيضون وهو مالك كبير من بيروت، مع مؤسسات الاستعمار الصهيونية. كانت عائلة بيضون وسرق وعائلات بيروتية أخرى تملك أراض واسعة من السهول الخصبة في فلسطين، وترتبط

Raphael Patai (ed.) *The Complete Diaries of Theodore Herzl*. Vol. I (New York: Herzl Press and T. Yoseloff, 1960) pp. 88-89.^{٩٨}

^{٩٩} انظر هداوي للمرة عامة عن التشريعات ذات الصلة: هداوي، مصدر سابق الذكر.

بعلاقات جيدة بببروغرافية الدولة العثمانية. وكان لوببيون قد افترضوا أموالاً من عبد الغني بيضون مقابل رهن أراضيهم له وتمت المعاملات في البنك الزراعي العثماني فـ

١٠٠ سمخ

لقد جرت أول معاملة أرض في لوبية في العام ١٨٨٠، إذ بيعت قطع أرض إلى زكي أفندي بيضون، ومن ثم انتقلت بالمزاد العلني إلى عبد الغني بيضون الذي باعها إلى ممثل جمعية الاستعمار اليهودي ناثان نركيس لافين، وكان هذا مواطناً فرنسياً. وفي شباط ١٨٨٨ جرت معاملة أخرى بين مصطفى العلي وعبد الغني بيضون، حيث رهن الأول أرضاً مسجلة في كواشين رقم ١١٣ و ١١٢.

وقد اشتري البارون روتشيلد قسماً من أرض لوبية في العام ١٩٠٢ إلا أن اللوببيين "رفضوا تسليم الأرض إلى أصحابها الجدد بالرغم من تسلّمهم ثمن الأرض بال تماماً".^{١٠١} كان هذا الحادث جزءاً من مواجهات عديدة بين سكان لوبية ومستوطنة السجرة، وأحد أهم الأسباب لرفض اللوببيون تسليم الأرض هو أن الصفقة بين بيضون وجمعية الاستيطان اليهودي كانت قد تمت دون معرفتهم. زد على ذلك أن الأرض كانت قد بيعت كقسم في المشاع وليس كأرض مفروزة.^{١٠٢}

تفيد مصادر في الأرشيف البريطاني بأن معظم مبيعات الأراضي تمت في عهد الانتداب بين العامين ١٩٢٠ و ١٩٤٣، فقد ارتفعت ملكية الأرض اليهودية في فلسطين عاماً خالداً هذه الفترة من ١٠٢٠ كم مربع (في العام ١٩٢٥) إلى ١٧٣٤ كم مربع (في أيار ١٩٤٨).^{١٠٣} وتفيد نفس المصادر الانتدابية بأن الأرض المملوكة من قبل اليهود في لوبية بلغت في العام ١٩٤٤-١٩٤٥ ١٠٥١ دونماً من أصل ٣٩,٦٢٩ دونم هي مجموع

^{١٠٠} ويعرف أيضاً عن يوسف قعوار أنه كان يقرض الفلاحين مقابل رهن أراضيهم.

^{١٠١} بيضون ميخائيلي، السجرة، تاريخها وسكنها: ٧٥ علاماً على تأسيسها ١٨٩٩-١٩٧٣ "بالعبرية". تل أبيب: عام

عوفين، ص ٢٠٠-٢١.

^{١٠٢} المعاملة بين عبد الغني بيضون وناثان نركيس لافين مذكورة في وثيقة بالفرنسية محفوظة في الأرشيف الصهيوني المركزي (CZA/J15/7459, p. 1) بعنوان: "Acquisition Terrain Loubieh" لشراء أراضي لوبية مؤرخة ٢١ آذار ١٩٤٣، جاء فيها ما يلي: "Le terrain de Loubieh a été acheté (en Mucha) ... il y a 43 ans environ" تم شراء أرض لوبية (المشايع) قبل حوالي ٤٣ سنة. وينكر ملف آخر بالفرنسية بعنوان "Project de Colonisation a Lubya-Sarjouni" [مشروع الاستيطان في لوبية-سرجوني] (CZA/J15/5587) أن الأرض التي اشتراها شركة تطوير أراضي فلسطين PICA حتى الرابع من شباط ١٩٤٥ في موقعين في هما لوبية وسرجوني تبلغ مساحتها كالتالي: في السرجوني ٢,٦٨٢ دونم، وفي لوبية ٣,٤٤٦ دونم.

^{١٠٣} Walter Lehn, *The Jewish National Fund*. (London: Kegan Paul International, 1988) p. 85; Table III, "Jewish Land Ownership in Palestine," *ibid*, p. 74; also see, A. Granott (1956), *Agrarian Reform and the Record of Israel*. (London: Eyre & Spottiswoode), p. 28.

أراضي القرية.^{١٠٤} أما المصادر اليهودية فتُفيد بأن بيكا كانت تملك ٤٨٤،٣ دونما في لوبية و ٢،٦٨٢ في سرجوني المجاورة.^{١٠٥}

الوكاء والسماسرة في لوبية:

يتذكر اللوبيون عدّة أشخاص يهود نشطوا في مجال شراء الأراضي في القرية، فقد سمع جميع المسنين مثلاً عن يوسف نحمني وكيل جمعية الاستعمار اليهودي في حيفا. قال أبو طلعت: "إذا قلنا أتنا لم نبع أرض، ستبين الوثائق عكس ذلك. نعم، باع الكثيرون قطعاً من الأرض لليهود. باعواها من خلال رجل يدعى يوسف نحمني. جاء مرةشيخ من عائلة الخالدي وحثنا على عدم البيع لليهود. قال: كيف يمكنكم أن تتبعوا الأرض بجنيه للدونم؟ ألم تكن هذه الأرض لأبائكم وأجدادكم على مدار آلاف السنين؟"^{٦٠٦} ألا تخافون الله! عرضت اللجنة العربية العليا أن تشتري الأرض من أولئك الذين يرغبون بالبيع، لكن لم يحدث شيء في الموضوع."

وبحسب أم طلعت فإن الأرضي كانت قد بيعت للعرب ولليهود على حد سواء. قالت: "باع أولاد حمزة أرضاً لهم لأعمامهم مقابل الذهب، لكنهم لم يجرروا معاملات رسمية فذهبوا إلى طبريا وباعوا الأرض ذاتها مرة ثانية لليهود. كان وكيل اليهود يوسف نحمني. كان اليهود يعطون اللوبيين أحياناً أرضاً بجوار القرية بدلاً عن أرض بجوار المستوطنة."

وقال أبو مجدي: "عقد نحمني اجتماعاً مع المسنين واقتراح عليهم أن يأتوا إلى السكن في طبريا مع حمولة الطوافة، لكنهم رفضوا قبول ذلك خوفاً من أن يتمموا بالعملة. قالوا له: سنبقى مع أهلاً ونترك الأمر على الله". وقد أكد ناحوم عبو على دور نحمني في شراء الأرضي في لوبية: "اشترى نحمني الكثير من الأرض في لوبية، وكان اليهود يجمعون النقود لأجل هذه الغاية. هذا لا يعني أنهم أرادوا طرد العرب، لكنهم أرادوا الحِيَاة على الأرض، والعرب أرادوا بيع الأرض".

^{١٠٤} الخالدي، لكي لا ننسى، مصدر سابق الذكر، ص. ٧٢
Village Statistics 1945 وكذلك

مصدر سابق الذكر، ص. ٧٢

CZA/J15/5587^{١٠٥}

^{١٠٦} من تقرير أعدّه شعبان وناصر الخالدي للقيادة الإسلامية في القدس، مصدر سابق الذكر.

وروى أبو ماجد عن "أربعة أشخاص من القرية قدموا العون لnehmerاني في شراء الأراضي من اللوبيين". وقد طلب مني عدد من اللوبيين الذين أجريت معهم مقابلات لا أنكر أسماء هؤلاء نظراً لحساسية الأمر. قال أبو ماجد: "اقام نheimerاني خيمة لهؤلاء الأربعه وكان يذبح كل يوم ويوزعه عليهم. كان س. يُعرف كخارجي، بسبب المعونة التي قدمها لnehmerاني، وكان عليه أن يختبأ حتى انتهاء الثورة في العام ١٩٣٩. وبعد ذلك توقف الناس عن بيع الأرض إلا أنهم ظلوا يتداولون القطع التي كانت تقع بالقرب من المستعمرة."

وقد ذكر أبو محمد الكيلاني شخصا آخر كان سمسارا وبايع أراضي اليهود من خلال Nheimerani. قال: "في العام ١٩٧٥ جاء م. إلى هنا من الأردن في زيارة رتبها ابن عمّه من طرعان. وقد قابلته في بيته أبو محمد في المكر. بقينا كل الليل معاً. سأله كم كان يملك من الأرض. قال إنه كان يملك ١٠٠٠ دونم حصل عليها من Nheimerani. كان هذا يشتريها ويسجلها في المعاملات الرسمية باسمه". وقال إنه وجد عقود ملكية باسمه في السجل العقاري في عمان ووزع الأرض على ولديه وزوجته كالتالي: ٤٠٠ دونم لأبنه البكر محمد و ٢٠٠ لابن الثاني محمود و ٢٠٠ لزوجته."

وقالت أم طلعت: "كان الناس يلحون على م. أن يشتري أراضيهم. كان كل دونم في ذلك الوقت يكلف ٩٠ قرشاً. كان م. يعمل مع Nheimerani، وعندما زار لوبيه قبل أن يموت ذهب إلى طبريا للبحث عن زوجة Nheimerani". وحين قابلت أحد أخوه م. في إربد وسألته عن مدى صحة ما يقولون عن أخيه أنكر ذلك تماماً. قال إن بعض اللوبيين طلبوا من أخيه أن يبادلوا أراضيهم مع اليهود.

وكانت عدة مجموعات من لوبيه قد استهدفت المتورطين في بيع الأرض، منها "عصابة الكف الأسود". وفي نهاية الأربعينيات حاول أحد الثوار أغتيال شخص مشهور بتعاونه مع

* في العام ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا وثيقة التزمت فيها بتحديد انتقال الأرض من العرب إلى اليهود، وقسمت فلسطين إلى ثلاثة مناطق لهذه الغاية: المنطقة A، يمنع فيها انتقال الأرض من العرب إلى اليهود؛ المنطقة B، يسمح فيها ببيع الأرض من العرب إلى اليهود ضمن شروط خاصة وبموافقة رسمية؛ والمنطقة C، لا يوجد فيها أي تحديد على انتقال الأرضي. إلا أن انتقال الأرض في منطقة A و B لم ينقطع تماماً جراء ثغرات قانونية لم تعالج إلا في منتصف الأربعينيات، وكانت الوسيلة الشائعة لنفاد هذه القوانين أن يقوم الوكيل العربي بتسجيل الأرض باسمه والسماح لليهود باستغلال أرضه، كما يبيو الأمر في قصة م. المنكورة هنا. وكانت وسيلة أخرى شائعة هي أن يقوم البائع العربي بإعطاء توكيل قانوني للمشتري اليهودي يضمن له نوع من السلطة على الملك دون حق ملكية فعلية. وقد ركزت القيادة الفلسطينية جهدها في تلك الفترة في الضغط السياسي على الحكومة لتعديل ثغرات القانون التي تسمح بشرب الأرض بهذا الشكل، وكذلك في نشاط "صندوق الأمة" (برئاسة أحمد حلمي باشا) الذي كان يعمل على الحصول على توكيل قانوني ثان باسم الصندوق من أصحاب الأرض العرب مما يخلق تعقيداً قانونياً أمام أصحاب التوكيل الأول في حال أرادوا التصرف بالأرض (المترجم).

نحmani. وقد شهد يوسف الماني مقتل يهودي مغربي اسمه أبو رি�حا، نشط في تبادل الأرضي بين العرب واليهود في الجوار. قال: "كنت في طبريا في العام ١٩٤٦ وشاهدت رجلاً يرتدي جلبية اقترب منه ومد يده بسرعة وأطلق النار عليه. فصرخت: قتل، قتل! قبل أن يقع على الأرض حاول التمسك بكتف الشيخ أبو خليل الطبراني فأسقطه معه على الأرض".

وأضاف: "بعد ذلك رأيت رجلاً يحمل أبو رি�حا وينوح. كان الشخص الذي قتله يدعى يوسف عبد الغني من عصابة الكف الأسود وهي الجناح العسكري للثورة. وكان عبد الغني ذاته قد قتل رئيس بلدية طبريا بعد ذلك بعده شهر خلال المواجهات بين الفلسطينيين واليهود".

عندما زرت الأردن في العام ١٩٩٦ حاولت مقابلة يوسف عبد الغني وقبل لي إنه توفي قبل عدة أشهر. كان عبد الغني الناشط الأول ضد بانعي الأرض وكان من عائلة فقيرة في لوبية.

بيع الأرض في الأرشيف

لقد عثرت خلال بحثي في الأرشيف الإسرائيلي على مئات الوثائق المتعلقة بالأرض في لوبية، بينما لم اعثر إلا على وثائق معدودة مع اللوبين أنفسهم. ثمة لذلك علاقة بالفارق بين الطرفين في علاقتها بالأرض، إذ أن اللوبين الذين زرعوها وحددوا ورعوا في أراضيهم كانوا يعتبرونها لهم مسلماً دون الحاجة إلى وثائق لإثبات ذلك.

تعكس وثائق دائرة تسجيل الأراضي الاندابية في طبريا والقدس وكذلك وثائق جمعيات الاستيطان اليهودي، المستوى الذي بلغته عملية شراء الأرض المنظمة ومدى تعاون البريطانيين في تسخيرها. تبين الوثائق المختارة أدناه أسلوب نشاط جمعية الاستيطان اليهودي (ومقرها حيفا) في فلسطين عموماً وأثر ذلك على لوبية خصوصاً:

في ٣١ تموز ١٩٢٣ أرسل فرع مسجل الأراضي في طبريا الرسالة التالية للمكتب المركزي في القدس بخصوص طلب جمعية الاستيطان فرز المشاع في لوبية.

"لقد اشتراطت جمعية الاستيطان اليهودي أسمهم غير مفروزة في قطع عديدة في قرية لوبيبة. لقد حاولت الجمعية المذكورة فرز الأرض خلال العهد العثماني وقدمت طلبات بذلك إلى المحكمة عدة مرات دون نجاح. مؤخرًا، قبل القرويون الفرز بالاتفاق وتم مسح جميع أراضي القرية. قسمت القرية إلى قطع حسب الحدود المرسومة في الكوشان. وقد وزعت الأرض الزائدة، في حال وجودها في محل ما، بالتساوي على أصحاب الكوشان في ذلك المحل. وبعد مسح القطع وتعيينها انفق القرويون مع الجمعية بأن تأخذ هذه الأخيرة ثلاثة أو أربع قطع كاملة مكافئة لنصابها من أقسام الأرض الموزعة على جميع قطع الأرض الالثنى عشرة التي تتكون منها القرية. وبذلك توزع باقي الأرض بين القرويين وتأخذ الجمعية أرضها مركزة في قسيمة واحدة."

"السجل الذي قيدت فيها الأراضي التي اشتراطتها الجمعية وكذلك بعض الكواشين الموجودة في أيدي القرويين مفقود، وكذلك الوثائق المتعلقة بتلك الكواشين غير موجودة في المكتب، لكن يوجد دفتر مصدق من قبل مأمور الطابو من العام ١٣٢٨ هـ / ١٩٢٠ م يبين بشكل واضح عدد الأسهم والتاريخ باسم كل شخص باع للسيد بيضون، وهذه الأرقام تتوافق مع الدفتر الأساس للوبيبة الموجود أيضا في المكتب."

"كواشين الجمعية موجودة وكذلك كواشين معظم القرويين موجودة معهم ولن يكون صعبا العثور على جميع المالكين المسجلين في القرية المذكورة."

ثم بعث مسجل الأراضي في طبريا إلى المكتب المركزي في القدس يعرض طريقتين لكيفية تقسيم الأرض ويطلب الموافقة على مخططه. وقد اعتمدت في ذلك على المخطط الأصلي الذي وقعه المالكون من القرية. تقول الوثيقة:

"كواشين الطرفان في ملف نمرة ٤٩٧ متوفرة لكن كواشين ذياب الجودي في ملف نمرة ٤٩٨ مفقودة، وهو يقول إن الحكومة هي التي أضاعت كواشينه وقد تقدم بورقة حساب من البنك الزراعي حصل عليها بعد الاحتلال، تذكر فيها نمر الكوشانات. لذا أمر من القيم العام public custodian لتسجيل البعض باسم ذياب الجودي بعد أن سدد دينه (٢٩/٢٢) أمر رقم ٢٨٥ بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٢). أطلب تعليماتك حول ما إذا سيتم قبول خطة عامة لجميع المعاملات أو أن استماراة منفصلة L.R.27 يجب أن تحضر لغرض الفرز ..."

"توقيع"

مسجل الأراضي في طبريا

في ٢٩ آب/أغسطس ١٩٢٣ أجابت دائرة تسجيل الأراضي في القدس بالموافقة على محتوى الرسالة وطلبت معلومات إضافية وكواشين موقعة من قبل المختار وشخصين آخرين من أعيان القرية. وفي حالة خليل إبراهيم مصطفى، تم طلب شهادة تفيد بأنه "المالك دون منازعة لـ ١٦ من ٢٤ قسم في قطعتي الفوقا وقدرات [الصحيح: غدران] وأن هذه الأرض لم تتبع أو ترتهن. وكذلك فإن صالح ابن أمين العلي عثمان لم يفوض محمد الكسين [الصحيح: الحسين] بأن يقوم بالفرز بدلها، وإلى أن يتم ذلك لا يمكن اعتبار الفرز ساري المفعول..."

وفي رسالة مؤرخة ٢٦ كانون أول ١٩٢٣ مبعوثة من دائرة تسجيل الأراضي في القدس يذكر أنه: "لا يوجد دلائل كافية تثبت أن أم السيف والتلول ومهمة برانس والمعترضة والمعبر وأم لبن [وهذه أسماء قطع أرض في لوبيه] كانت سابقاً مسجلة باسم جمعية الاستيطان اليهودي، ولذا وجب دفع خمسة بالمائة من قيمة الأرض بسعر السوق كبدل تسجيل..." وتذكر رسالة أخرى بنفس التاريخ:

"وجب على وكيل جمعية الاستيطان اليهودي تقديم إفادة كتابية يذكر فيها أنه بالرغم من أن القطع الإحدى عشرة جميعها مسجلة باسم الجمعية إلا أن الجمعية لا تملك سوى ٢١ من ٢٤ قسم، وأن الباقي، ٣ من ٢٤ تعود ملكيتها إلى عبد الرحمن ابن عبد العزيز باكار..."

"ويجب أن تذكر الإقادة بشكل واضح أن جمعية الاستيطان اليهودي تعترف بأن عبد الرحمن يملك ٣ من ٢٤ قسم ليس فقط في قطع المهمة التحتى، والمهمة الفوقا، وقطعة شيخ أحمد، وأم لبن، والحجر، وهي القطع التي قدمت إيزاتها كواشين، إنما أيضاً القطع الإحدى عشرة جميعها المذكورة في الطلب..."

وتبين وثائق أخرى إشكالية مطلب الجمعية بفرز الأرض نظراً لصغر قسمها فيها. في ٢٧ كانون أول كتبت الدائرة المركزية لفرع طبريا تقول:

إن طلب الفرز غير سليم. لا يمكن فرز أم العنق والتل لأنه بحسب شهادة المختار وشرحك للمسألة فإن قسم الجمعية وورثة يونس الأحمد يبلغ معاً الخمس فقط، ولا يمكن أن يكون الفرز صحيحاً إلا بموافقة جميع من يخصهم الأمر.

لم تقدم الجمعية أي كوشان يثبت ملكيتها لقطعة الأرض المسمى "البرانس" ولذا لا يمكن تسجيلها إلا بشهادة خطية من المختار تفيد بأن الجمعية كانت في حيازة دون منازعة على الأرض منذ عشر سنوات.

لم تكن جمعية الاستيطان اليهودي راضية عن مجريات عملية التسجيل، كما يظهر في رسالة من ممثل الجمعية في حيفا إلى دائرة تسجيل الأراضي في القدس مؤرخة ٨ كانون ثاني ١٩٢٤، يحتج فيها على سياسة التسجيل ويطلب إما أن يتم إجراء الفرز أو أن تجرى عملية تبادل. تلقي هذه الوثيقة الضوء على ارتباط مفهوم المبادلة، أو الفصل بين الجيران، بمبدأ الفصل المناطقي الذي أسس لكيان اجتماعي وسياسي يهودي خاص.

مقدمة

"إن أراضي لوبيه مسجلة في الطابو العثماني كقطع أرض صغيرة تبلغ كل منها بضع دونمات."

"تملك جمعيتنا أقساماً في كل قطعة أرض، وتقع هذه القطع أحياناً في كوشانين أو أكثر، وهي مسجلة باسم موكلنا ناثان نركيس لافين." وفي الوقت الحاضر نعمل على استبدال اسم الوكيل باسم الجمعية وفرز الأرض أو إجراء مبادلة مع شركائنا في الأرض. لدينا القرار المطلوب من المحكمة وقد تقدمنا بطلب تسجيل إلى مكتب تسجيل الأراضي بطريريا.

"وعندما راجعنا السجلات وجدنا أن السجلات التركية مفقودة ولذا اضطررنا بموجب الإجراءات أن نقوم بمسح الأراضي المذكورة والتي تشمل جميع أراضي القرية المذكورة تقريباً. لقد أوجبنا هذا العمل الصخم تحمل صعب كثيرة وتكليف باهظة، لكن النتائج ذات أهمية قصوى للطابو لأنها تساعد في تعديل السجلات."

"ثم أثنا اعتدنا أن هذا العمل سيلقي الدعم الكبير من دائرة تسجيل الأراضي لأنه يسهل معاملات الأراضي في القرى، التي توقفت بسبب فقدان السجلات وعدم مقدرة القرى على تحمل تكاليف مسح جديد من أجل تسجيل أراضيهم."

"لكتنا نشعر أن دائرة تسجيل الأراضي تقوم بعكس ذلك وتضع صعوبات جمة أمامنا من خلال رسوم التسجيل. لقد دفعنا نسبة رسوم الأرض لمحكمة الأرضي وقبلنا دفع ٢٥ فرشاً لتغيير اسم الوكيل على كل قطعة حسب لائحة الرسوم وكذلك نسبة رسوم الفرز، لكننا دهشنا لمطلب دائرةكم بان ندفع ٢٥ فرشاً عن كل كوشان كرسوم تصحيح المساحة."

"٣٠ في شباط ١٤٣٦هـ / ١٨٨٨ رهن مصطفى العلي ممتلكاته كما هي مسجلة باسمه في كواшин رقم ١١٢-١١٣ إلى عبد الغني بيضون.

تعود آخر الوثائق الرسمية الخاصة بمعاملات الأرض من بيع وشراء وتسجيل وكذلك المعروضات الخاصة بالأرض المحفوظة في الأرشيف الإسرائيلي إلى العام ١٩٣٥ فمن المعروف أن عمل الحكومة خلال الثورة الكبرى بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ كان قد تقلص بشكل ملحوظ، خاصة في الكثير من المناطق الريفية، وقد انعكس هذا بطبيعة الأمر على الأرشيف الرسمي لجميع دوائر الحكومة.^{١٠٧}

ويوجد ذكر لبيع الأراضي في لوبيه في مصدر آخر يرجع إلى شعبان سلمان، شيخ منطقة الحولة، الذي زار لوبيه لمدة ثلاثة أيام في آذار ١٩٣٦. وقد ذكر في تقريره أن اليهود اشتروا قطع أرض في لوبيه وأقاموا عليها مستوطنة. وكان في عظه في قرى قضائي الحولة وطبريا يحث الناس على الامتناع عن بيع أراضيهم لليهود أو للسماسرة العرب. وقد ذكر أن شخصاً من عرب السمايرة يعيش في الغورير بجانب طبريا باع أربعة آلاف دونم لشخص من عكا وهذا باعها لاحقاً لبيكا.^{١٠٧}

وكانت آخر وثيقة متعلقة بلوبيه قبل النكبة، عثرت عليها في الأرشيف الدولة الإسرائيلي، عبارة عن معرض من محمد عبد الرحمن محمد وأخوه حوران ومطلق، وأبناء أخيهم محمد ولطفي سعيد، موجه ليس لسلطات الانتداب إنما إلى نائب رئيس اللجنة العربية العليا، المفتي أمين الحسيني، ويحمل تاريخ ١٦ تموز / يوليو ١٩٤٧. وموضوع المعرض هو شكوى بخصوص خمسين دونما من الأرض يملكونها المذكورون بجانب مستوطنة حزوريم. جاء فيه:

إن الصهاينة يستغلون أرضاً كل الوقت، في الصيف والشتاء من خلال الشوارع التي تشق أرضاً. وغرضهم هو أن نبيع الأرض لهم، وهذا ما لن نفعله ما دمنا أحياء. وقد وافقت بيكا على تبادل الأرض بقطع قريبة من بيوتنا، وسيعطونا دونمين مقابل كل دونم. لقد أرتأينا أن هذا التبادل لا يضر بمصالحنا الوطنية وأنه من الأفضل أن يتم منعاً لأي جريمة يمكن أن تقع كرد فعل على تحرش اليهود، ولذا نطلب موافقكم على التبادل.

^{١٠٧} من تقرير سلمان شعبان وناصر الخالدي إلى القيادة الإسلامية في القدس، مصدر سابق الذكر.

شخاص فقط من لوبيه سمح لهم بدخول أرض القرية بعد العام ١٩٤٨ . أحدهما هو مصطفى أبو دهيس، ابن المختار، الذي كان يعرف بعلاقاته الوطيدة بالبريطانيين والمسئولين الصهاينة قبل العام ١٩٤٨ . قال حسام أبو دهيس: " جاء عمي إلى إسرائيل في العام ١٩٧٣ وبقي حتى العام ١٩٨٤ . سكن بالأول معنا، ثم أعطوه شققين في طبريا وأعطوه كذلك قطعتي أرض في دير حنا مقابل أرضه في لوبيه ". وقد أكد هذه المعلومة أشخاص آخرون من لوبيه، منهم يوسف يوسف، الذي قال إن مصطفى كان يملك سبعة أو ثمانية دونمات بتلك مقابله أرض في دير حنا . وقال حسام إن عمه كان يملك بالإضافة إلى ذلك ثلاثة وعشرين دونمًا في دبورية . وأضاف: " كانت له علاقات طيبة باليهود قبل الحرب في العام ١٩٤٨ . حين جاء إلى هنا استقبله قادة الدولة جميعاً، مثل موسيه ديان وحاييم بار ليف وأخرون . كان له الكثير من الأصدقاء من [مستوطنات] السجنة وب Mata . رفض أن يعطيها قطعة أرض في دبورية، وقد عارضه أبناء عمي في الأردن بشدة ".

أبو محمد الكيلاني، وهو لوبي بقي داخل إسرائيل في العام ١٩٤٨ ، ورفض أن يرسل دعوة لمصطفى إلى عرس ابنه بسبب السمعة السيئة التي لحقت مصطفى . قال: " جاء مصطفى إلى هنا وكانت أحضر لزواج أبنائي فطلب مني صديق لي من كفركنا اسمه أبو ناصر أن أدعوه مصطفى إلى العرس . اعترضت منه وقلت إنه كان من الأفضل لسمعة لوبيه أن لا يعود أبداً . لكنه جاء وأصر بنفسه ثم غادر ".

اللوبي الآخر الذي سمح له باستغلال جزء من أراضي لوبيه هو صلاح شحادة (أبو نمر) . قال: " في العام ١٩٥٥ أستأجرت أراض من منهال ميكاركعين، [أي سلطة الأراضي في إسرائيل] لزراعة الأشجار ولأغراض زراعية أخرى . كنت أدفع في البداية ٤٠٠٠ ليرة إسرائيلية، والآن أدفع بين عشرة وخمسة عشر ألف شاقل إسرائيلي في السنة . أستأجر اليوم ١٨٠ دونماً لزراعة الزيتون و ٥٠ دونماً لمحاصيل زراعية أخرى وقد منحت تصريحاً بالبناء على هذه الأرض لمدة ٤٩ عاماً . مر على وجودي هنا اليوم ٤٥ عاماً . كانت كل القرى المتrocكة معروضة للإيجار بعد أن رحلت الناس وقد تم تأجير الأراضي التي لم يرغب اليهود بها للعرب الذين ظلوا في فلسطين ".

" في العام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ جاءت سلطة الأراضي وشرعت بغرس أشجار الصنوبر على أرض المقبرة فاعتراضت على ذلك، خاصة بعد أن قال لي راع إيه رأى عظاماً في المقبرة . وبعد تقديم الاعتراض جاء المدير يحمل فتوى من الشيخ طاهر الطبرى من الناصرة تصرح بمثل هذا العمل اعتماداً على تقليد إسلامي لا يمنع الناس من زراعة

الأشجار في المقابر. لكنني اعترضت ثانية لأنني رأيتهم يقتلعون المقبرة بأكملها بحجة زراعة الأشجار، ونحوت بإيقاف المشروع. عندي أرض في صفورية أيضاً؛ لكن أمنيتي كانت دوماً أن أعيش في لوبيبة. أنا العربي الوحيد الذي ظل يستأجر أرضاً عربية."

الفصل السابع

الثورة الكبرى

"إذا أطلقت رصاصتك على الماضي يمطرك المستقبل بالقنابل" (مثل فيتنامي)

تبدأ روايات معظم الليبيين الذين قاتلتهم بالنكبة عام ١٩٤٨؛ قلائل منهم بدأوا بالعام ١٩٣٦ لقد شهد عقد الثلاثينات نشوء حس منظور في وعي الليبيين بهويتهم الفلسطينية وبفلسطين عامة، وكذلك شهد ثورة واسعة النطاق ضد الحكم البريطاني والاستيطان الصهيوني في فلسطين دامت بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ وعرفت بالثورة الكبرى: كان المسؤولون البريطانيون والصهاينة يطلقون أوصاف الاضطرابات وأعمال الشغب على الثورة، وهذا بالطبع مغاير تماما لما ي قوله الناس أنفسهم عن دورهم في هذا التاريخ، إذ ترسم روايات المسنين المتوفرة صورة لزمن مقاومة لاحتلال أجنبي وصورة حصار وقمع ومضائق دائمة من قبل القوات البريطانية.

تفيد المصادر البريطانية والصهيونية بأن لوبياً لعبت دوراً مركزياً في الثورة، كان الليبيون يرسلون نجادات للقرى المجاورة وكذلك يطلبون المساعدة من القادة العرب في المنطقة، كان أحمد عقلة وأبو طلعت من بين أولئك الذين شاركوا بشكل فعال في الثورة الكبرى، وهما يمثلان أيضاً النزعين السياسيين السائدتين في لوبيا آنذاك إزاء العلاقة بالبريطانيين وبالحركة الصهيونية.

لقد وظف البريطانيون سلسلة من الإجراءات شديدة القسوة لقمع الثورة، قالت أمينة إسماعيل: "كانت القوات الانكليزية تقتحم القرية وتفرض منع التجول من السادسة مساء حتى السابعة صباحاً، كان الانكليز يجمعون رجال القرية كلّهم في وادي العين ويبقون عليهم طيلة النهار تحت حرارة الشمس، وكانوا يضعون أوراق الصبار على الأرض ويجبرونهم أن يدوسوا عليها حفاة".

شملت هذه الأعمال القمعية أيضاً حرق المحاصيل الزراعية، وفرض منع التجول والاعتقال والسجن بحق الرجال والفتىـان. وحين استطاع البريطانيون إـنهاء المقاومة في العام ١٩٣٩ كانت خسائر الفلسطينيين قد بلـغـت خـمـسـة آلـاف ضـحـيـة وخمـسـة عـشـر أـلـف جـريـحـ. وكانت الـقـيـادـة الـوطـنـيـة الـفـلـسـطـيـنـيـة قد أـبـعـدـت إـلـى خـارـج فـلـسـطـيـن مـنـذـ بـداـيـةـ الثـورـةـ إلا أنـ المـواـجـهـاتـ المـتـفـرـقةـ معـ الـقـوـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ فيـ فـلـسـطـيـنـ اـسـتـمـرـتـ حـتـىـ خـروـجـهاـ تـامـاـ منـ فـلـسـطـيـنـ فيـ الـعـامـ ١٩٤٨ـ

المشاركة في الثورة:

جاءت الثورة الكبرى في الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ نتيجة تراكم صراع أخذ يمد ويجزر في فلسطين منذ إعلان بريطانيا دعمها لإقامة وطن قومي لليهود هناك. وتعكس المجتمعات والمؤتمرات التي عقدت عشية إعلان الاندماـجـ على فـلـسـطـيـنـ فيـ بـداـيـةـ الـعـشـرـيـنـ،ـ فيـ لـوـبـيـةـ وـبـلـادـاتـ وـمـدـنـ فـلـسـطـيـنـيـةـ عـدـيـدـةـ أـخـرـىـ كالـخـلـيلـ وـرـامـ اللهـ وـطـولـكـرمـ،ـ وـعـيـاـ فـلـسـطـيـنـيـاـ مـبـكـراـ بـمـخـاطـرـ الدـعـمـ الـبـرـيطـانـيـ للـهـجـرـةـ الـيـهـوـدـيـةـ وـمـشـارـيـعـ الـاسـتـيـطـانـ فيـ فـلـسـطـيـنـ.

كانت لوبية مركز نشاط سياسي ليس فقط لقرى المجاورة إنما لممثـلين عن البلـادـاتـ والمـدنـ الفـلـسـطـيـنـيـةـ عـامـةـ،ـ فقدـ عـقـدـ أـوـلـ مؤـتـمـرـ لـاتـحـادـ العـمـلـ فيـ لـوـبـيـةـ فيـ الـعـامـ ١٩٢١ـ ١١٣ـ وـعـقـدـ اـجـتـمـاعـ شـعـبـيـ آخرـ فيـ أـيـلـولـ عـامـ ١٩٢١ـ بـشـأنـ أـثـرـ وـعـدـ بـلـفـورـ الصـادـرـ عـامـ ١٩١٧ـ،ـ شـارـكـ فـيـهـ بـيـنـ ثـلـاثـيـنـ وـخـمـسـيـنـ شـخـصـ منـ أـرـجـاءـ فـلـسـطـيـنـ الـمـخـلـفـةـ.ـ وـكـانـتـ مـثـلـ هـذـهـ الـاجـتـمـاعـاتـ تـعـقـدـ سـرـاـ لـقـادـيـ رـيـوـدـ فـعـلـ سـلـطـاتـ الـاحـتـالـلـ الـبـرـيطـانـيـ ١١٤ـ.

في نيسان ١٩٣٦ تأسـستـ اللـجـنةـ الـعـرـبـيـةـ الـعـلـيـاـ بـرـئـاسـةـ مـفـتـيـ الـقـدـسـ.ـ وـقـدـ لـعـبـتـ اللـجـنةـ دـورـ المـظـلةـ السـيـاسـيـةـ لـلـمـجـتمـعـ الـعـرـبـيـ فيـ فـلـسـطـيـنـ.ـ وـكـانـتـ أـوـلـ خطـواتـ اللـجـنةـ أـنـ أـعـلـنـ الإـضـرـابـ الشـامـلـ منـ أـجـلـ الضـغـطـ عـلـىـ الإـدـارـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ لـتـغـيـرـ مـسـارـهاـ وـلـإـيقـافـ الـهـجـرـةـ الـيـهـوـدـيـةـ إـلـىـ فـلـسـطـيـنـ نـهـائـيـاـ ١١٥ـ وـجـاءـ مـجـمـلـ الـمـطـالـبـ إـلـغـاءـ وـعـدـ بـلـفـورـ وـالـعـتـرـافـ بـفـلـسـطـيـنـ كـوـلـةـ مـسـقـلـةـ.

^{١١٣} مضر يوسف عودة، بلدة لوبية الجليلية: شهادة تاريخية، أنظر بخصوص اجتماعات العام ١٩٢١ في لوبية وغيرها من البلدان الفلسطينية، عبد الوهاب الكباري، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، النسخة التاسعة)، ص. ١٥٦.

^{١١٤} لمـذـكـرـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ فـيـ أـيـ مـقـالـاتـ الـتـيـ أـجـرـيـتـهـاـ خـلـالـ الـبـحـثـ،ـ وـيـعـودـ ذـلـكـ لـكـونـ الـأـشـخـاصـ الـذـينـ قـاـبلـتـهـمـ صـفـارـاـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـلـقـلـةـ الـوـثـائقـ الـمـكـتـوـبةـ عـنـ ذـلـكـ الـفـرـقـةـ،ـ مـقـارـنـةـ بـالـثـلـاثـيـنـ الـتـيـ كـانـتـ لأـحـدـاهـاـ أـبعـادـ إـقـلـيمـيـةـ وـعـالـمـيـةـ أـعـظـمـ.

^{١١٥} A Survey of Palestine. Vol. I, p. 35.

استمر الإضراب ستة أشهر وشمل قطاعات كاملة من المجتمع العربي الفلسطيني، وعندما أصدرت اللجنة العربية العليا قرارها في 11 أكتوبر 1936 بإنها الإضراب، عارضت القرار بعض القطاعات التي لم تثق بالوعد البريطاني، مما أشعل نيران الثورة. جاء ذلك بعد قرابة عام من الأجواء السياسية المشحونة التي كان لثورة الشيخ عز الدين القسام واستشهاده في تشرين ثاني /نوفمبر 1935 أثرًا هاماً فيها. وقد دامت الثورة الكبرى من أكتوبر 1936 حتى عشية الحرب العالمية الثانية عام 1939.

كان عز الدين القسام قد زار لوبيه وامتحن مواقف اللوبيين الشجاعة، ونجح باستمالة غالبية الشبان إلى جانبه بدل المفتى الحاج أمين الحسيني. وقد استمال القسام أيضاً مخاتير القرية الذين عرفاً تقليدياً بمواقفهم السياسية الحذرية. لاحقاً، خلال الثورة، أرسلت فرق من لوبيه إلى نابلس وطولكرم وجنين للمشاركة في نشاطات المقاومة.

أحمد عقلة، بخلاف مسنين آخرين من لوبيه، اختار العام 1936 نقطة بدء لروايته عن تاريخ لوبيه. وقد أكدت لي عائلته المعلومات التي كنت قد جمعتها من أرشيف جريدة الاتحاد في حيفا¹¹⁶. كان عقلة فيما يبدو يعي أهمية هذه الفترة أكثر من غيره بسبب مشاركته فيها شخصياً كقائد لخلية مقاومة، وإدراكه لمخاطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكذلك بسبب شخصيته كقائد شجاع ومحترم، ومن ثم نشاطه في مخيم برج الشمالي كعضو في اللجنة الشعبية، مسؤولاً حتى وفاته عن شؤون المخيم.

"عندما بدأنا النضال ضد البريطانيين والصهاينة عام 1936، شكّلنا ثلاثة فرق، تشمل الواحدة منها أربعين مقاتلاً. كان قادة هذه المجموعات هم صالح محمد طاه الشنشيري، وأحمد محمد عبد القادر شهابي، وأنا. كنا على اتصال مع قيادة الثورة التي أمدتنا ببعض السلاح، وكذلك قدم لنا أقاربنا بقيادة المختار حسن أبو دهيس إمدادات من الرجال والسلاح. بدأنا بالهجوم على موقع العدو شرقى الجليل. كنا على اتصال بقيادة الثورة في الجليل، أبو محمود وأحمد طوبى (الأخير أصله من لوبيه)، وقمنا بأعمال مشتركة ضد العدو".

¹¹⁶ مقابلة مع أحمد عقلة ليراها وجيه جابر في فلسطين الثورة، 1 كانون ثاني/يناير 1981، ص.ص. ١٤٣-١٣٧. وقد أضاف لوبيون آخرون تعليقاتهم على حديث أحمد قبل خمسة عشر عاماً في مخيم عين الحلوة في لبنان.

يذكر أبو حسن كيف أن مجموعة من الشبان ذهبت إلى نابلس "لإحياء الثورة في العام ١٩٣٧، وقد توفي في تلك الحملة محمد عبد القادر بكار وجرح شخص آخر من دار العاصم". وينظر نايف حسن الذي كان في المدرسة آنذاك أن "اللاميد أرادوا الخروج في مظاهرة، إلا أن المعلمين منعومنا من النظاهر. وفي اليوم التالي لاحظنا وجود سلك بجانب المدرسة وحين أخبرنا المدير أرسلنا إلى البيت. كانت قبلة. جاء الجنود البريطانيون وفجرواها. كانوا يخيمون في بيت دمعون في محل اسمه الكفة. ظننا في البدء أنهم هم الذين زرعوا القبلة، لكن من المحتمل أن اليهود هم الذين قاموا بذلك."

شخص آخر نشط في الثورة الكبرى هو طاهر محمد حسين (أبو طلعت) الذي أصبح فيما بعد مختاراً في إربد، بالأردن. عرفت طاهراً حين كنت في الأردن، و كنت أزوره عدة مرات خلال العام. يعكس إحساس حسن طاهر بالمفارة وتحليله لتطور النضال الفلسطيني في السبعينات، حكمة رجل مسن يفوتنا نحن الشباب إدراك قيمتها في معظم الأحيان: "في العام ١٩٣٦ العديد من الشبان، ربما أربعين أو خمسين، شاركوا في ثورة عز الدين القسام والمفتى الحاج أمين الحسيني. ولذا كانا في اتصال مباشر بأبو إبراهيم الصفورى وأحمد طوبى اللذان كانوا ممثلين عن [قيادة] الثورة. أنكر كذلك موت أحمد محمد من قريتنا في منطقه نابلس".

وتحلت نظرة أبو طلعت إلى أحداث الثورة بنفاذ البصيرة، خاصة في سرده لزيارة عز الدين القسام إلى القرية وتجنيد أشخاص من القرية واستشهاد ثلاثة منهم مع القسام في معركة يبعد. "عندما اشتدت الثورة جاء عز الدين القسام إلى لوبيه مع وفد كبير، منهم الشيخ نوح إبراهيم، أبو أحمد حيفاوي، والشيخ سليمان. اجتمعوا بمخاتير القرية من كل الحمایل وكذلك مع الشخصيات البارزة في القرية: حسن أبو دهیس، محمد قواطین، جوهر حامد، الشيخ فواز علي شهابي، الشيخ يحيى سعيد الشهابية، الشيخ أحمد سليمان حجو، الشيخ محمود حسين، الشيخ إبراهيم ذياب، محمد ومفضي. امتدح القسام ورجاله لوبيه وطلبوا عنها".

تجاوיבت لوبية وقدّمت كتبة شاركت في المعركة الهامة في يعبد (قضاء جنين) التي استمرت ثمان ساعات. انسحب اللوبيون بعد انتهاء الذخيرة معهم، وخسارة ثلاثة رجال منهم، هم محمد محسن ومحمد الخطيب وعلي أحمد. بعدها أخذنا مزيداً من الذخيرة واتجهنا جنوباً نحو دير الغصون للمشاركة في معركة كان يقودها فرحان السعدي. قتل في

هذه المعركة القائد عبدو فرحان ومن لوبية قائد المجموعة أحمد محمد عبد القادر الشهابية "ومحمد الغريبي".

ورغم أن أبو طلعت كان أحد البارزين في نشاطات الثورة، فهو يختلف في آرائه حول العلاقات الفلسطينية-البريطانية-اليهودية عن معظم أبناء جيله. "لو أنها أعطينا القيادة لمصطفى أبو دهيس لما مسنا سوء. لقد حافظ على علاقات جيدة باليهود وكانوا يحترمونه. وكان له علاقات جيدة بالبريطانيين كذلك، وكانت أعماله التجارية في طبريا ناجحة. لقد أقنع أحد اليهود أن يشهد خلال محاكمة أخيه رمزي بتهمة قتل صالح [رقية] بأن المتهم كان معه في طبريا أثناء وقوع الجريمة."

زار لوبية إبان الثورة العديد من قادتها لطلب المعونة. يذكر أبو ماجد زيارة للقرية قام بها نوح إبراهيم في العام ١٩٣٧. "نوح إبراهيم، هو شاعر وخطيب، جاء في أحد الأيام إلى قريتنا وخطبنا قائلاً: اتركوا نسامكم الليلة، إننا ذاهبون لاحتلال طبريا. وقد أثار كلامه هذا الحماس في الرجال وأعطاهم مهمة قطع خطوط الهاتف بين الناصرة وطبريا. أبو غزالة (محمد العموري) سقط من على عمود الكهرباء وأرسلته إدارة الثورة لتلقى العلاج في مستشفى السادات في دمشق (اليوم يدعى مستشفى التوفيق)."

يقول ناحوم عتو أن الهجوم على طبريا ظل نقطة سيئة في علاقتنا بلوبية. زكي الحديف قتل في أعمال الشعب عام ١٩٣٨. كان رئيس بلدية طبريا. افترحت على القيادة أن نهاجم العرب، لكنهم رفضوا. يغاليون بنفسه أبعدني عن طبريا كي لا أقوم بفعل انتقامي. وعندما أصيب أخي عرف القائد أنني مصمم على الأخذ بالثأر، فطلبا مني أن أعقاب الذين قاموا بالمجزرة، ونفذت الأوامر." وعلمت فيما بعد في إحدى المقابلات أن يوسف عبد الغني من عصابة الكف الأسود هو الذي قتل الحديف.

Comment [MF35]: Based on an archival document that I have, a letter from Haddeh with a Hebrew letterhead זקי הדרה signed in English: Z. Ef (Effendi) Haddeh

"في العام ١٩٣٨ سجنت في عكا لأنني قتلت عربيا. كنت أول أعضاء الهاغاناه الذين حكموا بالإعدام في محكمة بريطانية. لكنهم خضوا الحكم من الإعدام إلى السجن المؤبد نظراً لصغر سني فقد كنت آنذاك في السادسة عشر من عمرى. بقيت في السجن حتى العام ١٩٤٥." وكما يظهر في وثيقة مؤرخة ١٩ آب/أغسطس ١٩٤٢ مرسلة إلى حاكم اللواء البريطاني، د. هيديلي (D. Headly) فإن حاكم اللواء رفض طلب عفو لعبو. "لا أرى سبباً للتوصية بالعفو ذلك لأن العربي المقتول لم تكن له أي علاقة بالهجوم السابقة ضد السجين، ولا يبدو لي أن هناك أية اعتبارات مخففة تجعلني أتفهم جريمة قتل شقيقة جداً،

بعد عدم تنفيذ المحكمة لحكمها بالإعدام الصادر بحق المتهم." (الإرشيف الإسرائيلي، ملف رقم: 2692/T.461/N).

عندما سألت ناحوم إن كان قد قتل مدنياً أنكر فعل ذلك. قال: "لا، لقد قتلت شخصاً شارك في المجربة." إلا أن ضباطاً إسرائيليين يهود آخرين قالوا إن العربي الذي أطلق عليه الرصاص كان رجلاً مسناً ولا علاقة له بالأحداث. اسم الفلسطيني الذي قتل في ٧ أيار/مايو ١٩٣٩ هو رجب ابن حاج بيد.

احتلت لوبيبة موقعاً استراتيجياً على تقاطع الطرق بين القرى الفلسطينية والمستوطنات اليهودية في الجليل. شارك أحمد عقلة في الكثير من المعارك ضد البريطانيين والقوات اليهودية في محيط لوبيبة. قال: "ذكر أنتا شاركتنا في الكثير من الهجمات ضد قوافل العدو بجانب كفر كنا وواحدة بقرب مسكنة على الطريق بين العفولة وطبريا. مرة احتجزنا حارس مستوطنة وادي الحمام وسلمتنا مواشي المستوطنة إلى قيادة الثورة. ذكر أن محمود قواطين، ونایف أبو دهیس، ومتقال الحسن، وإبراهيم الحسن، ومحمد إبراهيم وأحمد علي شاركوا في ذلك الهجوم."

"في معركة طبريا بقيادة نوح إبراهيم وأبو عاطف نجحنا باحتلال مقر الشرطة بالإضافة إلى مبانٍ أخرى، وقد صعد أحدهنا على السطح وأعلن الأذان. استمرت المعركة أربع ساعات. العديد من حطين شاركوا، منهم الرقيب متعب قفطان والرقيب محمد عبد الله وعبد اللطيف إبراهيم ومحمد صالح. وفي هجوم آخر سقط محمد عبد الله وعبد اللطيف. الكثيرون منا ساعدوا الثوار في صفد. ذكر أن القائد سقط في تلك المعركة."

"مرة أخذنا زمام المبادرة وهاجمنا مستوطنة يمة، واحدة أكبر المستوطنات شرقي الجليل. انضم إلينا خمسة وسبعون رجلاً من لوبيبة. قتل في ذلك الهجوم قائد المستوطنة إلياهو بن حاييم وثلاثة من الحراس. ومن جانبنا أصيب درغام مطلق عبد الرحمن. هاجمتنا طائرات العدو وسقط من مجموعتنا ثلاثة رجال، يونس رشيد ومفضي حسن وسلiman مصطفى." وأضاف أبو طلعت أن "مجموعة من الفتياً مسكوناً مره يهودياً من السجدة وقتلوه. فردت المستوطنون بالهجوم على القرية وذبح عائلة بكمليها. دخلوا القرية بلباس عسكري بريطاني رسمي."

كانت لوبيبة ترسل الوفود لتقديم العون للقرى المجاورة حين كانت تقع صدامات مع القوات البريطانية والصهيونية والقرى المجاورة. ذهبت مع محمد حسن يحيى الشهابية في وقد لحضور اجتماع في بيت عبده العيدي، قائد قرية المغار، بجوار لوبيبة. بعض الحضور اقترحوا إرسال مجموعة من كل قرية لنجدة لوبيبة. أذكر أن خوري من قرية الرامة قال بأن ليس لديهم بنادق حديثة واقتصر إرسال وفد للجنة العربية العليا لطلب السلاح الحديث منهم. فقال له محمد الشهابية: هل قاتلت ضد اليهود؟ إنهم كالنساء. هل تخافهم؟ لا نريدك ولا نريد مساعدتك. فرد الخوري: هذه وجهة نظري.

وقد زار رجال من لوبيبة البلاد العربية المجاورة كذلك لطلب الدعم المادي والسياسي للثورة. في العام ١٩٣٦ زار لوبييون دمشق وطلبو مساعدة السلطات السورية. شارك في الوفد بحسب أبو طلعت كل من "نایف أبو دهیس، إبراهیم مفضی، محمود حمادی، صالح محمود صالح، محمود حسن الشهابیة، والتقوی بقيادة الثورة، ومنهم عبد الحمید فاهوم وأبو إبراهیم الكبير (ممثی الثورة الفلسطينية في سوريا)، ووعدهم بتقديم المساعدة".

لوبی آخر عرف بمشاركته في الثورة هو صالح رقیة، الذي قتله فيما بعد رمزي أبو دهیس، ابن المختار، في خلاف شخصی. قال أبو طلعت: "أنکر کيف أن صالح رقیة أصر حين وصلنا مرة إلى نمرین أن يزور لوبيبة رغم اعتراضي على ذلك. كنت حينها عضوا في الثورة. كان البريطانيون مع مصطفی أبو دهیس ورأیتهم يقودون سيارة لاند روفر عسكرية وعليها رشاش ويتجهون نحونا".

"أطلق الرصاص على السيارة ورد جندي بإطلاق الرصاص نحونا فأصاب صالح بكتفه. سقط صالح على الأرض. نزل الضابط البريطاني من السيارة وبيده مسدس وتوجه نحوه ظنا منه بأنه ميت. لكن صالح أطلق النار على الضابط. لقد دهشت لرؤیة الجنود يهربون تاركين ضابطهم قتيلا على الأرض. أعناني رجال من نمرین على نقل صالح إلى مقر القيادة. عذبهم البريطانيون فيما بعد ليقروا عن مكانه إلا أنهم لم يتفوهوا بكلمة واحدة."

ـ

تذكر أمينة علي إسماعيل القصة بشكل مشابه. "رأى الجنود الانكليز صالح محمد (رقیة) على حصانه ومعه سلاح. بدأوا يطلقون النار عليه. كنا نراقب ما يحدث وكنا على يقین بأن صالح سقط ميتا. إلا أنه قتل جنديين إنكلیز وجرح ثلاثة آخرين. ونجح في الوصول إلى نمرین بجوار لوبيبة واختفى. سمعنا لاحقاً بأن أنسا من حطين أخذوه إلى عندهم وساعدوه حتى سافر إلى دمشق. كان مصاباً برجله."

وبحسب أبو يوسف فإن "بعض الرجال الذي كانوا يتعاونون مع الانكليز لحقوا بصالح إلى دمشق لقتله. ساعده أحد السكافين على الاختباء في لفة جلد في دكانه. حاصروا الطرقات لثلاثة أيام بينما اختبأ هو في الدكان. نجى وعاد إلى لوبيه. فغنت له نساء القرية: صالح يا صالح يا أبو الشيشي قتلت الضابط والشاوشي".

لقد وقفت السلطات البريطانية والصهيونية بدقة لدور اللوبين في الثورة. تذكر وثيقة محفوظة في الأرشيف الصهيوني أسماء ثمانية عشر شخصاً مضطلاعاً في القتال. كان أحمد محمد قائد الثورة، وقتل في إحدى المعارك مع سعيد مفضي. وتذكر الوثيقة سليمان فطروش، فاضل الحسن، يونس رشيد، محمد شهيم، أحمد إبراهيم، أحمد قاسم، صالح محمد، علي حسين، عابد حسين، محمد حسين، محمد شuran، راضي الحميدي، فاضل يوسف، حسن ذيب، علي مصطفى.

وقد جمعت المخابرات الصهيونية معلومات عن الأسلحة الموجودة في لوبيه والخطوات التي اتخذها البريطانيون ضد اللوبين الذين شاركوا في الثورة:

"كان في القرية الأسلحة التالية: ٢٠ بندقية و ١٥ مسدساً. لم يتم قتل أي شخص من القرية على يد الإرهابيين. لم تصادر الحكومة أي قطعة سلاح، ولم يبعد أو يلجاً أي شخص من القرية بسبب ذلك. وكعقاب على الاضطرابات هدمت الحكومة بيوت كل من صالح محمد (يقدر بـ ٤٠٠ ليرة فلسطينية)، علي حسين (١٠٠٠ ليرة)، عابد حسين (٤٠٠ ليرة)، محمد حسين (٤٠٠ ليرة)."

وتذكر وثيقة أخرى من الأرشيف أسماء القادة منبعثة لوبيه:

العصابات في لوبيه ضد اليهود والإنكليز، ١٩٣٨/١٠، عابد أبو الغمام، مثل العصابة في لوبيه، محمد عبد الرحمن الفواز، قائد عصابة في لوبيه ٣٩/٣/٢٤، مختار مرعي، مثل العصابة في حطين. تهاجم هذه العصابات طبريا والمستوطنات اليهودية.^{١١٧}

الهجمات على لوبيه:

¹¹⁷ انظر أعلاه.

في آخر الثورة أصبحت لوبيه عرضة للهجمات من القوات اليهودية. في العشرين من حزيران /يونيو ١٩٣٩ قام محاربون يهود شبان بقيادة شلومو شامير الذي أصبح فيما بعد قائد كتيبة في العام ١٩٤٨، ويقال آلون، أشهر قائد إسرائيلي في العام ١٩٤٨، بإطلاق النار على منزل في لوبيه. وأسفر هذا الهجوم الليلي عن مقتل طفلين ورجلين وامرأة بحالة الطلاق، قتلت مع مولودها.

حين سألت ناحوم عبو إن كان يغال ألون بذاته هو الذي أعطى الأمر بتنفيذ المجزرة أنكر ذلك، إلا أنه أكد على أن ألون كان قائد الفرقة التي قطعت الطريق على القوة العربية المتوجهة إلى طبريا. قال إن الإيتسل (اختصار أرغون تسفائي لئومي، بالعربية: المنظمة العسكرية القومية) وهي مليشيا أنشأها قادة الصهيونية التعديلية في فلسطين، هم الذين كانوا يعتدون على المدنيين. وقد أعدم البريطانيون أحد نشطاهم، بن يوسف، بسبب تورطه في زرع قنبلة في قرية الجاعونة (روش بينا اليوم). يعرف ناحوم ثلاثة من أصدقاء بن يوسف.

بحسب أحد شهود العيان على المجزرة، حسين محمد صالح، فإن ابن أخيه حافظ سليمان وولديه وزوجته فاطمة محمد التي كانت تضع مولودا قتلوا جميعا، وقد نجت من المجزرة الداية حفيظة وامرأة أخرى. وقد فرضت القوات البريطانية منع تجول على القرية من السادسة مساء إلى السادسة صباح اليوم التالي. كان موقع الهجوم في منطقة تعرف في لوبيه بحارة المدان.

وقد أكدت جريدة فلسطين الخبر في عدد يوم الأربعاء بتاريخ ٢١ تموز /يوليو ١٩٣٩، وكتبت دافار جريدة الهمستروت ما يلي:

لقد وقعت جريمة جديدة في ليبيا [لوبيه]، جريمة بشعة تظهر أن منفذيها قد فقدوا ما تبقى لديهم من عقل سليم وانطفأوا لديهم آخر شراراة من مشاعرهم الإنسانية... مختل ذكري هذا العمل... يلاحق منفذيه التدميريين بالخزي، أي كانوا^{١١٨}

اتهمت الإيتسل في حينه بتنفيذ العملية. دافيد بن غوريون، قائد الجناح الاشتراكي في الحركة الصهيونية، وآخرون في المجتمع اليهودي، استنكروا بشكل رسمي العملية

¹¹⁸ *The Haganah History Book*. Vol. III, p. 72; *Davar*, 22 June 1939 cited in Uri Ben-Eliezer, *The Making of Israel Militarism*. Bloomington: Indiana University Press, 1998, pp. 34-35.

ووصفو منفذها بال مجرمين والإرهابيين . و مفارقةً ، تم الكشف لاحقاً عن أن منفذ العملية هم قوات الهاغاناه المنتهمين إلى بن غوريون^{١١٩} . لقد هاجمت قوات الهاغاناه المدنيين ليس في لوبيه وحدها ، إنما في بلد الشيخ أيضاً ، ولو أن قيادة الهاغاناه لم تكن تعرف بذلك^{١٢٠} .

وقد بررت الإيتسل هجمات الهاغاناه ضد لوبيه و بلد الشيخ كرد مناسب لهجمات سابقة كان الفلسطينيون قد قاموا بها .

قبل حادثة لوبيه بثلاثة أيام ، في الثاني عشر من حزيران / يونيو ١٩٣٩ ، دخل بعض رجال متخفين بملابس ميكانيكين إلى بلد الشيخ بجانب حيفا و اخترعوا خمسة من سكانها وأطلقوا عليهم النار . قال قائد العملية : يجب أن يتم تنفيذ العملية بملابس الجيش لكي يعلم الجميع أنها عملية يهودية . قبل عدة أيام كان سائق قطار يهودي قد قتل بجانب القرية ، فجاءت عملية الهاغاناه انتقاماً لمقتله . وكان في ذلك إنذار للمستقبل أيضاً . كانت بلد الشيخ ، مثل قرى عربية أخرى ، متهمة بدعم أعضاء العصابات . عرفنا أن قائد العصابة كان من القرية وخططنا لقتله ؛ لكن في حال عدم العثور عليه هناك كان من اللازم قتل ثلاثة أو أربعة رجال بدله^{١٢١} .

بعد مرور عدة أيام على عمليات مشابهة ضد لوبيه أرسلت المنظمة السرية من خلال بث راديو سري التحية إلى شبان إسرائيل الذين تجاهلوا أوامر قادتهم واتبعوا مسلك مقاوم الإيتسل في حربهم ضد العدو العربي ، ونفذوا عمليات بلد الشيخ بجانب حيفا ولوبيه بجانب طبريا .

لم تعرف قيادة الهاغاناه منفذ تلك العمليات حتى أكتوبر ١٩٣٩ ، حين أعلنوا في جريدة bahairak أن المنفذين كانوا أعضاء في الهاغاناه دخلوا لوبيه و بلد الشيخ من دون موافقة قادتهم .

لقد رغبت المنظمة السرية بأن تظهر من خلال تلك العمليات الروح الجديدة التي اكتفت منظمتنا وسادت في المناطق اليهودية . إن تلك الروح التي لم تكن ظاهرة في صيف العام

^{١١٩} داليد نيف ، معارك الإيتسل ، من الدفاع إلى الهجوم [بالعبرية] الجزء الثاني (تل أبيب: مؤسسة كلوزنر ، ١٩٦٥) ص. ص.

^{١٢٠} ٢٤٥

^{١٢١} انظر أعلاه ، ص. ٢٤٥ .

^{١٢٢} انظر أعلاه .

١٩٣٦ أصبحت هي السائدة بعد العام الدموي الثالث، وشكلت ضربة قوية لماكدونالد
١٢٠ وورقه البيضاء

بعد تقديم احتجاجات عديدة للقائد يوحنا راتر، عمل بن غوريون على فرض النظام
ومنع انتشار القتل العشوائي. كتب بن غوريون في مذكراته: "لقد أعطيت الأوامر بعدم
التعرض للعرب الأبراء". لكن أولئك الذين شاركوا في قتل العرب لم يتقيدوا بتلك
الأوامر ١٢٣.

عندما قدمت لناحوم عبو نسخة عن مقال صحيفة دافار، قال إنه بالرغم من معرفته
الواسعة بتاريخ هذا البلد، فإن هذه هي المرة الأولى التي سمع فيها عن هجمات قامت فيها
الهاغاناه. وأصر أنه "من المستحب أن يكون يغال آلون قد أمر بقتل المدنيين كانتقام من
هجمات عربية. حتى ولو رأيت ذلك بأم عيني، كما يقول المثل العربي". ١٢٤

رد فعل البريطانيين:

متى حدث في أرجاء فلسطين المختلفة، اتبعت السلطات البريطانية سلسلة من الإجراءات
لإخضاد الثورة، منها الاعتقالات الجماعية والاحتجاز ومنع التجول وتدمير البيوت. وقد لحقت
تلك الأفعال باللوبيين أيضاً.

ذكر يوسف العيسى أنه كان "ابن ثلاثة عشر عاماً حين سجنني الجيش البريطاني. كنا
نقطع أسلاك التلفون، وحين تدخل الكبار لإطلاق سراحه بسبب سني، قال الضابط
الإنكليزي: الصغار أخطر من الكبار. بقيت في السجن لمدة ثلاثة أشهر، شهرين في جوليا
في القسم الشرقي من قرية البصّ وشهر في خضوري، بجانب جبل طabor، لها نفس
الاسم مثل المدرسة. كان ذلك في العام ١٩٣٩. أطلقوا سراحتنا حين بدأت الحرب
العالمية".

¹²² في أيار/مايو ١٩٣٩ أطلقت الحكومة البريطانية في "ورقة بيضاء" (Cmd. 6018) عن نيتها تحديد الهجرة اليهودية إلى
فلسطين بـ ٧٥،٠٠٠ شخص على مدار السنوات الخمس القادمة، وأن تمنع فلسطين استقلالها خلال عشر سنوات. وقد أثارت
الوثيقة احتجاجات واسعة النطاق من قبل المنظمات اليهودية في فلسطين وبريطانيا.

¹²³ مذكرات بن غوريون، ٦ حزيران/يونيو ١٩٣٩ - ١٣ حزيران/يونيو ١٩٣٩.

¹²⁴ يؤكد كتاب آخر من تأليف أوري بن إليعزر اضطلاع يغال آلون بشكل مباشر بالهجمات ضد المدنيين. إلا أن ناحوم أصر
على أن يغال آلون كان إنساناً وأنه أراد السلام مع العرب وأنه كان يستضيف أشخاصاً عرب في منزله: "لقد عرفه شخصياً،
وأعطاني أوامر بقتل المسؤولين عن المشاغبات فقط". قال ناحوم، ثم أراني نسخة عن الأمر كما نشر في كتابه، الصراع حول
طيريا.

وأضاف يوسف: "كان معه أربعة وعشرون شخصاً مسجونين: جاءت القوات البريطانية إلى القرية وفرضت الحصار عليها بحجة وجود ثوار. قامت طائرة بإسقاط مناشير تعلن منع التجول. ذكر الأسماء التالية: من العجائية، ياسين عوض، عبد الله العموري، محمد العموري، يوسف، صالح مفضي، صالح حسين، سليم محمد. من العطوات، محمد إبراهيم منصور، عايد العطا، محمود يوسف موسى. من الشناشري، محمود إبراهيم أحمد، حسني عابد رحمان، مصطفى عابد رحمان. من العوايدي، محمد علي وردة. من الشهابية، محمد قاسم". لم يفلح بتذكر أسماء التسعة الباقين.

ذكر أحمد عقلة حادثة واحدة فريدة. "عندما دخل الجيش البريطاني لوبيبة واعتقل أربعين رجلاً من ضمنهم القائد حسن أبو دهيس وفواز علي الشهابية، رد اللوبيون على ذلك بتشكيل قوة محاربة اسمها الكف الأسود. وحدثت عقب ذلك أعمال قتل انتقامية، كقتل رئيس بلدية طبريا زكي الحديف على يد يوسف حسونة ونایف أبو دهيس، ومقتل رئيس دائرة الأراضي على يد خليل الطبرى، ومقتل شرطي عربي متوازن مع العدو على يد سعيد مفضي وعبد فندي".

قال أبو طلعت: "رد الجيش البريطاني بعنف. فرضوا منع التجول من التاسعة مساء حتى التاسعة صباحاً، وكانتوا يقطعون الصبار ويضعونه على الأرض ويجبرون المعتقلين أن يمشوا حفاة عليها". وقد ذكرت أمينة علي إسماعيل أمراً مشابهاً، قالت: "كانت القوات الانكليزية تفتح القرية وتفرض منع التجول من السادسة مساء حتى السابعة صباحاً. كان الانكليز يجمعون رجال القرية كلهم في وادي العين ويبقون عليهم طيلة النهار تحت حرارة الشمس، وكانوا يضعون أوراق الصبار على الأرض ويجبرونهم أن يدوسوها عليها حفاة". وأضافت: "جاء الانكليز إلى قريتنا وحرقوا المحاصيل. كانوا نملاً البيت بالمؤن، كالقمح والذرة وزيت الزيتون والفالصolia، وغيرها. جاءت قوات الانكليز سحبوا الأكياس على الأرض وخلطوا الحبوب المختلفة فقضوا على كل ما خزناه لموسم الشتاء".

أعقبت أمينة روايتها بتهيدة عميقه لأنها ترى الحدث أمام عينيها. "جاءت قوات الانكليز وفرضت منع التجول من السادسة مساء إلى السابعة صباحاً. قتلوا سعيد عابد الرحمن وهو على حصانه في طريقه إلى الحقل في الصباح. كانوا هناك مع قواتهم في بيته أعمامي دامون ومزيد وعيسي محمود. جاءوا إلى بيته مع مترجم اسمه أبو إسحاق، فيما ذكر، وسألوا أبي عن شخص قالوا إنه إرهابي دخل البيت. أنكر أبي ومنعهم من الدخول".

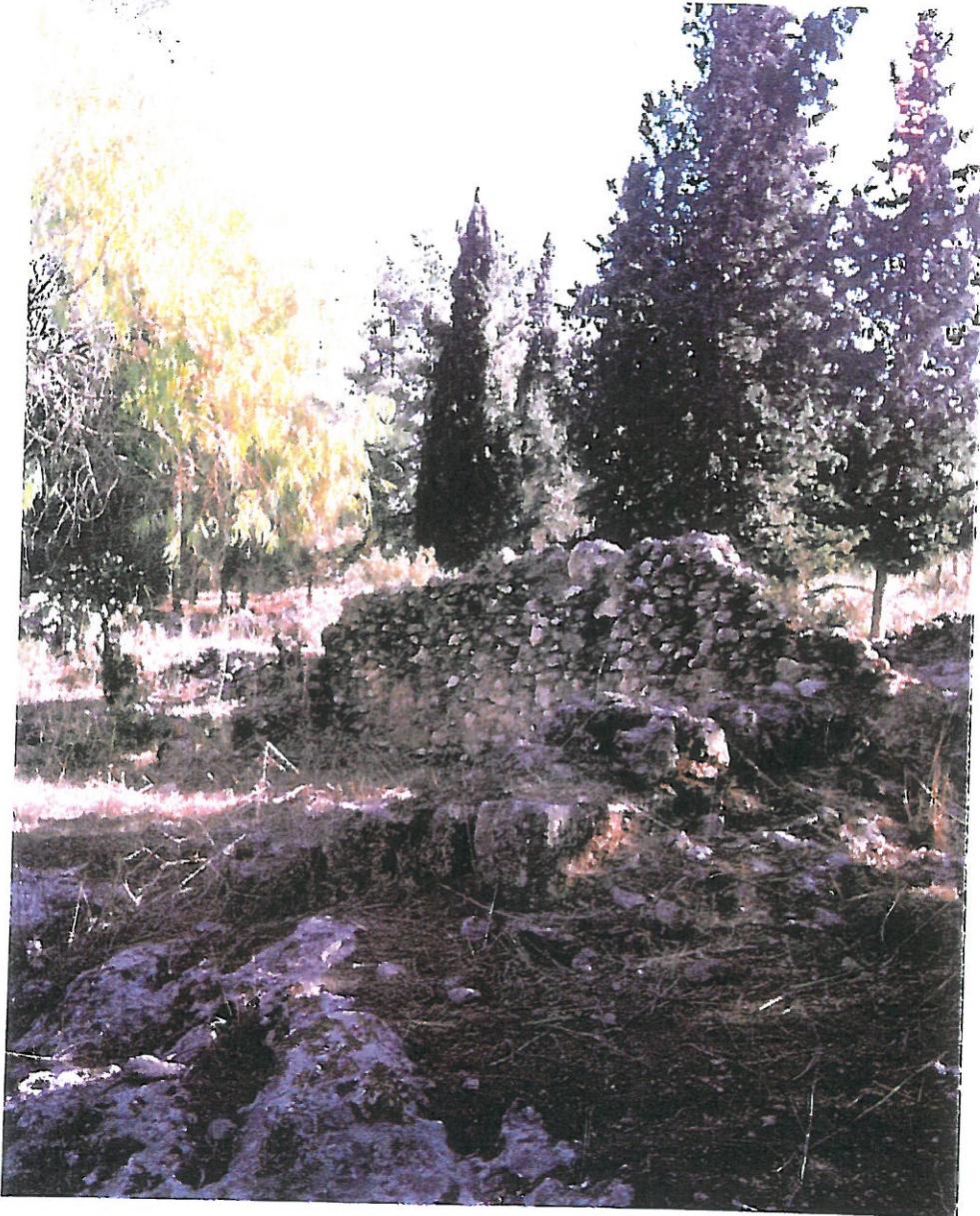
وبحسب رواية أحمد عقلة، فإن القوات البريطانية قررت أخيرا في العام ١٩٣٨ "احتلال لوبية وإقامة نقطة شرطة صغيرة في القرية". سعيد عبد الرحمن كان من بين من قتلتهم هذه القوات. آخرون قالوا إن سعيد عبد الرحمن قُتل صباحاً وهو يعُد للصلوة. لم يرحب القرويون بوجود البريطانيين في لوبية. "ظل اللوبيون يقاومون القوات البريطانية عبر رمي الحجارة وأشياء أخرى عليهم. وهكذا أخلت القوات البريطانية موقعها من داخل القرية وتراجعت إلى مكان يدعى الخربة، جنوب غرب لوبية."

فقد عدة رجال من لوبية حيّاتهم ثمن المشاركة في الثورة. قال أبو ماجد: "توفي أحمد محمد بكار من حمولة الشهابية، وكان عضوا في مجموعة عز الدين القسام، في دير الغصون، في الضفة الغربية. جاءت القوات الانكليزية لاعتقاله إثر إخبارية من أحد عناصرهم. ضربوا معلما اسمه محمد السفريني من قضاء طولكرم لامتناعه عن إخبارهم بمكان أحمد. فتشت الشرطة ببيوت أحمد ومرزوق عودة لأن أحمد كان يزورهم على الدوام."

"بعد أن أطلق جنود يهود النار على دواس عثمان تدخل البريطانيون وقتلوا رجلين آخرين مما عارف محمد عبد الرحمن وإبراهيم منصور. اجتمع أربعة رجال هم ياسين العموري وإبراهيم موسى البكري وموسى وذباب الصالح ورسموا خطة للأخذ بالثأر من أحد اليهود. أنا ضد هذه الأعمال. وقد نفذوا مخططهم عبر خداع تاجرین يهوديين بريئين جاءا لشراء السكر منهم. الأربعة ماتوا."

في حين نجحت القوات البريطانية بإنهاء الثورة مع آخر العام ١٩٣٩، ظلت تلاحق الفلسطينيين الذين عارضوا بشكل فعال الاحتلال البريطاني لفلسطين. قال أحمد عقلة: "أذكر حين وجدت القوات البريطانية صالح محمد طاه مقتولاً بعد ظهر يوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٤٤. جلبه البريطانيون من المستشفى في طبريا ودفن في منتصف الليل تحت مراقبة القوات البريطانية. آخرون من مجموعة طاه دافعوا عن أنفسهم فقتلوا وجرحوا ثلاثة بريطانيين ومن ضمنهم ضباط."

طاه في ذكرة اللوبيين المسنين هو رمز المقاومة.



All that remains.



Abu Tal'at, Mukhtar of Lubya, in Irbid-Jordan.



Lubyans in Jordan.



Lubyans, gathered in protest against the damage of their grandparent's tombs, accompanied by a representative from the religious ministry in Israel.

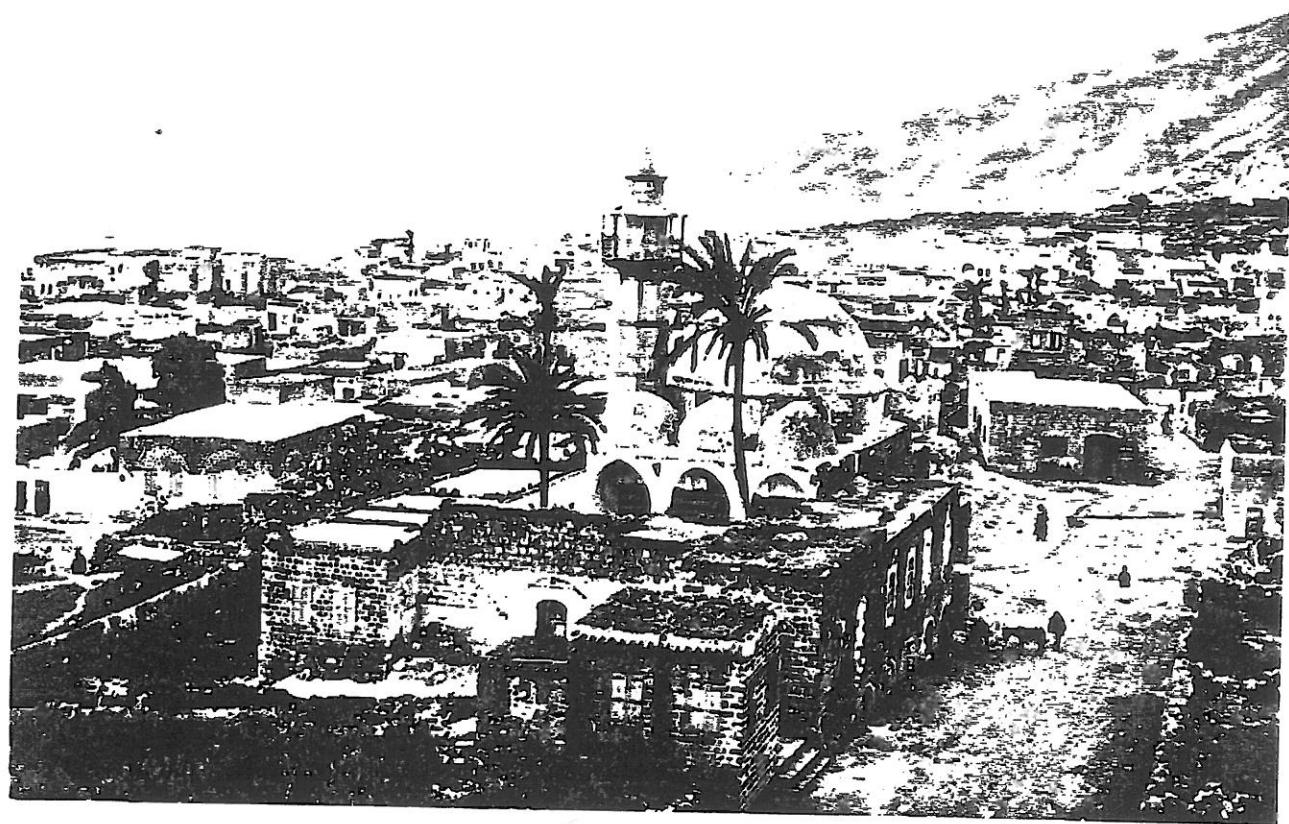




Saleh Hussein lost his mind after being subjected to torture by Shajara settlers in 1948.



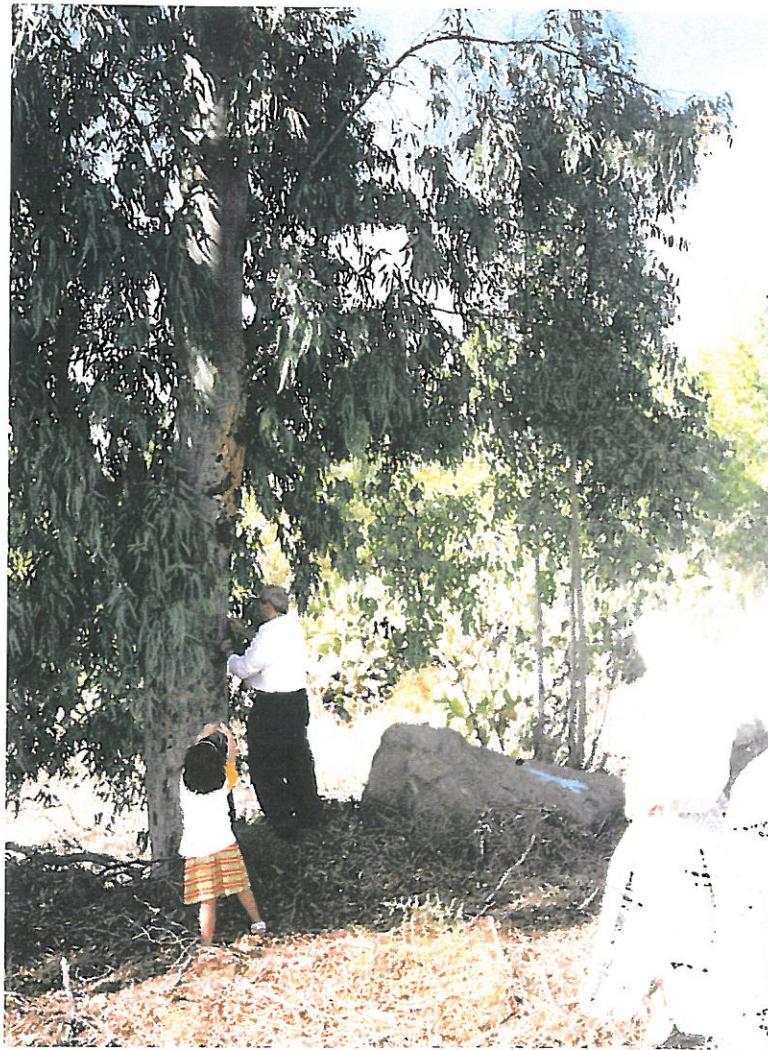
Lubyans in Jordan gather to see the film: "The grandfathers land"(Denmark Radio, 1995).



Tiberias in the thirties: Lubyans daily life was dependent on the town.



Girls from Suhmata, in the thirties, holding water jars. (Oxford collection)



Youssef Issa carving his name on a tree he planted 50 years ago.



"Haji Tamam" & her grandchild in Deir Hanna, holding a newspaper with the title:
"Returning to Lubya".

الفصل الثامن

"ما الذي نلناه من بعلبك؟ ألم تكن لوبية تعطمنا ذهبًا؟!"

النكبة

"الذاكرة ساحة معركة" (أليستير ثومبسون)

شكل عام النكبة ١٩٤٨ انقطاعاً جذرياً في حياة المجتمع الفلسطيني، إذ أجبر مئات الآلاف من الفلسطينيين على مغادرة بيوتهم واللجوء إلى لبنان وسوريا والأردن وما لم يسقط من فلسطين بيد القوات الإسرائيلية حتى نهاية الحرب (أي الضفة الغربية وقطاع غزة).

غادر اللوبيون مثل جميع اللاجئين تاركين كل شيء وراءهم. معظم الرجال والنساء الذين قابلتهم بدأوا قصصهم بسرد ذكريات ذلك العام ومحاولات القوات اليهودية احتلال القرية، وقد تحدثوا بفخر عن دفاعهم عن لوبية خلال الحرب. فلم تنجح القوات الإسرائيلية باحتلال القرية في تموز يوليو العام ١٩٤٨ إلا بعد العديد من الانكسارات وتکبد الخسائر.

يتذكر الضباط الإسرائيليين الذين شاركوا باحتلال القرية لوبية كقرية شجاعة. قال أحدهم: "إن أهالي لوبية لم يفروا مثل أهالي باقي القرى. لقد كانوا أشداء وخافهم اليهود". مازال قبر دواس عثمان وهو أحد الذين سقطوا دفاعاً عن القرية موجوداً في مقبرة لوبية كشاهد مادي على هذا التاريخ. وما زال اسمه المحفور على الحجر مقروءاً، بعد أن مرت الأعوام الطويلة جميع الأسماء الأخرى باستثناء اسم واحد فقط ظل ماثلاً مع اسم دواس عثمان.

ما زال المسنون يتذكرون الدروب التي سلكوها إلى المنفى، ويصفون جبالها وسهولها وبلدانها. تبدو هذه الدروب في أحاديثهم أشبه بطريق جهنم، مليئة بالمهانة والجوع والخوف وفقدان الأحباء، مكونة من ليال طويلة قضوها في العراء، عانوا فيها من اعتداءات اللصوص ووقوع بعضهم في السجن. قالت أم عابد: "كنا نسير نحو الشمال

بالآلاف... ننام في العراء... المحظوظون منا كانوا يعشرون على شجرة تين أو زيتون
ينامون تحتها".

في مراحل اللجوء الأولى ظل لاجئو لوبية في قرى قريبة من الحدود انتظاراً للعودة، لكنهم سرعان ما أجبروا، بعد مضي أسابيع أو أشهر قليلة، على إكمال مسیرهم نحو مناطق أبعد. وسرعان ما حلت عليهم حياة المخيم والرتابة المقيدة للاصطفاف في الطابور. أصبح عليهم الآن أن يصطفوا واحداً تلو الآخر للحصول على ضروريات البقاء، في حين كانوا في القرية يحصلون على هذه الأمور بتباهٍ وعرق جبينهم. أصبح الآن يكتفى حياتهم انتظار للعودة دون حدود، لم يدرك إلا قلائل منهم أنه دائم طوال هذا الوقت.

أحداث سابقة للهجوم على لوبية:

لقد وقعت فلسطين قاطبة في حالة ترقب بعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين ثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧^{١٢٥}. كانت لوبية قد أحقت على نحو اعتباطي بالدولة اليهودية المقترحة، بينما أحقت جاراتها من القرى المرتبطة معها بشبكة علاقات كثيفة وقديمة بالدولة العربية. بالطبع لم تتخذ أية خطوات لاستفتاء رأي اللوبين بموضوع التقسيم وبما سيكون مصيرهم، وقد تجاهل قرار الأمم المتحدة رأي غالبية السكان الأصليين في فلسطين الرافض لمبدأ التقسيم.

كان يوسف عيسى في الثامنة والعشرين من عمره آنذاك. وقد تذكر الأحداث على النحو التالي: "تدهورت الأوضاع العسكرية في عموم فلسطين بعد قرار التقسيم. رفض غالبية الفلسطينيين القرار وبدعوا يعودون لمواجهة متبعات الأمور. عرف اللوبيون أن قريتهم ستلحق بالدولة اليهودية حسب مخطط التقسيم وبدأ يدافعون عنها بكل ما أتيح لهم من وسائل منذ صدور القرار وحتى سقوط القرية في ٢١ تموز/يوليو ١٩٤٨، أي على مدار ثمانية أشهر".

^{١٢٥} قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ١٨١ (ب)، ٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٤٧. جاء مخطط التقسيم اعتماداً لتقرير الأغلبية الصادر عن لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (أنيسكوب UNSCOP). تقرير لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، الأمم المتحدة، وثيقة A/٣٦٤١، ٢١ آب/أغسطس ١٩٤٧. لقد شملت مساحة الدولة اليهودية المقترحة ٥٦٪ من مساحة فلسطين، من المقرر أن يعيش فيها ٤٩٨،٠٠٠ يهود و٤٩٧،٠٠٠ عرب فلسطينيين. كان اليهود يملكون أقل من ١٠٪ من الأرض. بالمقابل، كان عدد سكان الدولة العربية المقترحة ٧٢٥،٠٠٠ عربي فلسطيني و ١٠،٠٠٠ يهودي. أما القدس التي كان من المفترض أن تقع تحت وصاية دولية فكان عدد سكانها ١٠٥،٠٠٠ عرب و ١٠٠،٠٠٠ يهود.

جاءت رواية ناحوم عبو عن الأحداث المؤدية إلى احتلال لوبيبة مشابهة. عبو هو ضابط إسرائيلي متلاعنة من طبرية كان قد شارك في احتلال لوبيبة. قال: "بعد إقرار مشروع التقسيم في الأمم المتحدة اندلعت أعمال الشغب في المنطقة كلها. كنت ضابطاً قبل قيام إسرائيل وقادنا لمجموعة مسلحة في طبرية. طلب مني الذهاب إلى السجدة لتدريب الشبان اليهود، وكانت في ذهني فكرة عمل شيء مع اللوبين. لم أواجه مشاكل في الانتقال من طبرية إلى السجدة مروراً بلوبيبة، فأنا أتحدث العربية بطلاقة وكنت أرتدي ملابس عربية. لكنني أصبحت فيما بعد أكثر عرضة للانكشاف".

وكما حدث في الثورة الكبرى، كانت القيادة اليهودية قد أرسلت وفوداً إلى القرى الفلسطينية الواقعة في مناطق استراتيجية لإقناع أهلها بعدم المشاركة في المقاومة أو المواجهات المنتشرة في عموم فلسطين. يذكر اللوبين عدّة وفود يهودية كهذه، شملت يوسف نحمني من طبرية وحاييم لافيكوف من السجدة، وكلاهما كان ناشطاً في شراء أراضٍ من لوبين لحساب مؤسسات الاستيطان الصهيوني.

قالت أمينة علي إسماعيل، التي كانت تبلغ من العمر التاسعة عشر آنذاك: "أرسل اليهود رجالاً إلى القرية اسمه نحمني مع رسالة تطلب من اللوبين أن يختاروا العيش سوية مع اليهود في دولة يهودية. رفض شباب القرية هذا الأمر واتهموا المختار حسن أبو دحيس بالعملة". وقال إبراهيم شهابي إن اليهود أرسلوا ضابطاً إنجليزياً لطلب الحياد من لوبيبة. وأضاف: "قال له والدي إن عليه أن يتحدث مع حسن أبو دحيس فغضب الشباب من الفكرة وخطبوا والدي خلال الاجتماع متسائلين: هل ملأ الانكليز جيبوك؟" وقد أكد لوبين آخرون هذه الرواية.

قال أبو طلعت: "أذكر وجود خط تلفون واحد في القرية في بيت مصطفى مفتري. وفي يوم من الأيام قرع الهاتف. كان يهودي الخط وطلب التكلم مع المختار أبو دحيس. قال له: لا مانع لدينا بأن تتضمنوا إلى الجيش [العربي] فنحن سننظم إلى الجيش أيضاً، لكن دعنا لا نهاجم بعضنا البعض في هذه المنطقة. بعض الرجال اتهموا المختار بأنه خارجي لقوله المقالمة الهاتفية".

مازال أشخاص من عائلة أبو دحيس يعتقدون أنه كان بإمكان عمّهم مصطفى إنقاذ القرية من الدمار بسبب علاقاته باليهود. قال أحد أبو دحيس¹²⁶: "كان حايم لافييف من السجدة مسؤولاً عن الأقليات في الجيش اليهودي، وقد أرسل إلى الليبيين يقترح عليهم البقاء في لوبيبة. إلا أن بعض الزعران أفسدوا كل شيء". قال أبو طلعت: "كاد الزعران يقتلون الرجل أثناء مغادرته البيت. وتسلل إليهم الأهالي كي لا يمسوه بسوء. قالوا: دعونا نعيش بسلام ونتجنب المشاكل، لكن الزعران اتهموا أبو دحيس بالخيانة. ولم يتوفه قادة الثورة بكلمة خوفاً من أن تتحققهم نفس التهمة".

لم تتردد أم عصام، والدة أحمد، في إخباري بأسماء من اعتنقت أنهم مسؤولين عن الصدام مع اليهود. قال: "إن الذين قاموا بكل المشاكل هم محمد عبد الرحمن، أبو ناصر ونبوه من العطوات". إلا أن يوسف يوسف ولوبييون آخرون اعتبروا هؤلاء الأشخاص ثواراً شجاعاً. ما زال كلاً هذان الرأيان عن أحداث العام ١٩٤٨ والهدنة التي اقترحتها اليهود، موجوداً بين الليبيين إلى يومنا هذا.

من المعروف أن القليل من القرى الفلسطينية التي عقدت مثل هذه الهدنة نجت من تعرض القوات اليهودية لها، مثل دير ياسين التي شهدت مجزرة في نيسان/أبريل ١٩٤٨ راح ضحيتها مئات من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ رغم الهدنة مع الجهات اليهودية المسئولة في القدس.¹²⁷

عندما ذكرت المجزرة لعزرا لافي أتّهم الإيتسل. قال: "لم يصدر الأمر بارتكاب هذه المجزرة عن بن غوريون، بل عن الإيتسل. رجال الإيتسل تسبّبوا بالكثير من المشاكل. قتلوا وطردوا عرباً من حifa ونشطوا ضد الانكليز". وأضافت زوجة عزرا، إستير: "لم يكن [قائد الإيتسل] مناحم بيغن شخصياً من أصدر الأمر". كانت الإيتسل ضد الهاغاناه. كانوا كالليكود والعمل اليوم. ارتكبت الإيتسل المجزرة من دون أوامر من بيغن. كانوا مقاتلين أسوأ من الهاغاناه".

٠

¹²⁶ أجريت مقابلة مع أحمد أبو دحيس في الناصرة بتاريخ ٥٢ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

¹²⁷ مجزرة دير ياسين هي الأسوأ في سلسلة المجازر المتكررة ضد المدنيين الفلسطينيين خلال فترة المواجهات العسكرية في فلسطين بين ١٩٤٧-١٩٤٩. نفذت المجزرة من قبل قوات الإيتسل والليجي بمعرفة مسبقة من الهاغاناه وأصبحت رمزاً لنوايا الحركة الصهيونية ومصير الفلسطينيين. لمزيد من المعلومات انظر وليد الخالدي، دير ياسين: الجمعة، ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨. القدس: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩. انظر أيضاً: www.deiryassin.org

وقد روى هشام ابن أبو عاصم عن والده حادثة أخرى جرت في قرية عيلوط حيث مكث أبو عاصم إلى أن دخلت القوات اليهودية واحتلت القرية. قال: "كانت القوات اليهودية تقوم بقتل عدد من الشبان في كل قرية تدخلها، اختاروا في عيلوط ٤٢ شاباً ورمواهم بالرصاص. لم يقاتل الأهالي في عيلوط لكنهم عوقبوا على أي حال".^{١٢٨}

سألت ناحوم عبّو عن مجررة أخرى حدثت في عيلبون حدثت بعد أن توصل الطرفان لاتفاقية تسليم. قال: "أعرف تلك الحادثة جيداً. لقد أسر القرويون أربعة جنود وقطعوا رؤوسهم ثم لعبوا فيها كرة قدم. عندما دخلت قواتنا إلى عيلبون احتجزت ثلاثة أو أربعين رجلاً من القرية وطلبت من شخص مقنع من الأهالي أن يتعرف على الذين شاركوا في قتل الجنود. كان جندي يضع بده على كتف كل رجل ويسأل الرجل المقنع إن كان مذنبًا أم لا. اختاروا اثنى عشر رجلاً من القرية وقتلوهم".

وقد لاقت قرى أخرى معاملات شديدة القسوة بسبب اشتهرارها بعلاقات قوية مع لوبيه. تحدث عجاج سعد عودة من طرعان عن الأيام التي تلت سقوط الناصرة ولوبيه والمشاورات حول التسليم أو عدم التسليم لليهود. قال: "عندما سقطت لوبيه وصفورية دعا عمي وجهاً القرية إلى اجتماع، ووافق المندوبون المسيحيون من القرية على اقتراح عمي بإرسال رسالة استسلام للقوات اليهودية. أخذ الخوري الرسالة وسلمها إلى الخوري في كفر كنا وهذا نقلها إلى الضابط الإسرائيلي عاموس. قال عاموس لعمي إنه كان ينتظر من طرعان ارتكاب أدنى خطأ لكي يدمّرها كليّة لأنها مقرّبة من لوبيه ومن جيش الإنقاذ".

" جاء عاموس مرة إلى القرية وطلب إخراج جميع الرجال، انتقى منهم سبعين أو ثلاثة وسبعين رجلاً من العائلات المختلفة وزوج بهم في السجن في مخيم تلفينسكي على الساحل (بجانب ضريح سيدنا علي). لم نعرف شيئاً عن مصيرهم حتى أطلق سراحهم بعد ثمانية أو تسعة أيام. جلسوا خمسين في نفس الغرفة. عندما سألهم عاموس عن أسماء الذين وقعوا على أوراق الاستسلام واكتشف أن عشرة منهم لم يكونوا حاضرين أمر بهم منازلهم".

¹²⁸ انظر: محمد أمين بشار، عيلوط عبر التاريخ. الناصرة: مكتب النورس للإنماء التربوي، ٢٠٠٢.

كان أهل طرعان محظوظين لعدم إطلاق النار على أحد منهم مثلاً حديث في دير ياسين وعيلبون وطنطورة وبلد الشيخ والحسينية والدوايمة.^{١٢٩} قال لي عجاج عودة إن قادة الثورة أرسلوا إلى عمه يسألون عن سبب تسلیمه، ولاحقاً التقى بوصفي التل^{١٣٠} وأعتذر الأخير منه قائلاً إن قراره بالتسليم كان عملاً حكيمًا، ووجه اللوم إلى أهل حطين لأنهم خرجموا مع أهالي لوبيبة.

لا يوافق الجميع على هذا الرأي، إذ يعتقد فريق آخر من اللوبيين أن المحاولات اليهودية لإبقاء لوبيبة خارج نطاق الصراع كانت جزءاً من حساباتهم العسكرية. قال يوسف العيسى: "عرف اليهود أنهم إذا نجحوا باستمالة لوبيبة إلى جانبهم ستسلم جميع القرى المجاورة: طرعان وحطين وعيلبون ونمرین والشجرة". كانت لوبيبة تقع في مكان استراتيجي يطل على الطريق بين المستوطنات اليهودية وطبرية، وكانت وبالتالي قادرة على عزل المستوطنات عن بعضها البعض وعن طبرية.

كان عزرا لافين الرجل الذي أُعهدت إليه الهاغاناة احتلال لوبيبة في العام ١٩٤٨. كان للقائي معه صدى خاصاً عند اللوبيين، فقد كانت هذه أول مرة يسمعون فيها شهادة مباشرة من الرجل الذي فشل مراراً في اقتحام لوبيبة لشدة مقاومتها. عندما أخبرت صبحية محسن جودي بعزمي على الانقاء مع لافين تعجبت وسألته: "الا تخاف؟" كان أبو وجدي، صديق لي من قرية المغار قد قدمني إلى الضابط المتقاعد.

أجريت مقابلة مساء في بيت عزرا بطبرية. تحدث عزرا بمزيج من العربية والعبرية، وتحدثت زوجته إستر بالعبرية والعبرية والإنكليزية. كان صديقي أبو وجدي يقوم بين الحين والآخر بترجمة حديث الزوجين حين لا ينجحون بالتعبير عن نفسيهم بالعبرية. وكانت الزوجة تقاطع زوجها لتوضيح نقطة وتوسيع بأخرى، أو لتقديم انطباعاتها الخاصة عن الحرب.

بدأ عزرا روايته بالحديث عن العلاقات الطيبة التي سادت بين العرب واليهود في طبرية قبل أحداث العام ١٩٤٨. قال: "عندما قام العرب بإغلاق الطرق المؤدية إلى صفد والغور لم تستطع دخول المدينة إلا من جهة البحيرة. بدأ المفتى يفقد سيطرته على رجاله وبدأ

^{١٢٩} انظر قائمة بالمجازر التي تم الإخبار عنها، قائمة رقم ٥، في سلمان أبو ستة، مصدر سابق الذكر، ص. ١٦. انظر موريس، مصدر سابق الذكر، لتفاصيل عن هذه المجازر اعتماداً على وثائق أرشيفية صهيونية وحكومية.

^{١٣٠} أصبح وصفي التل فيما بعد رئيساً للوزراء في الأردن.

اليهود بالاستياء والقلق. تسلمت أوامر بدخول المدينة لكي يرى اليهود أن الأوضاع ليست بتلك الدرجة من السوء كما ظنوا. أدركت أن الأوضاع أخذة بالتدور، كنا نشعر خلال النهار أن الأمور عادية وينتابنا الخوف ليلاً.

"بعد أسبوع تسلمت أمرا بالانتقال من طبرية لتدريب الجيش على تنظيم فرق المداهمة. بعد ذلك أصبحت ضابطا نظاميا وعدت إلى طبرية. كان في منزل الرائي رانو ثلاثة جندياً. اتّخذ الجيش العربي مقرا له في الفندق، وسيطر على منزل سليمان ومحفظ نصر الدين. كان اللوبيون قد قطعوا الطرق المجاورة لهم، فلم يعد بالإمكان السفر إلى العفولة أو حيفا. كان علي أن استخدم الحيلة لكي أفلح في دخول طبرية. طلبت من اليهود أن يطلقوا النار بكثافة على العرب لحمايتنا أثناء دخولنا إلى المدينة."

تحدث ناحوم عبّو عن الصدامات المتزايدة بين المجتمعين. قال: "قامت مجموعة من الرجال بإيقافي في إحدى الليالي على حاجز. كانوا من الغرباء، لكن أحد الرجال المحليين عرفني باسم، فقام جميل قائد حزب النجدة بمرافقتي إلى خارج المدينة. هكذا تنسى لي إنذار قادتي بأن الغرباء في طبرية أصبحوا أكثر من المحليين."

سبق الهجوم الأول على لوبيه في ربيع عام ١٩٤٨ هجمات واضطرابات في طبرية. قال عزرا: "سمعت من أصدقاء عرب أن هجوماً ما سيقع على المدينة، وأنه طلب منهم [أي العرب] أن يغادروا المدينة لكي لا يلحق بهم أذى. تلقوا أوامر بأن لا يأخذوا معهم أي شيء. عندما دخلنا البيوت العربية كانت النار مشتعلة تحت أوانى الطبخ." وأضاف ناحوم: "انضمت مجموعة من لوبيه للقتال. كانت مكونة من ثلاثة أو أربعين رجلاً. قتل العرب ثلاثة يهود مسنين وقتل منهم أربعة وجرح ستة عشر. نحن دفنا موتانا في حطين، وهم دفنا موتاهم في المجدل."

وأضاف عزرا: "عندما انتهت المعركة طلبت من العرب البقاء في طبرية، لكنهم رفضوا. كانوا قد تلقوا الأوامر من الخارج بأن يخرجوا من البلد. كانوا يظنون أن الجيوش السورية والأردنية والمصرية سترمي اليهود بالبحر ومن ثم ستعيد لهم بيوتهم وبيوت اليهود فوقها".

من الجدير بالذكر أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة استخدمت هذا الإدعاء، بأن العرب تلقوا أوامر بالرحيل من الجيوش العربية، لتبرير عملية التهجير واسعة النطاق التي نفذتها

القوات اليهودية بين الأعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٩ إلا أنَّ الأبحاث الأكاديمية قد أثبتت عدم صحة هذا الادعاء.^{١٣١}

الهجمات على لوبية:

اختار الكثير من المسنين اللوبين التركيز في المقابلات التي أجريتها معهم على تفاصيل الهجمات ضد لوبية وعن نشاطهم في الدفاع عنها. تتنوع الروايات بحسب موقع الرواوى في القرية أو حولها إبان الأحداث، ونقلت جميعها مشاعر الخسارة الأليمة ومرارة الانكسار أمام القوات اليهودية، لكنها تبدي كذلك عن حس مؤكد بالفخر والاعتراض بدفع المرء عن بلده.

كانت المقاومة في لوبية تفتقد للقيادة المركزية، أما قوات البيشوف العسكرية فكانت بالمقابل حسنة التدريب والتنظيم، فقد خدم الكثير من الضباط والجنود اليهود في صفوف القوات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية مما أكسبهم خبرة عسكرية مهمة.

حدثت أولى المواجهات عندما أرسلت القيادة اليهودية قوة لفتح الطريق المحاذي للوبية والذي كان قد وقع تحت سيطرة رجالها. كان ذلك في شباط/فبراير ١٩٤٨، بعد أشهر قليلة على صدور قرار التقسيم. ناحوم عتو كان قائد الفرقة المرسلة لإتمام تلك المهمة. قال: "لقد عرف الجميع أن الطريق من الشجرة إلى طبرية سيفي مقطوعاً ما دامت لوبية تقاوم. كان مع اللوبين مدفع رشاش يمكنه إصابة أي حركة في الشارع. كان تحت قيادي ثمانون رجلاً. أرسلت مجموعة إلى لوبية لفتح الطريق. أطلق اللوبيون النار عليهم. قتلوا واحداً وجرحوا اثنين. ظننت أن اللوبين مجانيين لأنهم كانوا يقاومون وهم محاصرين من جميع الجهات". أكد العديد من اللوبين الذين قابلتهم على تفاصيل هذا الهجوم وردود الفعل عليه.

أما أول هجوم مباشر للقوات الصهيونية على لوبية فقد وقع في الشهر التالي، في آذار/مارس ١٩٤٨ على وجه التحديد. قال ناحوم: "كانت الخطة أن تتصف الطائرة لوبية بالقنابل قبل أن تدخل قواتنا إليها، لكن الخطة فشلت". قال يوسف عيسى إن ستة من

^{١٣١} يقدر بأن ٢٥٪ من اللاجئين طردوا مباشرةً من قبل القوات اليهودية؛ و٤٥٪ خرروا بسبب هجوم عسكري؛ و٢٪ خرروا بتأثير الحرب النفسية؛ و٨٪ بتأثير الخوف من هجمات اليهود؛ و١٪ بتأثير سقوط بلدان المجاورة لهم؛ و١٪ نتيجة أوامر من القادة العرب. انظر: أبو ستة، مصدر سابق الذكر، وموريس، مصدر سابق الذكر.

اللوبين كانوا قد سقطوا في هذا الهجوم ودمرت مركبات القوات المهاجمة وسقط منهم سبعة.

ووُقعت المعركة الثانية في ١٠-١١ حزيران /يونيو ١٩٤٨ ليلة إعلان الهدنة، وتُكَلِّبُ المهاجمون فيها بالفشل للمرة الثانية. حسب شهادة عزرا: "أغلق اللوبين الطرق وبدعوا يطلقون النار على السجدة من بيوتهم. في البداية حاولنا فتح الطريق إلى مسكنة (يطلق عليها اليوم تسميت غولاني)، جاء رجالنا من طبرية ومعهم أخي أيزاك. كانوا يسدون حفر الألغام في الطريق بأكياس معبأة بالرمل حملوها مهعم".

وتتابع حديثه قائلًا: "أما اللوبين فلم يهربوا مثل باقي القرى. كانوا أشداء وكان اليهود يخافون منهم. وقع أخي في كمين أعده اللوبين، قُتل بالرصاص واحتُرفت جثته داخل السيارة. بعد هذا الحادث اتَّخذ القرار بوجوب احتلال لوبيبة، وقد هاجم حايم لافيكوف من السجدة، لكنه فشل. كانت القرية تقع على ثلاثة تلال وكان اللوبين مقاتلين أشداء".

كان ناصر محمد عطوانى^{١٣٢} أحد الذين شاركوا في الدفاع عن القرية، وهو يعيش اليوم في حلب. بعد خروجه من فلسطين شرع ناصر بالتعليم الذاتي وتقديم في الدرجات العلمية حتى حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي وأصبح محاضراً في جامعة حلب. بعد تقاعده مازال ناصر ينشر المقالات عن لوبيبة في الصحف السورية والخليجية. في مقابلتي معه بدأ يسرد قصة الحرب بمعركة ١٠ حزيران /يونيو ١٩٤٨، التي مازال يتذكر تفاصيلها كأنها ماثلة أمام عينيه.

قال: "دامت المعركة عشرة ساعات استطعنا خلالها أن نصد الهجوم ونلحق بهم الهزيمة. بعد ذلك ذهبَتْ مع عدة أشخاص من لوبيبة إلى الناصرة حيث كان فوزي القاوقجي لقائد جيش الإنقاذ وأبو إبراهيم وأبو عارف، لطلب تزويد القرية بالذخيرة. كانت لوبيبة في ذلك الوقت تتاجر الحاج أمين الحسيني". كان الكثير من اللوبين في الثلاثينيات ينادرون القسام، وبعد قمع البريطانيين للثورة انتقل الدعم إلى الحاج أمين، لكن ظل في القرية فريق معارض لسياسة الحاج أمين. كان الدعم الذي تلقاه الحاج جلياً بشكل خاص بين زعماء القرية.

^{١٣٢} ناصر محمد عطوانى من مواليد عام ١٩٢٦. أجريت مقابلة بتاريخ ١٦ تشرين ثانى /نوفمبر ١٩٩٨ فى حلب، سوريا.

شارك أبو بسام في صد القوة اليهودية التي هاجمت القرية وكان آنذاك في التاسعة عشر من عمره . وفيما بعد انضم كان من أوائل المقاتلين الذين التحقوا بصفوف الثورة الفلسطينية، وعاش مراحلها العديدة منذ البدايات في الأردن إلى عرقوب في جنوب لبنان . أبو بسام متلاحد الآن في مخيم حمص لللاجئين في سوريا .

قاتل أبو خليل إلى جانب أبو بسام، وسقط لهما ابن عم اسمه عارف عبد الرحمن . قال : " كنا خمسة وقررنا أن لا نفتح النار على المصفحة اليهودية التي مرت أمامنا لأن ذلك لا ينفع بشيء . انتظرنا قدوة شاحنة وفتحنا النار . ذهبت إلى المنزل وهددت أختي بالسكسن كي تخبرني بمكان المسدس الذي خبأته أمي في البداية رفضت أن تلبي غرضي لكنني أثرت حميّتها حين أخبرتها بمقتل ابن عمها، فأعطيتني المسدس . بعد انتهاء صوت إطلاق النار ذهب دواس لعداد القتلى في صفوف العدو فسمعنا صوت طلاق أصابته وأودت بحياته . أثار هذا الإشتباك اشتباكا آخر شديد شاركت فيه القوات البريطانية وجميع مقاتلي القرية . كانت العائلات تتنافس فيما بينها في إظهار الشجاعة والباس ، لكن حجم المعركة فاق قدراتهم . "

مازال قبر دواس عثمان موجودا في مقبرة لوبيبة وأسمه محفورا على حجره ، وهو أحد أسمين فقط ما زالا مقرؤين بسبب الإهمال الذي لحق بالقبور أثناء غياب اللوبيبين الطويل عن بلدتهم .

لقد امتازت لوبيبة وبعض القرى المجاورة مثل نصر الدين وصفورية بروح قتال عالية . وكانت القرى العديدة تفرز وتعين بعضها البعض . ذكر نايف حسن في هذا الصدد قصة تكشف عن استعداده للمجازفة بحياته وبنعراض نفسه للعقاب الشديد من أجل تقديم المساعدة لقرية نصر الدين . قال : " كنت أخدم في البوليس . جئت مرة إلى لوبيبة بسيارتي العسكرية من نوع دودج ورأيت مجموعة من الرجال في مدخل البلد يخططون للذهاب إلى قرية نصر الدين المجاورة لكي يؤازروا أهلها في صد حصار اليهود لها . "

" ركب أكثر من عشرين رجلا السيارة واتجهت بهم إلى مقر الشرطة في طبرية لكي نجلب المزيد من السيارات العسكرية . قال الضابط إنه على الانتظار ساعتين حتى تصل السيارات . لم أخبره بأن معي مجموعة من الرجال المسلحين ، لكنني لم أنتظر وقدت السيارة عبر النقاط العسكرية اليهودية ملوحا بيدي كأني واحد منهم . أوصلت المجموعة إلى نصر الدين وعدت إلى مقر الشرطة . "

و قدم الليبيون كذلك المساعدة لقرية صفورية. قال نايف: "بعد شهر على معركة لوبيبة هاجم اليهود الناصرة وصفورية، فذهب مع ناصر عطوانى وآخرون لمزارتهم لكنهم وصلوا متأخرین. عندما وصلنا إلى منطقة الخانوك بين الرينة والناصرة، كان جيش الإنقاذ قد تراجع إلى إكسال. عدنا إلى لوبيبة وتلقينا رسالة من القاوقجي يقول إن اليهود يخططون لهجوم انتقامي ضد القرية وينورون اقتراف مجرزة في لوبيبة، فقرر المسنون إرسال النساء والأطفال إلى خارج القرية".

قال أبو علي عزام^{١٣٣} مؤكدا على هذا الرواية: "طلبت صفورية مساعدة لوبية فأرسلت إليها قوة في الحال لكن صفورية سقطت قبل وصول القوة". كان أبو علي عضوا في اللجنة الشعبية في مخيم بعلبك للجئين وهو يعيش اليوم مع عائلته في آرهوس بالدنمارك. وأضاف: "أقلق هذا الأمر الليبيين كثيراً واستشعروا بأن دورهم قد حان. كان سامي عيسى مع الذين فزعوا لصفورية. قال لي بعد أن رجعوا: أذهب يا أحمد وقل لأبيك أن يغادر إلى شعب!".

كان فياض عباس في الثلاثين من عمره في العام ١٩٤٨، وشارك هو أيضا في الدفاع عن القرية. رفض التحدث بإسهاب لكي لا يوقف ذكرياته المؤلمة. كان فياض قد فقد لاحقاً خمسة أولاد في الثورة، ويؤكد أن لا مكان على هذه الأرض يمكن أن يعوضه عن خسارة لوبيبة.

في حديثه المختصر قال: "كنت جنديا في الجيش البريطاني بين الأعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٨ إلى أن غادر البريطانيون وبدأ اليهود بالهجوم علينا. كانت لوبيبة آخر بلد يسقط في المنطقة كلها. طبرية وبافا وصفورية وجميع القرى سقطت قبل لوبيبة. أذكر كيف ركبنا الباص واتجهنا إلى صفورية بعد سماعنا لخبر الحصار المفروض عليها. لكننا عندما وصلنا كانت قد سقطت، فعدنا أدراجنا".

شارك الجميع، رجالاً ونساء وأطفالاً، في الدفاع عن القرية. قال أبو خليل: "كانت النساء تنقل المياه وتراقب الرجال بالأهازيج. وكان الأطفال يجمعون الرصاص الفارغ". قالت أمينة إسماعيل: "كنا نشعر بالفرح حين نقدم المساعدة للثوار. كان زوجي أبو أحمد يقول

^{١٣٣} أبو علي عزام من مواليد عام ١٩٣٦. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٢ كانون ثاني/يناير ١٩٩٥ بالدنمارك.

لي: خذى الماء والطعام للثوار . قدمنا المساعدة لجيراننا في الشجرة لكن جيش الإنقاذ أعلن الهدنة ولم يستطع الدفاع عن القرية حين عاد اليهود لاحتلالها. ركز جيش الإنقاذ جهوده في معركة العفولة . بعد ثلاثة أيام طلبو منا مغادرة القرية وقام أبو دهيس سياراته لأجل ذلك ."

طلب المساعدة

أرسل اللوبيون وفدا إلى الحكومات العربية المجاورة طلبا للعون كما فعلوا في ثورة الثلاثينيات. قال عصام: "ذهب وفد من لوبيه وبلدان أخرى مقابلة الملك عبد الله في الأردن في العام ١٩٤٨، ولم يستفيدوا. أعتقد بأن مؤامرة كانت مدبرة لإعطاء البلد لليهود."

قال إبراهيم الشهابي: "ذكر أن سعيد شامي الشركسي كان قد جاء إلى مضافة والدي وطلب منه النصيحة. قال له والدي: أنت لا تزال زعيما على رجالك، أما أنا فلا أستطيع أن أقنع أخوتي بشيء. اذهب للملك عبد الله واطلب سماح نصيحته، فهو قائد الجيش العربي. قال له الملك بأن يبقوا هادئين ويحكموا عقولهم، وأن يدافعوا عن أنفسهم ولا يخرجوا من بلدهم إذا هاجمهم اليهود، لأن هؤلاء يريدون الأرض دون سكان."

قال أبو بسام: "إثنان فقط التقى بالملك عبد الله هما حسن أبو دهيس وكامل الطبراني. لا أعرف إن رافق الوفد آخرون من طبرية. طلبو المعونة لطبرية ولوبيه. قال لهم الملك أن ينتظروا حتى الخامس عشر من أيار، موعد مجيء القوات العربية."

طلبت المساعدة من دمشق كذلك. قال إبراهيم الشهابي: "ذهب والدي لطلب السلاح من جميل مردم، وزير الدفاع السوري آنذاك. ضرب جميل بك بكف يده على الطاولة وغضبا وصاح: يا طاولة أعطيه سلاح! من أين أجلب لك السلاح؟! طلب منه والدي أن يرسل ضابطا حسن التدريب على الأقل ليساعد أهل القرية، لكن الوزير رفض ذلك أيضا".

ذهب أبو بسام مع وفد لمقابلة أديب الشيشكلي، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية في سوريا، وروى عن ذلك: "كنا أربعة: مصطفى أبو دهيس، عمي حسن أبو دهيس، محمود الحميدي، وأنا. طلبنا من أديب أن يعطينا الرصاص فقط، لم نطلب السلاح أو الرجال،

وكان جوابه رفضاً قاطعاً. قال إنه متذكر في قرية صفصاف قرب صفد وإنه يستطيع أن يكون في لوبية بغضون ساعتين وقت الحاجة.

"وعندما بدأت المعركة الكبيرة ذهب مصطفى إلى المغار ليقابل عبد العايدى وأديب الشيشكلى. قال مصطفى للشيشكلى: وعدتنا بأن تكون في لوبية بغضون ساعتين حين تحتاجك، نحن نحارب منذ ثلاثة أيام فلماذا لم تأت؟! نحن الآن نمنعك من دخول لوبية! فتحداه الشيشكلى بأن يجرو على منعه، فكان رد مصطفى أن صفعه على وجهه."

وروى أبو خليل نفس القصة كما سمعها من امرأة كانت شاهدة على ما حدث: "قالت أم محمد (فاطمة حليحل) إن مصطفى أطلق النار على الشيشكلى لكن أكرم حوراني [الذى أصبح فيما بعد مسؤولاً رفيع المستوى في حزب البعث] وقف بين الرجلين ومنع تدهور الأمور". عندما أصبح الشيشكلى رئيساً لسوريا في أوائل الخمسينات زجَّ بمصطفى أبو دهيس بالسجن.^{١٣٤}

المعركة الأخيرة

دخلت القوات اليهودية إلى لوبية بعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل بين ١٨ و ٢١ تموز / يوليو ١٩٤٨، تم إثباتها تهجير اللوبيين من بلد़هم. كان ذلك اليوم هو التاسع من شهر رمضان، وكانت البلدان والقرى المجاورة كلها قد سقطت، بما فيها الناصرة وطبرية وصفورية.

قال أحمد عقلة: "سقطت الناصرة وصفورية في المعركة الثانية بتاريخ ١٥ تموز / يوليو ١٩٤٨ وانسحبَت القوات العربية من المنطقة كلها، فتقدمت القوات المهاجمة نحو لوبية وبدأت تقصفها بشدة. بقينا في القرية من دون ذخيرة وكانت موازين القوى كلها ضدنا، فاضطررنا على الخروج. حين دخل العدو إلى القرية لم يكن فيها غير المسنين ليقتلوهم".

^{١٣٤} أضاف أبو خليل: "في آخر يوم من شهر رمضان طلبنا من ضابطين هما القدسي وعمر بك أرناؤوط التدخل لإطلاق سراح مصطفى، فأخبرهم الشيشكلى بالإهانة التي كان قد تلقاها منه. فقالوا له: أنت الآن رئيس وهو لا جيء. بعد شهرين أطلق الشيشكلى سراحه بشرط أن يغادر سوريا ولا يعود إليها ثانية، فاتجه مصطفى إلى لبنان ومن ثم إلى الأردن. في لبنان التقى بفوزي القاوقجي وطلب منه أن يعرفه على أمير الكويت جابر الصباح الذي كان مصطفى في عاليه. وعده الأمير بمساعدته على إيجاد عمل في الكويت فذهب مصطفى إلى هناك لكن البلد لم يعجبه. في العام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ قرر مصطفى الذهاب إلى إسرائيل، ومن ثم سافر إلى كندا، وحصل هناك على مواطنة. بقي مصطفى في كندا حتى مات فيها في العام ١٩٩٤".

وقال هاشم: "بعد أن سقطت البلدان واحدة تلو الأخرى، طلب جيش الإنقاذ من الأهالي أن يغادروا لمدة أسبوعين فقط". وقال نايف عباس، أحد اللوبيين الذين ذهبوا للمؤازرة صفورية: "لما عدنا من صفورية رأينا بعض الأهالي من طرعان وكفر كنا والمشهد والرينة يغادرون قراهم. بعدها بدأت المعركة في لوبيه."

وقال ناحوم: "اتصلت القوات اليهودية باللوبيين عبر اللاسلكي من طبرية وطلبت منهم التسليم لكنهم رفضوا واستمروا في القتال. بدأت أرى الناس يخرجون من لوبيه باتجاه نمرین (في الجوار) وتلقينا أوامر بأن لا نوقف الخروج وإلا كانت المعركة أشد".

قال فياض: "كان الوقت رمضان وكنا صائمين. حاولوا احتلال البلد عبر مهاجمتها من جهتي الشمال والجنوب في نفس الوقت. نجحنا في الاستيلاء على القافلة القادمة من طبرية، وظننا أن المعركة قد انتهت، فأخبرنا مفسي محمد بأن اليهود يحاولون اقتحام القرية من الجنوب، فغيرنا مواقعنا وبدأنا ندافع عن القرية من تلك الجهة".

وروى يوسف عيسى ذكريات مشابهة عن تلك المعركة من موقعه على الطرف الآخر من القرية. قال: "بدأت المعركة في الساعة الثانية صباحاً في أول يوم من رمضان وكنا مستعدين. كان الدفاع المدني يحيط بالقرية من جميع الجهات. توقعنا أن يأتي الهجوم من جهة الجنوب، جهة السجرة، لكنهم هاجمنا من الشرق، من جهة طبرية".

"وصلت في البداية ثلاثة سيارات لاند Rover وعربة من جهة طبرية -بوريا إلا أن العجينة المرابطين على جبل العوني في الجهة الشرقية دمروها. انتظروا حتى وصلت القافلة إلى نقطة السعد، غربي بباردة الخان، فدمروها وقتلوا السائق. أحد المهاجمين اليهود رمى قنبلة يدوية، لكن محمد الدواس الذي كان مدرباً في شرطة الحدود التقى بها ورميها بالاتجاه المعاكس. كانت إحدى شاحناتهم معبأة بالرمel".

تلك: Comment [MF37]

"في الساعة العاشرة مساءً، في حين كان المدافعون منهمكين على الجبهة الشرقية، جاء مفسي محمد من السماء اللوت على ظهر حصانه ليخبرنا بالهجوم على القرية من جهة الشمال، فأسرع المقاتلون الموزعين في مواقع مختلفة في القرية إلى تلك الجهة. انضم البعض إلى المدافعين وطوق آخرون المهاجمين من جهة كفر سبت والسجرة".

رواية نواس أعلاه: [MF38]
لذكر مقتضي محمد وليس جمال مقتضي محمد ليها
أصلع؟

لشهادة السابقة يذكر: [MF39]
من جهة الشمال
لم أحد القراء في ذكر المخطوبات

وروى أبو خليل أمراً مشابهاً. قال: "كنت أقف بجانب مصطفى أبو دهيس، ابن الزعيم أبو دهيس، عندما جاء جمال مفتشي محمد وأحمد صالح ونادوا على مصطفى طالبين المساعدة في صد الهجوم من جهة الجنوب. كان بيت حسن العابد قد وقع في يد المهاجمين وسقط العديد من الرجال. فقال مصطفى للرجال من دون أن يتزدد للحظة: يا الله! بلا يا شباب... عالحارة القبلية!"

"وصل اليهود إلى حدود البلد فنادى عليهم أحدهما: من هناك؟ رد أحدهم قائلاً: هذا محمد، باللهجة اليهودية، لأنهم لا يستطيعون نطق الحاء. بدأنا عندها بإطلاق الرصاص وأحبطنا الهجوم."

"أسرنا أحد المهاجمين وكان معه جهاز اتصال لاسلكي، وحاول رجالنا أخذ المعلومات منه. ألقن نجيب مصلح الجهاز واتصل بالقيادة اليهودية. قال لهم: أنا محارب من لوبية... يمكنكم إرسال المزيد من رجالكم... فقد تم القضاء على القوة التي أرسلتموها! فأجابه الصوت من الطرف الآخر: أنت مجانين أهل لوبية! أنت مجانين! ثم أردف ذلك بوايل من الكلام البذيء."

"كان المهاجمون قد قتلوا إبان ذلك حسن العابد وهو يدافع عن منزله واحتلوا داره المكون من طابقين، ثم وضعوا رشاشاً أوتوماتيكياً على السطح وبدعوا يمشطون القرية. بقوا هكذا طيلة النهار التالي وانسحبوا حين حل الظلام."

وروى ناصر العطوانى: "استولينا على دبابة من المهاجمين، ساقها أحمد حوران، وحين وصل جيش الإنقاذ ليأخذها تşاجر جنديان عراقيان وأطلق أحدهما الرصاص على الآخر لكنه أخطأه وأصاب بدويا كان يسكن في لوبية، اسمه فيما أظن سالم محمد."

ما زالت الدبابة محفوظة في المتحف العسكري بدمشق على أنها "هدية من شباب لوبية"، كما يفيد نص اللافتة المعلقة بجوارها. روى خالد سعيد عن زيارته للمتحف في العام ١٩٦٤ قائلاً: "ما زلت أحفظ بصورة لي أمام المصفحة وتظهر في الصورة اللافتة التي تقول إنها "هدية من شباب لوبية البواسل إلى الجيش العربي السوري"."

طلبت من عزرا ليفي أن يحدثني عن تفاصيل الهجوم لأنه كان قائداً للمجموعة التي احتلت منزل حسن العابد. قال عزرا: "كان معه مجموعة من ستين محارب وكانت مهمتها

احتلال لوبيه. خرجننا من طبرية باتجاه يبنييل ومن ثم اتجهنا إلى بمة وكفر كما، وعندما وصلنا إلى السجرة تدرجنا من السيارات.

"كنت قد أصبت في بداية المعركة. كان هناك منزل من طابقين على طرف القرية. في الخطة التي أعطيت لي ذكرت مشاركة المدفعية والطيران، لكننا حين وصلنا لم يظهر أثر للمدفعية أو للطيران. كانت هناك قوة مساندة مكونة من ثلاثين محارب تمركزت على يمين قوتنا المهاجمة، وكانت مهمتها إطلاق النار على لوبيه لتوفير الحماية لنا وقطع الاتصال بين لوبيه وبقى القرى".

"عندما وصلنا إلى أطراف القرية قلت لرجالى إني أريد أن أعرف إلى أين نتجه، فدخلت بيت حسن العابد وصعدت إلى السطح، وهناك أصبت. يقولون أن رجال القوة المساندة هم الذين أطلقوا النار على لأنهم تفاجنوا بوجود شخص على السطح. كان ذلك في الصباح، شعرت بأني غير قادر على الحراك فأمرت رجالى بإخلائى من الموقع وسلمت القيادة لمساعدى".

بدأ اللوبيون بالهجوم المضاد في الصباح. كنت خارج ساحة القتال لكنني لم أفقدوعي، وكنت كلما سمعت إطلاق رصاص أرفع مسدسي لكي لا يهرب الجنود ويتركوني مصابا في ساحة المعركة. تم بعد ذلك نقلني إلى المستشفى لأن الإصابة كانت عميقة. فتحوا معدتي وأخرجوا قرابة المتر من أحشائي. كنت مشغولا بحالى ولم أتابع الأخبار."

وفي سياق آخر، روى عيسى اللوباني عن الكوابيس التي ظلت تأتيه عن سقوط رفاته وإصابته بجراح خلال القتال. قال: "كنت مع آخر من طلع من المجدل. كان المسؤول علينا شخص من دار الفاهم اسمه سامي. ما زلت أرى كوابيس عن سقوط رفاقتى. أبكي كلما تذكرتهم. يوسف وعوض. رأيتهم يموتون أمامي واحدا تلو الآخر. قلت لزمبلي حمدون: أسم رائحة الموت في قطرات المطر. كان بيننا وبين اليهود مائة وخمسون متراً. ذلك الصباح سقط حمدون. أصابته رصاصة في جبينه. قُتل. جاعني كابوس عنه قبل ثلاثة أسابيع فقط. أنا الآن أكتب قصة عنوانها: عرس الدم. أنكر الشاعر عبد الرحيم محمود. كان معنا في الناصرة عام ١٩٤٨. جاء أحدهم وفزع لأهل السجراة. ذهب حمدون لنجدتهم وسقط. وجب علي أن أكون معه ولا أنكر سبب تأثيري. كان مع صليبا خميس في القهوة في الناصرة".

كانت القرى المجاورة قد أرسلت نجاتها إلى لوبية لكنها كانت متأخرة. قال أبو عجاج من طرعان: "أرسلنا قوة إلى لوبية. حارب اللوبيون ببسالة. وضع الإسرائيليون نصباً تذكارياً وسموا المفرق (تقع لوبية على مفرق طرقي طبرية- حيفا والغولة- الناصرة) على اسم القائد العسكري الذي قتل في معركة لوبية واسمه غولاني. صادروا قطعة الأرض من ^{١٣٥} قريتنا لإنشاء النصب التذكاري".

قال أبو علي: "قدم أبو محمود الصفوري من صفوريا مع خمسة عشر رجلاً، وقدمت من عيلبون مجموعة مع الخوري، وقوات أخرى من خطين وطرعان. لكنهم وصلوا متأخرین. كان الصليب الأحمر وجهات أخرى تفاوض اللوبيين من أجل تبادل جثث المقاتلين اليهود، لكن اللوبيين رفضوا الاتفاق معهم معللين ذلك بأنهم في حالة دفاع عن أرضهم".

ما زالت آمنة على إسماعيل تذكر أسماء جميع من سقطوا في المعارك، ومن بينهم عمها، وتذكر كذلك أسماء جميع الأماكن التي مرت فيها في درب المنفى. قالت: "رمي الطائرات برميلاً على بيتنا يحوي مادة مثل الغاز، فقتل ابن عمي يونس راشد زعير ومفضي حسن طاه. وقتل احمد الحوراني وأبنه صبحي في هجوم على منزل دار العقلة. رجع صبحي إلى الدار وكان ينادي على وعلى فاطمة. سقطت قنبلة بجانبه وقتله. لم يكن في القرية أطباء. نقلوا أبيهم أحمد إلى الناصرة لكنه مات في الطريق ودفنه بجانب ولده".

"كنا نائمين في الحقل. كان الوقت وقت حصاد. سمعت إطلاق رصاص في القرية وفي الصباح وجدنا جثتين لمقاتلين يهود في أرض عوض أحمد وكانت بينهم امرأة. جاء الخوري ليأخذ الجثث فرفض الأهالي إعطاءه إياها. كان اثنا عشر رجلاً من الشهابية قد قتلوا دفاعاً عن بيوتهم وعيالهم".

يتذكر اللوبيون أيضاً حربة العموري المقعدة ابنة التسعين وسالم الشبكوني ابن الثمانين اللذين قتلتهما قوة من الهاغاناة. عندما سألت ناحوم عبو عن الحادثة أنكر مسؤولية القوات اليهودية عنها. قال: "لا أعتقد أن بمقدور جنودنا ارتكاب مثل هذا العمل. بعد احتلال لوبية

¹³⁵ يذكر جميل عرفات في كتابه أن عدد القتلى بين صفوف القوات اليهودية المهاجمة وصل في لوبية وجوارها إلى سبعة وثمانين، وبين صفوف اللوبيين سبعة وخمسين. انظر: جميل عرفات، من ذاكرة الوطن، من قرانا المهجرة. الناصرة: النهضة، ١٩٩٩.

بقينا ليوم واحد هناك وغادرنا". عندما عاد بعض الليبيون إلى القرية بعد أيام على انتهاء آخر المعارك وجدوا أجزاء من جثتي حربة وسالم مرممة على باب مغارة فرج المسعود.

قالت أم عصام: "كانوا يقصون القرية بالقناابل كل يوم. نزلنا إلى الحرش لأن بيتنا كان بارزا على التلة. قال الناس إن المعلم وأولاده قد قتلوا. طلبت من أبو عصام أن يرسلني إلى أهلي: اختباً إبني هشام في صندوق ملابس الذي نسميه شaban، فحملته امرأة أخرى عن طريق الخطأ. طار عقله. ركضت حافية في الحقول أبحث عنه. بقينا في الوادي حتى الصباح".

"كانت أخت زوجي متزوجة من ابن عمي شيخ نايف الطبرى. ركضنا معاً في الوادي حتى وصلنا طبرية. رأينا امرأة قتلها جنود يهود بالرصاص وهي تضع مولودها. كانت الطائرات تهاجم المدينة. رفضت أمي السماح لي بالعودة إلى لوبيبة وتسللت إلى أن اذهب إلى الناصرة، لكنني عدت إلى لوبيبة. الإنكليز أخذوني إلى هناك. كانت لوبيبة تتعرض للهجوم من جميع الجهات. تقى الشهابية أكبر الخسائر ودفعوا موتاهم في الكهف. تدخل الخوارنة والصليب الأحمر لاستعادة جثث اليهود لكن الليبيون رفضوا تلبية مطلبهم".

(انظر الملحق رقم ٦: أسماء ليبيون سقطوا في حرب ١٩٤٨)

وتحدى الليبيون أيضاً عن حجم الخسائر التي تكبدها في الحرب. قال فياض عباس: "لقد سقط أكثر من عشرين رجلاً في الدفاع عن لوبيبة. جاء جيش الإنقاذ لمساعدتنا لكنهم لم يفعلوا شيئاً". وقال أبو بسام: "تكبدنا ثمناً باهظاً. سقط في الدفاع عن القرية ستة عشر رجلاً وكانت خسائر العدو أكبر. لا نعرف العدد، لكن بعض الجثث ظلت في الحقول. وجدناها مربوطة بالسلسل. يبدو أنهم حاولوا سحبها ولم ينجحوا". أما أبو ماجد فقد أكد أن عدد القتلى اليهود الذين رآهم في أرضه وحدها اثنان وخمسون.

وعندما سألت عزرا عن مصداقية الرواية الإسرائيلية التي تقول إن العرب أصدروا أوامر إلى الفلسطينيين بالخروج من بيوتهم، قال: "لو لم تكن هناك مثل تلك الأوامر لخرج العرب الغرباء فقط وظل المحليون. لقد وعدهم قادتهم بأنهم سيرجعون في غضون أسبوع. سمعت أيضاً أنهم تحدثوا فيما بينهم عن تقاسم بيوت اليهود. أخبرني بذلك شخص فلسطيني اسمه معين مازال يعيش في الناصرة".

كشفَ وثائق أرشيفية إسرائيلية تم فتحها للجمهور على مدار العقدين المنصرمين وجود مخطوطات وأوامر بطرد الفلسطينيين من مناطق تقع ضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة في قرار التقسيم، خاصة خلال النصف الثاني من الحرب. لكن استير ليفي احتجَت على صحة هذا الادعاء. قالت: "هذه كذبة غير صحيح جاء عربي من الأردن وقال إن لديه منشوراً كتب فيه يوسف نحmani عن أخذ أراضي من العرب. اتصلت بابنة نحmani عبر الهاتف وسألتها إن كان صحيحاً أن والدها كتب مثل هذا، فجزمت بعدم حصول مثل هذا الأمر".

الطريق إلى المنفى:

أصبحت لوبيبة نقطة مقاومة معزولة بعد سقوط طبرية وصفورية والناصرة وإخلاء جيش الإنقاذ لمراكزه في طرعان، وجرت بين الأهالي نقاشات حادة حول ما يجب القيام به. كان القرار الغالب في النهاية أن ترسل النساء والأطفال إلى القرى الشمالية وأن يظل الرجال للدفاع عن القرية.

كان للهجوم المتكرر على القرية وانتشار الأخبار والإشاعات عن ارتكاب القوات اليهودية لأفعال شنيعة بحق الأهالي في مناطق مختلفة من فلسطين، أثراً كبيراً في نفوس الأهالي في لوبيبة كما في باقي القرى والمدن الفلسطينية. قال يوسف: "خاف الناس كثيراً لسماعهم أخبار مجازر قرية نصر الدين وصفد، خاصة بعد مجردة دير ياسين. قررنا إخلاء النساء والأطفال. كنا عند المقبرة، ورأينا شاحنات العدو وعدها ثلاثة عشرة. ذلك يوم لن أنساه ما دمت حيا. تم إخراونا إلى عربة البطوف. بقينا هناك ليلتين عند صديق لجدي حتى وصل أبي وأختنا إلى لوبيبة. وبعد سقوط لوبيبة انتقلنا للسكن في كفر عصان."

اتجهت غالبية الأهالي شمالاً. لكن قسماً منهم ظل ممراً على البقاء وكان يحاول إقناع الأهالي الذين خرجموا إلى أطراف القرية ببيان الهجوم بالرجوع. قال إبراهيم الشهابي إنه يذكر أن والده المختار يحيى الشهابي، كان يصرخ: "خيانة! خيانة!" وقال إنه سمع أبو إبراهيم الصغير وهو أحد قادة الثوار من أنصار الحاج أمين الحسيني، يقول للناس إن جيش الإنقاذ سوف ينسحب الآن لكنه سوف يعيد الأهالي إلى القرية في آخر المطاف.

روي أن المختار يحيى أخذ يطلق النار باتجاه المغادرين أمراً ليلاً بالعودة حالاً، لكن أخوه أوقفه خوفاً من أن يصاب أحداً بأذى فيتحملون مسؤولية بعده. بات منع النزوح

متاخراً. قال إبراهيم: "كان أبي ضد الخروج من القرية وأطلق النار في الهواء لردع الناس. وحين وصلنا إلى قرية رميش في لبنان طلب الصليب الأحمر من والدي أن يصبح مسؤولاً عن اللاجئين فرفض. وحين وصلنا حوران مرض وظل في الفراش مدة شهرين متأثراً بالمصيبة التي حلّت بنا".

قال أبو علي عزام: "غادرت إلى المغار مع أبي وأخوتي وأخواتي الثلاث وعمي ذياب. ومن ثم انتقلنا إلى شعب، فسحماتا، فدير القاسي، إلى أن وصلنا بنت جبيل في لبنان. بقينا هناك مدة شهرين حتى جاء الجيش اللبناني وأخرجنا إلى القلعون. وبعد قضاء مدة وجيزة هناك نقلتنا الشرطة اللبنانية إلى عنجر، ومن ثم إلى مخيم بعلبك لللاجئين".

قال فياض: "حين سقطت القرى والبلدات حولنا غادرنا إلى بنت جبيل في لبنان، ومن هناك انتقلنا إلى بعلبك".

قالت زهرة إبراهيم خليل، زوجة أبو طلعت: "غادرنا إلى نمردين وكان أهلها قد نزحوا عنها فقضينا الليلة في الحرش المجاور، وفي الصباح أراد زوجي أن يعود إلى لوبيه ليجلب والده فذهب معه. لم يبق أحد في القرية، توجهنا إلى منزلنا وأخذنا عسلا وسكر وطحين وما كان بحوزتنا من نقود، قرابة المائة وخمسين أو مائتين ليرة فلسطينية، وكذلك مسدساً وبندقيتين".

"قضينا ثلاثة أو أربعة أشهر تحت قصف الطائرات. كانت فاطمة تصرخ كلما طل أحد: الطيرات! الطيرات! فتركض إلى الكهوف للاحتماء. خرجت من كهف الزعترة مع زوجة سلمان عايد تحت الرصاص. حملت اثنين من أولادي، عزت وطلعت، وحمل زوجي رفعت".

"سمعنا بعدها عن إعلان وقف إطلاق النار. ظل الرجال في القرية وغادرت النساء والأولاد إلى القرى المجاورة. اتجهنا أولاً إلى نمردين ومن ثم إلى المغار حيث مكثنا ثلاثة أيام، ثم عقدت الهدنة وعدنا إلى لوبيه. وحين تجدد القتال بعد شهر خرجنا ولم نعد. كان زوجي يشتري الزيت والسكر والأرز، قلت له أن يترك بعض النقود في المنزل. رفض. كان يستعد لحصار طويل".

"ذهبت مرة إلى الحقول لكن زوجي منعني من الخروج ثانية. أعرف أن عينه كانت لبرا." ابتسم أبو طلعت لسماع هذا. "وفي نفس اليوم قتلت عمني نصرة الخليل برصاص اليهود. حفرت الحاجة زهرة وزكية حفرة ودفنتها. كنا مشغولين بتفادي ويلات الحرب ولم يكن لدينا الوقت لأمور أخرى. بعد خروجنا من لوبيبة بقينا ليلة واحدة في المغار عند عده العايدى. أصله من لوبيبة. تلك الليلة سمعنا صوت الطائرات وخرجنا من المنزل للنوم في الشارع."

كان عده العايدى قد اشتهر بثرائه في المنطقة كلها حين كان في المغار، وانتهى فيه الأمر في مخيم اليرموك ليطلب علب السجائر من أصحاب الدكاكين دون أن يكون بحوزته ثمنها.

قال أبو محمود الكيلاني: "حين خرجنا من لوبيبة كنا مع مجموعة مؤلفة من ثلاثين عائلة. اختار أبي البقاء في القرية أثناء المعارك ورفض الخروج. قال له عمى: لم يبق أحد في القرية! فأجابه أبي: أفضل أن أموت هنا بدلاً من الخروج! إلى أين ذهب؟ ليس عندي مكان آخر، لن أصبح شحاذًا في بلد غريب! بقينا أنا وأخواتي الأربع حتى أقنعنا والدي بالخروج ولحقنا بالجميع".

لجا مصطفى السعيد أولاً إلى مخيم بعلبك ومن ثم إلى برج البراجنة بجوار بيروت. كان أبو خالد طفلاً حين خرج مع والدته إلى طرعان ومن ثم إلى لبنان. روى أنه حين كان في طرعان جمع الضابط اليهودي رجال القرية وبدأ يسألهم إن رأوا أحداً من لوبيبة. فأجابه مختار طرعان: لعنة الله حلت باللوابنة، صاروا بتركيا إيه!". وضع الضابط يده المرتجفة على مسدسه وصاح: "أه! لو كان أمامي عشرون منهم!" شاهد خالد هذا الحدث وركض لإخبار والدته فقررها الخروج حالاً واللحاق بباقي العائلة لتفادي نكمة القوات اليهودية. وتكررت القصة ذاتها في دير حنا حين استسلمت. قام المختار هناك بإخفاء الحقيقة عن القوات اليهودية من أجل حماية اللوبيين المختبئين في القرية. كان سبب حماية أهل طرعان للاجئين من لوبيبة علاقات الدم التي كانت تربط بينهم بسبب التزاوج بين بعضهم البعض، وكذلك احتراماً لما أبداه اللوبيون من شدة بأس وكرامة في قتالهم ضد اليهود.

قالت صبحية محسن جودي، أم العايد: "ولدت في العام ١٩٤٢، لكنني أذكر يوم خروجنا من البلد تماماً. تعيش صبحية اليوم في دير حنا، وهي أخت أبو سامح، وقد رافقتي في زياراتي إلى لوبيبة. لم تفقد أم العايد بسمتها رغم كل ما لاقته من صعاب بعد العام

١٩٤٨، خاصة في إعالة أحد عشر ولداً. أم العابد صاحبة شخصية قوية وثقة بالذات، ولا تختلف من الماضي: حين جاء مصطفى أبو دهيس إلى دير حنا ورفض أن يبيعهم قطعة الأرض التي أعطته إليها السلطات الإسرائيلية مقابل أرضه في لوبية، هاجمته أم العابد. ورغم أنها غادرت القرية وهي في السادسة من عمرها إلا أنها تذكر معلم وأزقة الحارة التي نشأت فيها أفضل من المسنين.

روت أم العابد بما حدث بعد الخروج فائلة: "كنت جائعة فطلبت رغيف خبز من امرأة في نمرین لكنها رفضت أن تعطيني. واصلنا المسير إلى عيلبون وهناك خبزت لنا أمي على قطعة معدن صدئة. بتنا الليلة في كوخ في عيلبون ثم انقلنا إلى قرية أخرى بقينا فيها ثلاثة سنوات. كنا سبعة أنفار. استأجرنا غرفة وعشنا فيها. وحين بدأ أخوتنا يعملون استطعنا بناء غرفة أخرى. أذكر كيف كان السقف يدلّ علينا في الشتاء. وكان صوت المطر يقطّع بقوة كأنه قطبيع من ماعز يركض على سطح التلّ فوْقنا".

قالت صبحية: "لقد أخذنا زوجي إلى وادي سلوم [وهو الوادي الذي قطعه كثير من اللاجئين في طريقهم إلى لبنان] وهناك مكثنا ليلة واحدة. كان معنا حصان وحمار، وكان الناس يسيرون نحو الشمال. كان معنا كيلوغرام من الطحين لا غير، ولا أذكر كيف أعددنا الخبر منها".

"أكملنا الدرب إلى حرفيش والبقاء وسعس [الأخيرة مررت] ونمنا ليلة في كل منها. كانت تلك القرى جميلة، فيها الكثير من بساتين الزيتون والأشجار الخضراء. وانتقلنا بعدها إلى عيترون في جنوب لبنان وبقينا هناك سبعة أيام. قال لنا جيراننا دار فرح مسعود إن أقاربنا وصلوا بنت جبيل المجاورة. الآلاف ناموا في الخلاء تحت أشجار التين والزيتون. كنا محظوظين لعنورنا على شجرةتين ننام تحتها. كنا نشتري تكتة ماء بقرشين، وبعض حبات البطاطا وقطعة لحم بشانغ. بقينا هناك عشرة أو اثنى عشر يوماً حتى وزعونا بين مخيمات اللاجئين".

Comment [MF43]:

Comment [MF44]: I am confused about this; did Subhiyya return from refugee camps in Lebanon to Deir Hanna? Why is not this mentioned explicitly? It is important to mention it if the case.

حاول أبو ماجد العودة إلى القرية لكنه أبعد عنها إلى نمرین. "دخلت الدبابات إلى لوبية تحت غطاء من القصف الشديد واضطربنا أن نخرج من نمرین بعد أن اقتربت منا النيران. في اليوم الثالث دخل اليهود فاتجهت إلى المغار وقالوا لي أن ألتّحق باللوابنة هناك. أعطيت الغنمة لنبوه وطلبت منه تسليمها إلى سعود. أكلنا قليلاً من العدس وخرجنا

بعد أن قالوا لنا أن جيش الانقاذ بدأ يجمع البنادق من الرجال. أخذوا بندقية الشيخ سليمان العابد التي اشتراها بمائة ليرة.

"في الarama اجتمعنا بأبو طلعت الذي نجح في الاستيلاء على أربعة بنادق شيكى من القوات اليهودية. بعنا واحدة باثنتي عشرة ليرة. سلكتا مسالك جانبية عبر حقول الزيتون لنقادى الجيش العربي. وصلنا قرية تدعى سعسع ومن هناك رافقنا آخرون في طريقهم إلى ~~لارون~~ على الحدود اللبنانية. مكتنا هناك قرابة الشهر ومن ثم انتقلنا إلى بنت جبيل ثم أخذنا الجيش الاجئين وزع علينا بين مناطق مختلفة منها القرعة وعنجر وبعلبك. البعض قرروا متابعة الطريق إلى دمشق."

"كان بحوزتي مائة ليرة أخذتها تعويضاً من البوليس بعد إنتهاء الخدمة. وبعد تردد شديد بعثت البندقية بخمسة وثلاثين ليرة. التقيت على العاشر واتجهنا إلى النبطية، قضينا هناك ليلة في مسجد مهجور بدون أبواب أو مفاسد. أشار رفيقي أن نذهب لمشاهدة فيلم ورفضت لأن الأمر لم يبدو لي مناسباً في تلك الأوضاع."

"في اليوم التالي اتجهنا إلى القنيطرة فأوقفتنا الشرطة السورية في طريقنا إلى دمشق وفتشونا بطريقة غريبة. أجبرونا أن نرفع أيدينا إلى فوق وننمط ألسنتنا ليروا إن كانت ثمة وشم ما تحت الإبط أو اللسان. كانوا يعتقدون أن وجود وشم في مثل هذه الأمكنة من الجسد يعني أننا عملاء سريين للقوات اليهودية، وأن الوشم هو بمثابة بطاقة تعرف."

"في سوق الحميدية بدمشق التقى صدفة بفوز العطروش من طبرية فأخبرني عن مكان وجود عائلتي. وعندما التحقت بهم أخبروني بأن أخي ورفيق له موجودين في سجن الرميل ببيروت لأن الشرطة عثرت على مسدس وبعض الفشك بحوزتهما. حكم عليهما بالسجن مدة شهرين. التقى بعدها بصدقى الطبرى وساعدهما على الانتقال إلى دمشق. كنت عازماً على الذهاب إلى الأردن لكن تلك الصدفة في سوق الحميدية غيرت مجرى حياتي، فبقيت في دمشق حتى اليوم. هذه هي قصة خروجي من فلسطين."

ما زالت قصص الخروج تحكي بالتفاصيل خاصة من قبل النساء. قالت أمينة إسماعيل: "بقينا في وادي سلامة خمسة أيام، ذهبنا بعدها إلى قرية المغار، ومن هناك إلى البقعة في الجرمق وبقينا فيها ستة أيام. ومن هناك تابعنا المسير إلى الرميش التي كانت نقطة حدود لبنانية. طلبنا أبيرق شاي دفعونا خمسة قروش ثمنه."

أما قصة خروج نايف حسن فهي فريدة، إذ خرج مع القوات البريطانية إلى مصر ومن ثم اتجه إلى الأردن ولم يعرف مكان لجوء عائلته إلا فيما بعد. قال: "في ١٥ أيار غادرت القوات البريطانية فلسطين. كنت مع ثلاثة أشخاص عرب، إثنان من لوبيه وواحد من طرعان اسمه عابد عزيز العدوبي، رافقنا القوات البريطانية إلى بور سعيد في مصر عن طريق الخليل وبئر السبع والعربيش. مكثنا هناك مدة شهر قبل العودة إلى الأردن. عدنا عن طريق العقبة لأن الإسرائيликين كانوا قد احتلوا بئر السبع وقسم من القدس. وعندما وصلنا أعطوا كل واحد منا ٤٠٠ ليرة وفصلونا. اشتغلنا بعد ذلك مع الجيش العربي الأردني كسائقين لأنهم كانوا بحاجة إلى هذه المهنة".

"لم أعرف شيئاً عن عائلتي حين كنت في بور سعيد: الحيفاويون الذين وصلوا إلى هناك لم يعرفوا شيئاً عن لوبيه. ثم سمعت من أشخاص معينين أن عائلتي لجأت إلى بعلبك في لبنان. اتجهت إلى هناك مع لوبياني آخر اسمه أبو تيسير ودخلنا بشكل غير قانوني.رأينا قوافل اللاجئين في جميع الاتجاهات. كان المسنون الذين لا يقدرون على المسير يسقطون على الأرض ويموتون في الطريق. وصلنا إلى بعلبك ورأينا اللاجئين في حالة مزرية، من دون طعام. بقى هناك لمدة ثلاثة أيام ثم انتقلت إلى دمشق بالقطار وتتابعت إلى الأردن سيراً على الأقدام. كانت تلك الرحلة غير قانونية. لكن فيما بعد صرنا نتنقل بصفة قانونية فقط".

محاولات الرجوع

كان بعض الرجال من لوبيه يعودون إلى القرية لأخذ ما بوسعمهم حمله. أما أبو ماجد فقد عاد مع رجلين من لوبيه لغرض آخر هو الإيحاء للقوات اليهودية بأن المقاومة ما زالت مستمرة. كان أبو ماجد يأمل بأن تعقد هدنة عما قريب وبأن يساهم عمله هذا في استعادة القرية. قال: "كانت القرية فارغة لثلاثة أيام عندما عدت من نمردين ولذا أطلقت بعض الرصاصات ليرى اليهود أننا ما زلنا هناك. خرجنا يوم الجمعة وكنا ننتظّر عقد الهدنة يوم الاثنين".

"رأته شيخة وهي عجوز من لوبيه، فتكلمت معها كأني يهودي. سألتها: أين القرية؟ قالت: القرية راحت يا ابني. إذا بذك تقتلني أقتلني هسّع هون. طلبت ماء، أعطيناهما لشرب، ووضعنها في بيت جدي. أخذت غنم وأعطيتها لسعود العايد الذي ظل في

الجولان مع أغذامه. وجدت خديجة زهية العميا، جدة حمد، ورفقتها إلى خارج القرية.
رفضت مراقبة حرب لأنها لا تستطيع المشي. ماتت زهية في دمشق.

"غادرت وحدي لأنني تطوعت آنذاك للحراسة. تمركتنا على بعد كيلومتر واحد شرقي البلد، لكن عندما عدت وجدت القرية خالية من السكان، فاتجهت إلى نمرین. كانت المدفعية تتصف لوبية باستمرار، فذهبت إلى هناك مع حسين محمود وأبو زكي، ولحق بنا مختار الحجاجوة. أردنا أخذ بعض الأغراض من بيوتنا. أخذت غطاء تحت وبطاقة جديدة وغنمها كانت مربوطة في باب إحدى الدور. وأخذ رفيقي جهاز راديو عنده عليه. قابلنا امرأة مقعدة لم تتعرف علينا. ظنت أنها يهود. طلبت منها أن نقتلها. قالت: قوسوني. لم نستطع مساعدتها. تركناها مع ابنتها لأننا لم نقدر على حملها."

"ذهبنا إلى نمرین لكنني طلبت من الرفاق أن نعود إلى لوبية لنطق بعض الطلقات ليظن اليهود أن لوبية مازالت تقاوم. كان ذلك يوم السبت وكانت الإشاعات تقول إن هدنة ستعقد يوم الاثنين. حاولت الذهاب إلى القرية يوم الأحد وحدي لكنني التقيت بحسين اسماعيل الحمزة في الطريق وقال لي إن اليهود في بزيارة الخان بجانب البلد من جهة طبرية. قال لي: ارجع مطرح ما جئت، فأسرعنا معاً إلى نمرین."

في العام ١٩٥٠ قطع أبو خالد الحدود من لبنان مع رفيقين له من أجل زيارة لوبية. ناموا هناك ليلة واحدة وفتشوا بين أنقاض بيوتهم عن أغراض ذات قيمة كانوا قد خبئوها هناك قبل الخروج، لكنهم لم يعثروا على شيء. عثروا على كلب ظل حياً بين الأنقاض. "كنا نقول له بوببي. اعتقلا أنه جن. كان هناك وحده مع المقعدين. ركب من شمال القرية إلى جنوبها وتوقف بجانب صاحبه محمد علي إسماعيل الذي كان معه. ظل برفقتنا إلى أن غادرنا القرية في الصباح. مشى معنا حتى حدود نمرین ثم عاد أدراجها. حتى الكلب لم يرد ترك المكان".

وحين قضى أبو خالد ليلته في لوبية سمع تغريد طير يدعى طائر القطا، ينتقل بحرية من مكان إلى آخر. ألهمه صوت الطائر بأن ينشد أبياتاً من قصيدة قال إنها لامرؤ القيس، لكنها تنسب إلى ابن الملوح:

يا سرب القطا هل من يغيرني جناحه
على إلى من هو يت أطير

والتي لم تعرني جناحها

فعيشْ بطير والجناح كسير^{١٣٦}

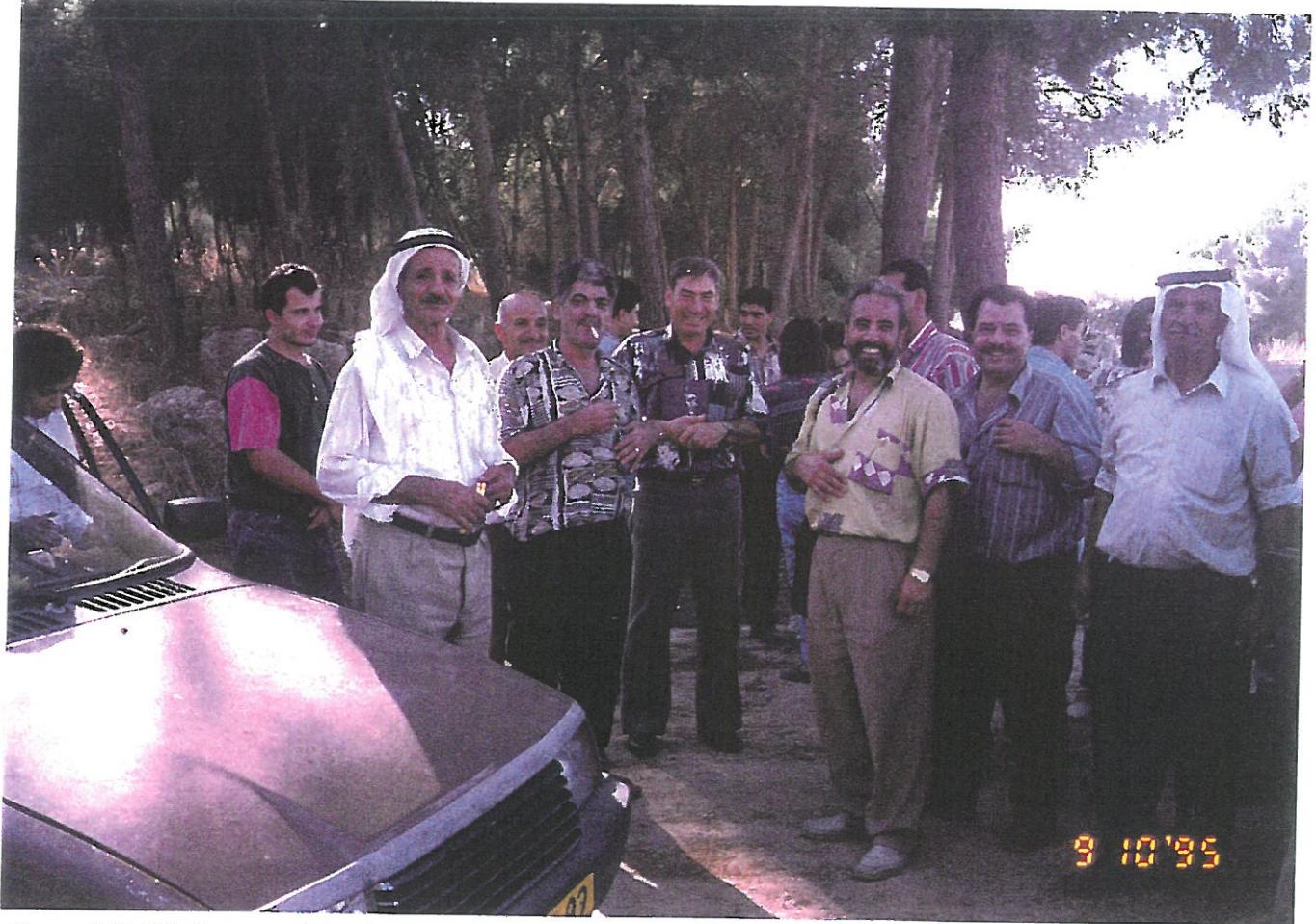
قال نايف حسن:

"الناس يجب أن لا تغادر بيوتها. كان قرار الخروج من أرضنا قراراً غير حكيم. دخل التتار في الماضي بغداد وحرقوها، لكنهم انكسروا في بيسان. نحن لم يجتمع مخاتيرنا ولو مرة ليقرروا عما يجب فعله. كانت الإذاعات العربية تساعد العدو بشكل غير مباشر عبر نشر أخبار مجررة دير ياسين وكيف أن النساء أجبرن على السير عاريات في الشوارع..."

"ما الذي نلناه من بعلبك؟ ألم تكن لوبية نطعمنا ذهباً؟"

٠ شـ

¹³⁶ القصيدة مطلعها: "بكىَتْ على سربِ القطا ، حين مرَّ بي = فقلتْ ومثلي بالبكاء جدير" والبيتين الثاني والثالث يختلفان قليلاً عما ورد في إلقاء أبو خالد:
"أسرُبِ القطا هل من معير جناحه = لعلي إلى من قد هويتْ أطير"
"وأي قطة لم تعرني جناحها = فعاشتْ بضرِّ والجناح كسير" [المترجم].

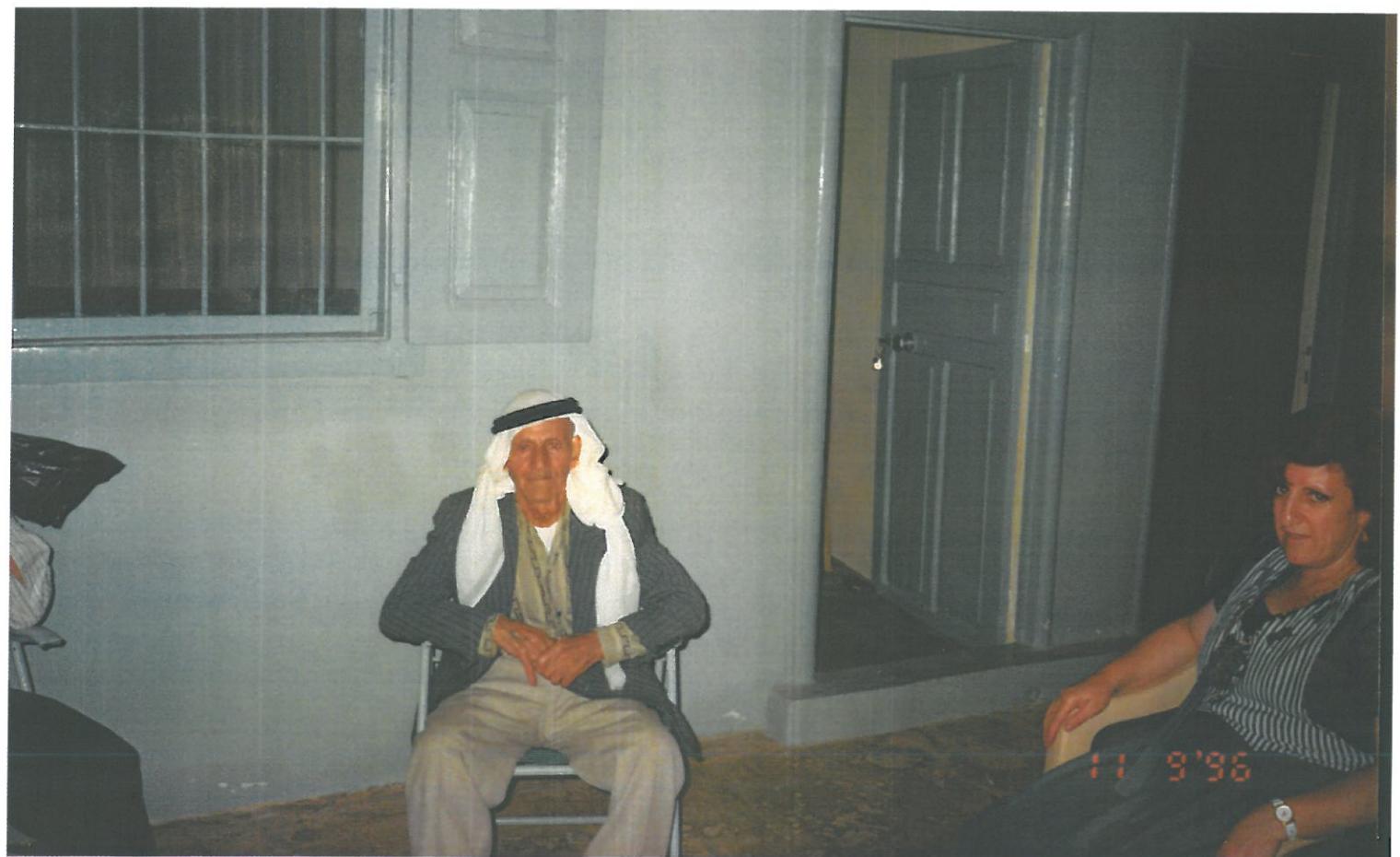


Second & third generations: Lubyans from Denmark & Sweden visiting their grandparents' land in Lubya.



Lubyan families in the debris of their house 1995.









الفصل التاسع

الحياة في المنفى

نحن هنا بحاجة هناك، وللحيمة ثلاثة باب
نحن هنا في مكان بين المقاولات والظلال
مكان من صوت
محمود درويش.

Comment [MF46] ·
من القصيدة - قده: MF46
ترجمة من الإنجليزية

الرَّجُلُ مِنَ الْأَنْكَارِيِّ
مُحَمَّدُ دَرْوِيْشَ

"بكى عمي باستمرار بعد خروجنا من لوبيه ومات بعد عام دون أن يرى قريته ثانية." (أم طلعت)

أصبح المنفى هوية جماعية للفلسطينيين عام، فالغائبون إما لاجئين أو مهجرين في وطنهم. وقد أعقبت العام ١٩٤٨ سلسلة من تجارب التهجير والتشرد من الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧، ومن الأردن عام ١٩٧٠، ومن لبنان في الثمانينات والتسعينات، بما في ذلك مجزرة صبرا وشتيلا، ومن الكويت عام ١٩٩١، ومن ليبيا عام ١٩٩٦، ومن الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الانتفاضتين الأولى والثانية، ومن العراق عام ٢٠٠٣، وما زال المستقبل يخباً ما لا يعلمه المرء. قال أبو حسن أحمد حجو^{١٣٧}: "إن قصة الفلسطينيين كحية تمتد دون نهاية."

ومثل مئات من القرى الفلسطينية المدمرة نشأت لوبيه من جديد في مخيمات اللاجئين الممتدة على مساحة الشرق الأوسط وببلاد المنفى الأبد. أصبحت مخيمات بيفل وعين الحلوة في لبنان والبرموك في سوريا والبقاء في الأردن، ومن ثم ضواحي برلين وكوبنهاغن وستوكهولم، "بدائل" للوبيه أسس فيها اللاجئون جمعيات ونواد لمعالجة مشاكل الحياة الملحة في المنفى.

وقد شارك لاجئو لوبيه في حركة التحرير الوطني التي بدأت في السبعينات وفي النضال من أجل العودة إلى الديار. وكما حدث عند معظم اللاجئين، ظلت رابطة القرية وطيدة

^{١٣٧} أحمد حجو (أبو حسن) من مواليد عام ١٩٠٤. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في دير حنا، بإسرائيل. توفي أبو حسن في العام ١٩٩٧.

لكنها أصبحت مركباً في بنية انتماء أوسع للأمة، تتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.). وفي المنفى أجبر اللاجئون على مواجهة أسئلة وجودية حول الاندماج، فبدأ يكتسب الدين دوراً أعظم في حياتهم.

يوجد اليوم حوالي أربعين ألف لاجئ منفي في ثلاثة وعشرين بلد، يعيشون في مخيمات لللاجئين وفي ضواحي العواصم الأوروبية، وتشتبك في تفاصيل حياتهم اليومية هناك توارييخ بلدتهم الأصلي وروابطه الاجتماعية وإرثه الثقافي.

تجارب المنفى الأولى:

كان المسنون يذكرنون كلما سألتهم عن أيام المنفى الأولى. أبو ماجد كان الوحيد الذي تحدث عن المنفى بـ”مرح؛ أما الباقي فكان ينتابهم حس بالحزن والمرارة. تشبهت قصص الأسابيع والأشهر والسنوات الأولى في المنفى. الكثيرون انتهى بهم الأمر في بيوت معدة كيما اتفق، في ظل عودة مرتبطة لم تتحقق. كثير منهم بقوا في أقرب موقع لجوء في سوريا ولبنان لكي يعودون بسرعة بعد انتهاء الحرب.

قال غسان سعيد (أبو محمود)^{١٣٨}: ”إن معظم اللوبين جاءوا إلى هنا أتوا عن طريق قرية عنجر التي تحولت إلى محطة يصل إليها اللاجئون قبل أن تقلهم القوات اللبنانية إلى مناطق أخرى: البعض مثل أحمد حسن إبراهيم^{١٣٩} وعائلته ذهبوا أولاً إلى سوريا ومن هناك إلى عنجر ثم برج الشمالي جنوب لبنان.“

كانت عنجر بالنسبة لآخرين محطة في الطريق إلى الشام. وصلت عائلة أمينة علي إسماعيل إلى بنت جبيل بعد اجتياز الحدود اللبنانية بخمسة أيام. ”كنا خمسة وعشرون نفراً، وكان معنا بعض الأطفال المصابين بالتنفس فأخذ الأطباء عدداً منا إلى بيروت. ومن هناك ذهبنا إلى عنجر في سهل البقاع وبقينا مدة شهرين. بعد ذلك سمعنا أن دمشق مكان أفضل للعيش فانتقلنا إليها.“

¹³⁸ أجريت مقابلة مع أبو محمود بتاريخ ١٠ شباط/فبراير ١٩٩٩، في مخيم برج الشمالي في لبنان. وشارك في اللقاء خمسة لوبين يعيشون في المخيم هم سعيد ذياب، عبد الله الشنيري (من مواليد عام ١٩٣٨)، عدنان حسين قاسم (من مواليد ١٩٥٦)، عرض كيلاني، ومحمود قاسم.

¹³⁹ أجريت مقابلة مع محمد حسن إبراهيم بتاريخ ١٠ آذار/مارس ١٩٩٦.

"من دمشق انتقلنا إلى حلب. بقينا في حلب مدة شهرين في مخيم نيرب لللاجئين، ومن ثم انتقلنا إلى مخيم الزريب حيث كانت مشاكل مع المياه. انتقلنا من هناك إلى السفري وبقينا خمسة أو ستة شهور. عدنا بعد ذلك إلى بعلبك في لبنان للعيش مع أبي، محمد خليل، وبقينا خمسة وعشرين يوماً. أخيراً جاء أخي وأقمنا بالانتقال معه إلى عنجر على بعد ٣٥ كم من بعلبك وبقينا هناك سبع سنوات".

البعض مثل أبو طلعت انتهى بهم الأمر في الأردن. قال أبو طلعت: "جئت مع أبي من لبنان. قررت اللجنة العربية العليا إرسالنا إلى مخيم المهرجين في سوريا لكن أبي رفض. جئنا إلى هنا لنكون قريباً من لوبية وقت الرجوع". أما أم طلعت فتحديث بمزيد من التفاصيل عن الرحلة. قالت: "اقترب عمي محمود حسين أن ننتقل إلى نعيمة (وهي قرية بجوار إربد حيث تعيش عائلات من الصمادي) في الأردن لأن فيها أناس نعرفهم وكانوا يزورونا في لوبية".

"أخذنا أبو طلعت بالباص إلى بيروت وكان علينا قضاء الليلة في الكراج لأنه كان من المترقب أن يصل الملك فيصل إلى بيروت. كان الحمام بخمسة شيلنج. بعد ذلك اتجهنا إلى عنجر في شرق لبنان والتقيينا بناس من أرمينيا. لم نذهب إلى الشام عبر الطريق العادي لأنه لم يمكن بحوزتنا جوازات سفر. ذهبنا تهريباً. عندما وصلنا هناك بدأت عمتي تغنى: الصالحية عالصالحية، عالشام العالية رايحة) فصاح فيها الآخرون بأن هذا ليس وقت الغناء! نمنا مرة أخرى في كراج للسيارات وجاء الناس ليسلموا علينا ومعهم بقالوة".

"ظن زوجي أن اللجنة العربية العليا سوف تسهل انتقاله إلى الأردن لأنه كان نشيطاً في الثورة لكن ذلك لم يحدث. ذهبنا بأنفسنا، وجدنا باصاً يقطع الحدود الأردنية عند الرمثا. كنا جوعانين ولم نجد خبزاً. لاحقاً أعطانا سكان الرمثا رغيفي خبز. وصلنا في نفس اليوم إلى إربد ونمنا في البيادر التي تعرف اليوم بشارع السينما. في تلك الليلة الأولى في الأردن كنت ما أزال أسمع صوت الطائرات تحوم في أذني".

عدد قليل من اللوبين ظلوا في القرى المجاورة للوبية التي ضُمت إلى دولة إسرائيل. كان بين هؤلاء بعض العجز والمقعدين. تذكر الرواية الذين قابلتهم الأسماء التالية من ظلوا هناك: امرأة مقعدة اسمها حربة، وشيخة الكتابر، ورجل مريض مطروح في الفراش اسمه سالم الشبكوني، وامرأة مسنّة اسمها زهرة العماش، وعمونه العلي زوجة عودة العلي، وابنة إسماعيل ذيب الضريرة.

معظم الذين لم يخرجوا من فلسطين مثل عائلة أبو حسن حجو، وجدوا مأوى لدى عائلاتهم الموسعة. ترك أبو حسن لوبيبة في العام ١٩٤٨ مع زوجته وابنه وكان عمره أربعين يوما فقط. قال: "أمي كانت من دير حنا، وقررت البقاء هنا لأن زوجتي كانت مريضة. كنا في دير حنا مائة وخمسين لاجئاً من قرى مختلفة، لكن قصة الفلسطينيين مثل قصة الحياة التي لا آخر لها. بقينا عامين عند أصحاب لنا واستطعنا العودة إلى لوبيبة لجمع بعض الأدوات المنزلية والملابس التي أخبارها في المعاشر قبل الخروج."

يسى اللوباني بقى للاهتمام بأحد أفراد العائلة الذي كان مريضاً، وحين أخبرنى عن الحادثة المأساوية لموت أخيه كان ينحب . قال : " مرض أخي في العام ١٩٤٨ مرضًا شديداً وأشار علينا عمي أن نأخذه إلى المستشفى . أنا رفضت المغادرة مع العائلة إلى سوريا وبقيت إلى جانب أخي في المستشفى ، ولذلك أنا موجود هنا الآن ... قبلت اقتراح الأطباء بأن تعطيه إبرة لتسريع وفاته ، وما زلت أشعر بالذنب إلى يومنا هذا . لو كان الطب كما هو في وقتنا لكان بإمكان الأطباء أنقاذ حياته . "

تركت عائلة أبو محمد الكيلاني القرية خلال الحرب إلى لبنان وحاولت الرجوع إلى الجليل. كان أبو محمد طفلاً حين فقد نظره وكان شاباً في السادسة عشر حين خرج من لوبيبة عام ١٩٤٨. بدأ بالحديث مباشرةً دون أن يترك لكي فرصة طرح سؤاله الأول. قال: "في الأول ذهبنا إلى نمردين وبقينا عند أحمد سليمان (أبو زكي) مدة ثلاثة أيام. ومن ثم اتجهنا إلى سهل البطوف وانضممنا إلى آخرين كانوا قد جاءوا من قرى مختلفة. كانت البعنة قد سقطت. جاء صاحب لأبي من دار الشلاش من عربة (تبعد ٢٠ كيلومتراً عن لوبيبة) مع جمل وأخذنا إلى هناك".

كان جيش الإنقاذ مازال في عربة لكنه لم يبق هناك طويلا، ثم أحتل الجيش الإسرائيلي كل البلاد حتى حدود لبنان. عاد أعمامي أحمد يوسف ونمر صالح (أبو لطف) من لبنان لاصطحابنا معهم. قالوا لأبي: جلبنا بضائع من لبنان لنبيعها في المغار وبعد أن ننتهي من عملنا سوف نأخذك معنا إلى لبنان. تردد أبي كثيراً وقال لهم: لن تكون حياتي أفضل من الناس هنا. لن أذهب إلى لبنان. مزق التصريح الخاص الذي حصل عليه في ذلك الصباح وقال للأعمام: إذا مات الناس هنا أموت معهم، وإذا عاشوا أعيش معهم. توفى أبي بعد عامين في شناء متقل بالتلوج.

واجه اللاجئون الذين لجأوا إلى لبنان أوضاع صعبة بشكل خاص رغم مساعدة الصليب الأحمر والصليب الأحمر الدولي وبعد ذلك وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)^{١٤٠}. تحدث غسان سعيد في الجنوب عن "خيم كانت تخترقها قطرات المطر". وقد يوسف عيسى زوجته الأولى وأبنه في المخيم في بعلبك حيث التجأوا في معسكرين للجيش، هما ويقظة وغورو^{١٤١} على اسم جنرالين واحد إنجليزي والثاني فرنسي، كما قال.

وأضاف يوسف: "فُسمنا ممر المبني العسكري الطويل إلى غرف صغيرة بقطع من القماش وزوّذت الغرف على العائلات. ولم تعرف المنطقة شتاءً فارساً، ماطراً ومثلاً، مثل ذلك الشتاء منذ سنوات عديدة. ولم يكن بحوزتنا دواء لمعالجة أبسط الأمراض. أذكر أن مرضية إنجليزية كانت تعمل مع الصليب الأحمر أعطتني بعض الحبوب لمرض ما لكنها لم تتفع. الكثير من الأطفال ماتوا لعدم توفر البطانيات ووسائل التدفئة."

وما جعل أوضاع اللاجئين أكثر صعوبة هو خروجهم من بيوتهم الأصلية وسط ذعر وفوضى الحرب مع قليل جداً مما يملكون، وكانوا يظنون أنهم عائدون بعد عدة أيام أو أسابيع بالأكثر. أغلبية اللاجئين، مثل رمزية حسن أبو دحيس تذكر أن جيش الإنقاذ العربي قال لهم: "أذهبوا لمدة أسبوعين ثم عودوا. وقال يوسف عيسى: "لم نأخذ معنا شيئاً عندما غادرنا لوبية. كان على أن أبيع بندقيتي لأجل أن أبقى حياً."

خرجت أم طلعت وعائلتها من فلسطين بحوزتها بضع ليرات فقط. قالت: "كنا عائلة من خمسة أطفال، وكانت أعمار أولادنا الثلاثة أربع سنوات وثلاث وسنة واحدة. أعطت الأونروا كل واحد منا كيلو ونصف من الطحين. أخي زوجي سجل في الوكالة على أنه مولود في النعيمة. والأخ الآخر، محمد، سجل أنه كان شرطياً. عين زوجي مختاراً، وفيما بعد وجد عملاً كحارس في مخاواه، وهي بلدة في الأردن، إلى أن دبر له فوزي حسن عملاً في دير علاء في الغور ظل فيه طوال خمسة عشر عاماً."

^{١٤٠} تأسست وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (أونروا) بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٠٢ (خامساً) في ٨ ديسمبر/كانون أول عام ١٩٤٩ لفرض تقديم الإغاثة المباشرة وبرامج التشغيل لللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من فلسطين في حرب عام ١٩٤٨. وماراثن الوكالة تقدم الخدمات الأولية من التعليم والصحة والرفاه الاجتماعي لللاجئين الفلسطينيين بسبب عدم وجود حل لمسألة اللاجئين بموجب قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (ثالثاً)، ١١ كانون أول/ديسمبر ١٩٤٨. لمزيد من المعلومات عن عمل الأونروا انظر موقع المنظمة على شبكة الانترنت: www.unrwa.org

^{١٤١} في العام ١٩٦٩ توصلت م.ت.ف. والحكومة إلى اتفاق بتسليم المنظمة لشئون المخيمات، فتم تغيير اسم مخيم ويقل إلى مخيم الجليل، ونقل مخيم غورو إلى الجنوب وسمي بالرأشية.

كان أبو طلعت من بين القلائل الذي حظوا بمساعدة الأقارب. قال: " جاء الوالد محمود حسين إلى هنا ليكون بالقرب من لوبيه وقت الرجوع. أقمنا في النعيمة مع عائلة الصمادي الذين عرفناهم منذ خمسة عشر عاما وأخذنا أسم عائلتنا منهم. أقاربنا الصمادي هناك كانوا كرماء معنا جداً ووفروا لنا الطعام والمأوى. بعدها وجنت عملاً وانتقلنا إلى أربد وبقينا حتى اليوم".

وروت أم طلعت ذكريات مشابهة عن وصول العائلة إلى الأردن. قالت: " التقى رجالنا بأصدقاء لنا من قرية النعيمة المجاورة لإربد، فذهبنا إلى هناك وكنا عشرين شخصاً. قالوا لنا إن من عادة العرب أن يبيت الضيف ثلاثة أيام قبل أن يسأله المضيف عما يريده. لقد أ茅وا لنا بيته بسرعة مع كل التجهيزات الازمة مثل الطعام والقهوة. قاموا بالواجب لتأمين راحتنا. أقام بعضنا عند المختار لمدة عام وكان المختار طوال كل تلك الفترة لا يسمع لأحد بالخروج من منزله دون إفطار".

في موقع آخرى من المنفى لم يتم حميم الترحيب طويلاً. في عنجر التي كانت محطة أولى للعديد من اللاجئين، مثلاً، نشأت صدامات بين بعض اللاجئين، مثل عائلة أمينة، وبين السكان الأرمن المحليين الذين حظوا بممثل في البرلمان، واضطرب اللاجئون أن يحرموا أمتاعهم القليلة ويفادرون. قالت أمينة: "لقد كسرت السلطات اللبنانية يد عمي وحاولوا دهس أبو ذياب بالشاحنة، فاضطررنا أن نغادر إلى قرية ^{غير تليل} في الجوار".

ولم يكن هذا إلا بداية سلسلة أطول من الرحيل بالنسبة لتلك العائلة، إذ أضافت أمينة: "عشنا في ^{غير تليل} لمدة قصيرة قبل أن نغادر إلى مخيم عين الحلوة في جنوب لبنان، ولم يكن هناك ما يكفي من طعام فانتقلنا إلى مخيم البص. وهناك نشب خلافات بين سكان المخيم وسلطات الجيش، فانتقلنا إلى برج الشمالي وهناك عمرنا دار واستقرينا".

ظل أحمد حسن إبراهيم وعائلته في مخيم برج الشمالي في جنوب لبنان إلى أن بدأت الحرب الأهلية في أيلول ١٩٦٩. قال أحمد: "عاملتنا الشرطة اللبنانية بسوء خلال تلك الفترة، استأجرت محلاً لفتح صالون حلقة ووجدت الحيطان في حالة سيئة وقمت تصليحها فغرمتني الشرطة بمبلغ ١٠٠ ليرة، وكان لليرة قيمة كبيرة آنذاك".

واجه اللاجئون مشاكل مشابهة مع السكان المحليين في بلدان أخرى أيضاً. روت أم طلعت عن باشا من عائلة الهنداوي في النعيمة قتله فلسطيني من المجيد. قالت: "فصار الجميع

يحكون بحق الفلسطينيين، ويتوعدون بقتل صالح العلي الذي قتل الباشا. كنا نسمع كلما قاسيًا فذهب رجلان منا إلى الأونروا لطلب الانتقال إلى مكان آخر بسبب ما كان يقال عن "الفلسطينيين".

"وفي اليوم التالي كنا نحضر للمغادرة إلى إربد وكان زوجي خارج المنزل فجاءت زوجة المختار وحاولت إقناعي بالعدول عن قرار المغادرة، لكنني قلت لها إنني أريد أن الرحيل مع أقاربي موسى وسليمان عايد. حاولت جاهدة أن تقنعني لكنني أردت أن أكون مع أهلي وبين أنساني الذين يعرفون ماضينا ويشعرون بمشاعرنا. كنا أربع عائلات، جمعنا أغراضنا ووضعناها على سطح باص وانتقلنا إلى أربد. حين عاد زوجي من عمله غضب مني بسبب ذلك."

"أعطونا خيمة مع ثلاثة أعمدة عشنا فيها لمدة خمسة عشر عاما حتى وجد رجالنا أعمالا في مناطق مختلفة من الأردن. ساعدتنا الأونروا في بناء جدران وأسقف لتحول محل الخيام. اضطر طلعت على ترك المدرسة ليساعد والده في العمل وندم بعد ذلك كثيراً. ثم فتح زوجي دكانا وسافر ولد آخر من أولادنا، اسمه رفعت، إلى ألمانيا وعمل هناك ثلاث سنوات. كانت أوضاعنا المادية قد بدأت تتحسن بعد سنوات طويلة من الفقر."

وفي داخل إسرائيل تعرض اللاجئون من لوبية لكثير من الإساءة، فكانوا يعتقلون ويبعدون إلى خارج الحدود. روى أبو حسن: "عندما سألني الضابط الإسرائيلي لماذا أنا في دير حنا، لم أقل له الحقيقة. قلت له إنني غادرت لوبية قبل الأحداث لأنني رفضت شراء أسلحة للثوار. كان لي قريب اعتقله البوليس وطردوه إلى الضفة الغربية".

وحدثت قصص مشابهة مع قري أخرى. قال أبو نمر: "بقي في صفورية (بجوار لوبية) ١٥٠ شخصاً بعد عام ١٩٤٨ وحصلوا على بطاقات هوية تذكر مكان الولادة صفورية". كانت والدة أبو نمر لوبية قضى معظم طفولته هناك قبل النكبة. قال: "فيما بعد أصدر الجيش الإسرائيلي أوامر بإخلاء القرية خلال ٤٨ ساعة، فطلت خالية لمدة عامين وكان بمقدورنا أن نعود، لكننا أضعنا الفرصة خاصة وأن الحكومات الإسرائيلية في تلك الفترة كانت كلها يسارية. بعد عامين بدأ المستوطنون يأتون إلى المكان".

النشاط السياسي:

أدى افتلاع الفلسطينيين من بيوتهم وقراهم ونفيهم إلى أماكن أخرى إلى نشوء أنماط جديدة من التنظيم الاجتماعي، مختلفة تماماً عن تلك التي سادت حياة القرى. فقد ضعفت سلطة المختار ورئيس الحمولة كثيراً، وإن لم تنته تماماً. وسرعان ما بدأ اللاجئون حينما تنسى لهم الأمر، بالتنظيم السياسي من أجل العمل على تحقيق العودة. وقد شكلت منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.)^{١٤٢} منذ تأسيسها عام ١٩٦٤ إطاراً وطنياً جاماً فوق الولايات الفردية والعائلية والقبلية القديمة.

واجه الفلسطينيون الذين نشطوا سياسياً أوقات عصيبة في معظم البلدان التي تواجدوا فيها، وكان الوضع في لبنان صعباً على وجه خاص، إذ منع النشاط السياسي بشكل شبه مطلق. مؤلف هذه السطور قام بتنظيم مظاهرة سلمية في المدرسة الثانوية في السبعينات فسجن في المرحاض حتى وصل متظاهرون من بعلبك وأطلقوا سراحه. في سوريا، كان مجال النشاط السياسي أوسع، وفي الأردن أتيحت حرية العمل السياسي لفترة وجيزة. أما في إسرائيل فقد فرض على المجتمع الفلسطيني نظام الحكم العسكري حتى العام ١٩٦٦.

بدأ اللاجئون الفلسطينيون بعد الهزيمة التي لحقت بالدول العربية خلال حرب عام ١٩٦٧، وخصوصاً بعد معركة الكرامة^{١٤٣} في الأردن عام ١٩٦٨، بالانتظام في الكفاح المسلح من أجل التحرير وقيام الدولة المستقلة. وكان اللوبيون من ضمنهم: قال محمد أبو دهيس^{١٤٤}: "كنا قد أدركنا حقيقة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

سقط بين الأعوام ١٩٦٥ و ١٩٨٢ ثلاثة وتسعون لاجئاً من لوبيه في الكفاح الوطني المسلح، معظمهم كانوا شباناً ولدوا خارج فلسطين ولم يروا بلدتهم الأصلية في حياتهم. لكن معنى انتصارهم إلى لوبيها، أو هويتها المحلية، كانت قد تبلورت خلال انخراطهم في العمل الثوري.

كان أول شهيد للكفاح المسلح الفلسطيني شاباً من لوبيه، يدعى أحمد موسى. قال أحمد حسن إبراهيم: "نحن اللوبيون اشتراكنا بشكل فعال في الثورة منذ البداية". وأخبرني أحمد

^{١٤٢} تأسست حركة التحرير الفلسطينية في القدس في آب/أغسطس ١٩٦٤ من قبل مجموعة من اللاجئين والناشطين المحليين بدعم من الدول الأعضاء في الجامعة العربية. وكان رئيسها الأول أحمد الشقيري، ثم تولى الرئاسة ياسر عرفات قائد حركة فتح في العام ١٩٦٨.

^{١٤٣} الكرامة هي قرية في غور الأردن حيث وقع أول اشتباك مباشر بتاريخ ٢١ آذار/مارس ١٩٦٨ بين القوات الإسرائيلية وحركة الفدائيين حبيبة التأسيس. وبالرغم من سقوط ضحايا عديدين بين صفوف الفلسطينيين أصبحت معركة الكرامة رمز قوة الكفاح المسلح وجواه.

^{١٤٤} أجريت مقابلة مع محمد أبو دهيس في العام ١٩٨١، عندما كانت لم تُـ. مـ. بـ. موقع عسكري مازالت في لبنان.

بأسماء آخرين من لوبيه سقطوا شهداء: "كان سعيد شuran قائد فصيل العريقوب^{١٤٥} حين سقط في العام ١٩٧١ وكان أبو محمود مصطفى أول القادة الذين ساعدو أبو علي إياد (قائد رفيع في فتح^{١٤٦} قتل في الأردن عام ١٩٧١) في مخيم الحامي في سوريا".

وقد تحدث العديد من المسئين عن انحرافهم في النضال الفلسطيني في المنفى. كان يوسف أبو دهيس (أبو بسام) قد أسس منظمة تدعى منظمة الشبيبة في سوريا عام ١٩٥٢ وألتحق في العام ١٩٦٤ بمنظمة فتح ثم أصبح لاحقاً عضواً مؤسساً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين^{١٤٧}. عندما زارت أبو بسام في مخيم حمص عرض أمامي وثائقه الخاصة التي تتبّع مشاركته في اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني^{١٤٨}.

قال أبو بسام: "اتصل بي محمد زهدي النشاشيبي وكان عضواً في تنظيمنا، وطلب حضور اجتماعات المجلس الوطني. كان بين الحضور ضابط من عائلة الجبروع من الطيرة، ويوسف عرابي، وأحمد جبريل (جش)، وأبو جهاد (فتح). بدأ الاجتماع بهجوم على م.ت.ف، لأنها أقيمت بدعم من التسلل العربي. فرفعت يدي وقلت لهم إن مهاجمة المنظمة خطأ".

"وقلت لهم أيضاً إن للشعب الفلسطيني الآن مظلة تحميء بعد اقتلاعه وتشريده من فلسطين، وعلينا أن نحذر من فقدان ثقة الشعب. نحن هنا نسع تنظيمات علينا أن ننوحد في إطار واحد. بهذا يكون الرد السليم على م.ت.ف. وافقوا على اقتراحني وتشكلت لجنة من أربعة أعضاء للبحث في آلية التوحد، هم محمود النشاشيبي وقدورة وأحمد جبريل وأبو جهاد، لكنهم لم يتوصلا إلى اتفاق طيلة أيام ثلاثة. لم يجتمع الرأي إلا بين منظمتنا فتح وممثلين اثنين عن بكتائب الفدائيين".

"وكانت قد عينت لجنة أخرى مكونة من أربعة أعضاء لتسلم مهمة العمل العسكري في فلسطين، وبدأت على الفور بالخطيب لأول عملية ضد مصافة تكريير البترول في حيفا. تسلم يوسف عرابي المسؤولية العامة عن العملية لأنه كان ضابطاً مدرباً في الجيش السوري. وكانت الخطة أن يتم قصف ٥١ قذيفة على الموقع، لكن العملية ألغيت بسبب القبض على الشخص الذي كلف بشراء الأسلحة في الأردن. تم تنفيذ العملية الثانية في

^{١٤٥} العريقوب هي منطقة في جنوب لبنان أنشئت فيها القوى الفلسطينية الثورية قاعدة لها، وتعرف كذلك بـ "فتحلاند".
^{١٤٦} فتح هي كبرى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية بدأت عملها العسكري في كانون ثاني عام ١٩٦٥ ومارست التنظيم السياسي الأكبر لدى الفلسطينيين.

^{١٤٧} تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على يد جورج جيش في العام ١٩٦٨ واتبعت أسلوب فتح في الكفاح المسلح.
^{١٤٨} المجلس الوطني الفلسطيني هو البرلمان الفلسطيني في المنفى.

سهل البطوف، وسقط فيها شهيد الثورة الأول أحمد موسى. كنت أعرفه شخصياً منذ أيام لوبية. كان يسكن في الحمى وأصله من عرب الدلايكة.

"أعطانا السوريون معسكراً للتدريب عقب اتفاق عقد مع حركة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ انضم يوسف عرابي (من عكا) وأحمد حجو ومصطفى سعد الدين ومجاهد سرحان وقاسم نخل الله إلى منظمتنا، وهي الجبهة الثورية، أصبح أحمد حجو قائد المعسكر ومن ثم استقله رفاق آخرون. كانت تلك بداية انطلاق الثورة، بعد ذلك توجهت إلى جنوب لبنان للانضمام إلى أبو علي إبراهيم."

ينكر أبو بسام في كتابه لوبية، الأرض والشعب أسماء شهداء الثورة عام ١٩٦٥، التي جمعها على مدار عامين. قال: "لقد نسيت الكثير من الأسماء وهناك نوادرات في الكتاب لكنني بذلك كل ما يسعني. اتصلت مع الكثيرون ليذكروني بأسماء شهداء لم أنظر لهم، وعاتبني الكثيرون لعدم ذكر قصص بطولية عنهم، لكنني أردت كتاباً عن لوبية وليس عن أفراد. كان هناك أشخاص قتلوا ليس في أي معركة وليس على يد العدو مما أغاض بعض الناس. لم أنظر أية معلومة بدون توثيق رسمي. كان من الأفضل الحديث عن اللوابنة بصفة عامة".

قالت أمينة علي إسماعيل: "كنا متقائلين عندما انطلقت الثورة. حاولت إرسال الطعام للثوار لكنهم قالوا إن لديهم كفاية. كانت الثورة في البداية قوية جداً، لكن الأوضاع صارت أصعب مع مرور الوقت وبدأت نشعر بأنهم خذلوانا".

تجارب لاحقة في المنفى

تحدث اللوبيون صغاراً وكباراً عن مصاعب الحياة المستمرة في المنفى. وكان أحد المواقف المشتركة بين الجميع هو الإحباط الناتج عن خسارة القرية والبقاء في المنفى الإجباري لعقود طويلة.

تحدث أبو خالد عن التاريخ القديم وذكر موسى ابن نصير وطارق ابن زياد. وأضاف: "المسيح كان فلسطينياً؛ فهو أبننا. وقد ساعدنا صلاح الدين على طرد الصليبيين الأوروبيين. الفيلسوف الإسلامي الفرنج هو فلسطيني. أبو بكر اللوباني كان من قريتنا".

فلسطين كانت جنة . ولأولئك الزعماء الذين سينتهون إلى مزابل التاريخ أقول ما قاله
شاعر الرافدين معروف الرصافي :
وكم عند الحكومة من رجال = تراهم سادة وهم العبيد
كلاب للأجانب هم ولكن = على أبناء جذلتهم أسود

واستمر أبو خالد بيلقاء الشعر والتحسر على الخسائر والانحطاط منذ عصر الإسلام
الذهبي إلى حالة البوس التي شهدتها اليوم . وأنهى قوله العتابا بسؤال من الله وبنقد الحكم
العرب : " يا رب ترد الغائب على بيته ! كفانا عذاب من كل العرب ! "

الكثيرون من قابليهم في الدول العربية المضيفة أو في أوروبا، تحدثوا عن هموم العثور
على عمل وإعالة العائلة، وكانت حالة اللاجئين في لبنان هي الأكثر قسوة على هذا
الصعب، حيث يمنع اللاجئون هناك من العمل فيما يقارب السبعين مهنة . يعيش اليوم
 حوالي ستة آلاف لاجئ في لبنان .

قال عدنان حسين قاسم من مخيم برج الشمالي إن عدد اللوببيين في حارته وحدها يبلغ مائة
وخمسين نسمة، وحين خالفه بعض الحاضرين الرأي انقطع ورقة ووضع أسماء جميع
العائلات وأبنائها، فكان المجموع ما بين ١٨٥ و ٢٠٠ عائلة . فلو أخذ معدل عدد أفراد
العائلة الواحدة ٥ أطفال لوصل عدد اللوببيين في المخيم ما بين ١،٠٠٠ و ١،٢٠٠ نسمة .

قال غسان : " إن مجالات التوظيف الأوسع هي في أعمال البناء وتعبيد الشوارع . يوجد
اليوم قوانين صارمة ضد البناء داخل المخيم، فلا يسمح بإدخال ماسورة مياه أو قطعة من
الزنك أو أي مادة بناء أخرى . تفرض هذه القيود على سكان مخيمات الجنوب الثلاثة
أساساً، الراشدية والبص والبرج، وهي المخيمات الوحيدة المعترف فيها من قبل الأونروا
والحكومة اللبنانية . " وأضاف غسان : " لذا فإن تعليم أولادنا يقع في الدرجة الأولى . "

وتحت اللوببيون الذين يعيشون داخل إسرائيل عن الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي مرروا
فيها . يبلغ عددهم اليوم قرابة ٧٥٠ نسمة، وقد انقطعت الصلات بينهم وبين أقاربهم في
المنفى مدة ١٨ عاماً، منذ النكبة حتى نهاية الحكم العسكري عام ١٩٦٦ لكن عدد قليل
 جداً من اللوببيين في المنفى، لا يزيد على العشرة، كان بمقدوره الحصول على تأشيرة
دخول لزيارة ذويهم في إسرائيل . يطلق على اللوببيين كما باقي المهجريين داخل إسرائيل
تسمية " الحاضرون الغائبون " ، فقد سلب حقهم في العودة إلى بيوتهم وأراضيهم رغم

مواطنهم الإسرائيلي . يشتغلون معظمهم في مجال البناء ومازالوا محافظين على بنية العلاقات العائلية ويتراوجون فيما بينهم في أغلب الحالات .

يعيش أحمد حجو^{١٤٩} في دير حنا ويعمل في فرن . قال : " يبلغ معاشي الشهري أربعة آلاف شاقل ، ويكلفني تعلم كل طفل من أطفالى الأربعة أربعة آلاف شاقل في السنة . هذا يعني أن تكلفة تعليم الأولاد في المرحلة الابتدائية وحدها تعادل أجر عام بأكمله . لكن تعلم الأولاد أولوية بالنسبة لي ، فالحياة قاسية جداً . لكي يستطيع المرء أن يعمل في مجالات أفضل عليه أن تكون مسرحاً من الجيش ، لكنني لن أقبل أن أخدم في الجيش الإسرائيلي . في العام ١٩٧٣ سنوا قانوناً يسمح للعرب بالتطوع إلى الجيش ، لكنني رفضت قطعياً أن أدفع قرشاً واحداً لدعم حروبهم . من المستحيل أن ندمع جيشاً يقتل إخواننا وأخواتنا في البلدان العربية . "

رفعت هو أصغر أبناء صبحية محسن جودي ، وهو شاب من مواليد عام ١٩٧٠ . ترك رفعت المدرسة رغم أنه كان تلميذاً نكياً بسبب وضع العائلة المادي الذي فرض عليه مساعدة والده في العمل . وقد عمل في البناء في المستوطنة الجديدة جفعت أفنی ، التي بنيت على أرض لوبية .

لصبحية توأمان من البنات أيضاً ، هما فاطمة وعايشة ، من مواليد عام ١٩٧٢ . لم تتمكن التوأمان من الالتحاق بالجامعة في حيفا . قالتا : " رفضت أمها أن تلتحق بجامعة حيفا رغم معدلاتنا الجيدة ، وأصرت أن تلتحق بمعهد قريب من دير حنا ، حيث ندرس اليوم ." أكدت صبحية على هذا الكلام وقالت إن وضع العائلة المادي لا يسمح بالتعليم الجامعي ، وإن حيفا بعيدة عن دير حنا .

لقد أجبرت أوضاع العمل في الدول العربية المختلفة وخاصة في لبنان اللاجئين الفلسطينيين على البحث عن عمل في أماكن أخرى . قال عدنان قاسم : " لم يبق من اللوبين المائتين وخمسين الذين كانوا يعيشون في الحارة (في برج الشمالي) سوى ثلاثة شخاص . فقد هاجر سبعون بالمائة للعمل في أوروبا . يبلغ عدد اللوبين في أوروبا وعشرات الآلاف في البلدان غير العربية اليوم ، ٦٥٠٠ نسمة ، معظمهم انتقلوا إلى هناك من مخيمات اللاجئين في لبنان ."

^{١٤٩} أحمد حجو من مواليد عام ١٩٥٣ . أجريت مقابلة معه في دير حنا ، بإسرائيل ، في ١١ أيلول / سبتمبر ١٩٩٥ .

يوجداليوم ما يقارب ٢٧٠ لبّي في ألمانيا، يقيمون على الأغلب في مدينة برلين. جاءوا إما قبل أو خلال الحرب الأهلية بحثاً عن حياة أفضل. غالبيتهم بوضع اللاجئين السياسيين. وقد استطاع بعضهم تكوين أنفسهم في الأعمال التجارية ومجال المطاعم. يملك الفلسطينيون عموماً، من لوبية وغيرها، ١٠٠٠ مطعم بيترًا في برلين من أصل ١٠٢٠٠ هو عدد مطاعم البيترًا في المدينة. ويبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين حصلوا على مواطنة ألمانية ٧٠٠٠، إلا أن هويتهم الفلسطينية مازالت قوية جداً وتغذّيها اجتماعاتها العديدة وناديهما ومنظمهما المختلفة.

غادر أحمد حسن إبراهيم مخيم برج الشمالي إلى ألمانيا عام ١٩٧٤. قال: "عملت في البداية في مجال التنظيف ومن ثم عملت حلاقاً لمدة ثلاثة سنوات. ذهبت إلى لبنان عام ١٩٨١ وعادت إلى ألمانيا. سُجنَت مرتين لعدم حيازتي على تصريح إقامة. وقد حصلت على تصريح عندما وجدت عملاً. انتُخبت لتمثيل ثمانين عاملة في شركة التنظيف وعاملني أصحاب العمل بشكل سيء، لكنني صمدت في عملي هناك حتى سقط جدار برلين ولم تعد الشركة بحاجة إلى خدماتنا. أعطوني ٣٥،٠٠٠ ماركاً ألمانياً لتجنب المحاكم، وبقيت فاقدياً للعمل منذ عام ١٩٩٢ حتى مؤخرًا، إذ بدأت أعمل حراساً ليلاً في أحد الفنادق بين الساعة العاشرة مساءً والرابعة صباحاً".

تحدّث لوبّيون آخرون عن مشكلة إيجاد عمل في مجالات تخصصهم العلمي، وكان هذا شاغل معظم اللوبّيين الذين التقى بهم في الدنمرك. يبلغ عدد اللوبّيين الموجودين هناك اليوم ٢٠٠٠ شخص. صالح^{١٥٠} هو رجل أعمال في الأربعينات من عمره، ولد في مخيم بعلبك ودرس علم الاجتماع في بيروت، وكباقي زملائه لم يجد عملاً في مجال اختصاصه. قال: "جئت إلى الدنمرك في كانون ثاني /يناير عام ١٩٩١ ضمن برنامج لم الشمل لأن زوجتي تعيش هنا. درست علم الاجتماع في الجامعة اللبنانيّة وعملت مدّرساً في مدارس خاصة في لبنان لمدة خمسة أعوام".

وأضاف: "إن الحياة هنا جيدة بسبب نظام الرفاه الاجتماعي، لكن ثمة مصاعب عديدة في الاندماج وتعلم اللغة. وأعتقد أن المشكلة الأساسية هي عدم توفر العمل. لا يتكلّك تعلم اللغة من دون الاحتكاك بالناس، ومن دون التمكّن من اللغة سنظل هامشيين ولن نحصل على وظائف ذات قيمة. وهذا وضع غير مريح، فقدان العمل أمر مقلق جداً. أصبحت قلقة إزاء حياتي. أنا لاجئ وأشعر أن المستقبل غير مضمون. من الصعب التفكير بالعودة إلى

^{١٥٠} صالح من مواليد عام ١٩٦٤. أجريت مقابلة معه في ٤ حزيران /يونيو ١٩٩٥.

فلسطين. وتراؤنني أحيانا التساؤلات عن جدوى البقاء هنا مقابل العودة إلى لبنان، وهذه التساؤلات تزيد من قلقى اليومي".

وكم صالح، ولد خليل عيسى^{١٥١} في مخيم بعلبك لللاجئين في لبنان وجاء إلى الدنمارك عام ١٩٨٩. تخرج خليل من قسم الهندسة في جامعة فولغوغراد، والحياة في الدنמרק بالنسبة له جيدة وسليمة في آن معا. قال: "يوجد هنا نوع من الأمان المعيشى لكنى أشعر أن هذا الأمان يضر بمستقبلنا لأنه يعني أنه من شبه المستحيل أن نجد عملاً هنا. وهناك عامل نفسي أيضاً يؤثر في تصوري السلبي للحياة هنا. أشعر بأن السنوات التي قضيتها في الدراسة أصبحت دون قيمة. عدت إلى نقطة الصفر. من الأسهل على من لم يتعلموا أن يجدوا عملاً. أشعر بأنني غريب. حاولت البحث عن عمل وقيل لي أنني لا أتكلم الدنماركية بشكل جيد. وبما أنني لم أتى إلى هنا في صغرى فمن الصعب علي التمكن من اللغة الآن".

ولد صقر^{١٥٢} في لبنان وعمل مدرساً لمدة خمسة عشر عاماً، ثم انتقل للعمل في نفس المهنة في الكويت لمدة خمسة أعوام قبل أن ينتقل إلى الدنמרק في العام ١٩٨٩. وبعد عامين من العيش في الدنמרק حاول العودة مع عائلته إلى لبنان لكنه لم يتمكن من ذلك. قال: "من الصعب أن أجد عملاً هنا في مهنتي كمعلم رياضيات، ولذا أفكر في التوجه إلى الأعمال الخاصة. شخصياً، أعتقد أن فقدان العمل، وهي سمة بارزة للمجتمع الدنماركي عامة، لها تأثير مباشر على جماعتنا. الملل عموماً يقتل حس المبادرة، والعمل وحده يساعد الناس على التفكير والتطور. على المرء أن يتمكن من اللغة أولاً ومن ثم يكتسب مهارات تقنية، الخ. لكن الأجنبي حتى عندما ينجح في كل هذا سيلتقي مشقة في العثور على وظيفة. هذا البلد يمنع الناس من الانخراط في الحياة الاجتماعية".

يعيش في سوريا اليوم قرابة ١٦،٠٠٠ لوجي، ويشمل هذا العدد حسبما يفيد ناصر عطوانى، حوالي ١،٠٠٠ شخص في مخيم النيرب وعين التل (حدرات) بقرب حلب، وقرابة المائة شخص في مخيم العائدين في حمص.^{١٥٣} ويعيش غالبية اللاجئين في سوريا في مخيم اليرموك في دمشق. يتمتع اللاجئون الفلسطينيون في سوريا بحقوق مدنية متساوية مع المواطنين السوريين، لكن لا يحق لهم الحصول على مواطنة أو الترشح والانتخاب للبرلمان وللسلطات المحلية.

^{١٥١} خليل من مواليد عام ١٩٦٢. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٣ حزيران/يونيو ١٩٩٥، في

^{١٥٢} صقر من مواليد عام ١٩٥١، لبنان. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٨ آذار/مارس ١٩٩٦، في برلين.

^{١٥٣} العائلات الرئيسية فيها: الكيلاني، بونس، كرزون، شهابي، ياسين،

محمد خير شهابي^{١٥٤} من مواليد عام ١٩٦٨، درس الهندسة لمدة عامين ومن ثم تحول إلى دراسة الأدب الإنكليزي في جامعة حلب، وقد أجبرته ظروفه المادية على البحث عن عمل قبل إنتهاء دراسته الجامعية. قرر العودة إلى دمشق. قال: "حاولت تأسيس عمل خاص. فتحت مكتب هندسة في عثرة لمدة عام وشهرين. وفرت قليلاً من النقود، وعملت في مجال العقارات لكنني لم أوفق في ذلك. فالمنافسة في هذا المجال عالية جداً، ومعظم الذين يستغلون فيه طماعين ويتمتعون بالقليل من المشاعر الإنسانية. فيما بعد عملت في مع أبي في محل بيع المجوهرات. وهذا عمل جيد لكن فيه مشاكل كثيرة".

كانت قصص التمييز قاسماً مشتركاً بين جميع المقابلات التي أجريتها مع لاجئي لوبية، بما فيهم المهجّرين في داخل إسرائيل. قال أحمد حجو: "أصوات في العادة للجبهة التقدمية لأنها تعمل بجد من أجل حقوقنا كأقلية. فلولا الضغط الذي وضعوه على السلطات الإسرائيلية لما حصلنا على المساواة لأطفالنا. كان الطفل اليهودي يحصل على مساعدات تفوق ما يحصل عليه الطفل العربي بثلاث مرات".

ويعاني اللوبيون من التمييز في أوروبا أيضاً. جواد^{١٥٥} يعيش في [] وقد درس لمدة عامين في مينسك في الاتحاد السوفييتي سابقاً لكنه لم يتمكن من إكمال دراسته. وحين لم يسمح له بالعودة إلى لبنان جاء إلى الدنمارك في العام ١٩٨٧. قال: "يُفضلون تشغيل الدنمركي على الأجنبي، وحين تحصل مشكلة يوجهون اللوم مباشرة إلى الأجنبي. سمعت في الراديو أن ٦٧٠٪ من السارقين هم أجانب. جريدة إكسترا بلايت تترقب أفعال الأجانب واللاجئين. العنصرية موجودة في كل مكان، في الشوارع وفي الملاهي وفي سوق العمل".

وجه جواد اللوم "بعض السياسيين الذين يستغلون مسألة اللاجئين لمصالحهم الذاتية. إن ما يخيفني هو استعمالنا ككبش فداء، ففي كل مرة يجرؤون فيها انتخابات بلدية أو برلمانية تبدأ بسماع تحذيرات حول تقليص المساعدات الاجتماعية وما شابه. سمعت أيضاً أن امرأة باكستانية اسمها لبنى إليبي لم يسمحوا لها بتولي منصبها في البلدية رغم فوزها بالانتخابات".

^{١٥٤} أجريت مقابلة مع محمد خير شهابي بتاريخ ٢١ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٨، في مخيم البرموك، بدمشق.

^{١٥٥} جواد من مواليد عام ١٩٦٢. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٣ حزيران/يونيو ١٩٩٥، في []، بالدنمارك.

يُشعر صالح أن التمييز ناتج عن "بعض الأشخاص الضعفاء"، وأضاف: "أعتقد أن المسألة الاقتصادية هي الأساس في ظهور هذه العنصرية بين الحين والآخر في الجدال العام". حصل معي مرة أن هاجمني شخص في الباص من دون سبب فوق سائق الباص في وجهه. وأسمع عن قصص مشابهة تحصل مع أصدقائي".

قال آخرون إن الشكاوى من العنصرية مبالغ فيها أحياناً. قال خليل: "توجد العنصرية لدى إطار محدود لا تخجل من كونها عنصرية". وقالت نجاح^{١٥٦}، وهي أم لخمسة أطفال تعيش في كوبنهاغن: "إن الدنمرك مكان جيد بالنسبة لنا؛ سمعت عن العنصرية، لكنني لم أواجهها مباشرة". أما جلال^{١٥٧} الذي انتقل إلى الدنمرك في العام ١٩٨٦ بعد قضاء فترة في ألمانيا، فقال: "في الدنمرك يمكنك على الأقل تقديم شكوى في حال تعرضك للعنصرية!"

تحدث لوبانيون آخرون عن أثر القيود المفروضة على حرية عائلاتهم في التنقل. مازال من الصعب على الفلسطينيين رؤية بعضهم البعض بسبب القيود المفروضة على حرية التنقل داخل العالم العربي، وعلى السفر إلى إسرائيل وأوروبا. هذه القيود هي نتاج لسياسة تمارس ضد اللاجئين الفلسطينيين، وكذلك لوضع اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي^{١٥٨} الذي ترك معظم اللاجئين من دون حماية مناسبة، بما يشمل وثائق السفر الملائمة.

تحدث صقر عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين جاءوا من مخيمات اللاجئين في لبنان. قال: "يتوجب على العائلات الفلسطينية السفر مع أطفالها إلى السويد والمكوث يومين من أجل إجراء المعاملات في السفارة اللبنانية هناك، هذا فيما عدا الرسوم التي تجبى منهم". وتحدث عدد من الشبان الفلسطينيين من لوبية عن تجارب مشابهة.

أكرم^{١٥٩} انتقل إلى الدنمرك مع أمها وأختيه الصغيرتين في العام ١٩٩١ من مخيم الجليل في لبنان، وكان عمره أربعة عشر عاماً حين أجريت مقابلة معه. قال: "دعني أخبرك كيف يتعاملون معنا هنا كلاجئين. في آذار من هذا العام، أرددت الذهاب في رحلة مع نادي التزلج في المدرسة إلى الجمهورية التشيكية، وبما أنه كان علينا اجتياز المائية، توجهت إلى السفارة لطلب فيزا فرفضت لأنني أحمل وثيقة سفر لبنانية. جاءت المعلمة معى إلى

^{١٥٦} نجاح من مواليد عام ١٩٥٤. أجريت مقابلة معها ومع زوجها عدنان بتاريخ ١٨ أيار/مايو ١٩٩٥ في كوبنهاغن، بالدنمرك.

^{١٥٧} جلال من مواليد عام ١٩٦٨. أجريت مقابلة معه بتاريخ ٣ حزيران/يونيو ١٩٩٥ في الدنمرك.

^{١٥٨} للمزيد حول هذه المسألة انظر: Lex Takkenberg, *The Status of Palestinian Refugees in International Law*. Oxford: Clarendon Press, 1998.

^{١٥٩} أكرم من مواليد عام ١٩٨١. أجريت مقابلة معه بتاريخ ١٠ أيار/مايو ١٩٩٥ في كوبنهاغن، بالدنمرك.

السفارة مرة ثانية ولكنهم قالوا لها نفس الشيء، فقررت أن تصطحبني بالطائرة لكي
تجنب قطع الحدود الألمانية".

لمى^{١٦٠} أخت أكرم الكبيرة واجهت مشاكل مشابهة عندما أرادت ترتيب سفرها في رحلة مدرسية. قالت: "في نيسان/أبريل الماضي كنت استعد لرحلة مدرسية إلى الجمهورية التشيكية وتوجهت إلى السفارة الألمانية للحصول على فيزا، لكن طلبي رفض ثلاث مرات. أعادوا إلي وثائق اللجوء وسألوني بسخرية إن كان لفلسطين وجود على الخارطة. ذهب أولاد صفي في الرحلة من دوني. أختي يسرى، على كل حال، نجحت في الحصول على فيزا إلى لندن في نيسان".

قال جواد: "ما زال أشخاص عاشوا هنا منذ عشرين عاماً يوقفون في المطارات كلما عبروا لأن منظرهم مختلف، وحين تجد عملاً يدفعون لك الحد الأدنى. عندما احتججت قالوا لي إنه بإمكانني البقاء في البيت. لا يشجعوننا على العمل أو استكمال التعليم، وهذا يرهقني نفسياً. أفضل حل هو أن نعود حيث جئنا. وبما أنه من الصعب أن نعود إلى لبنان، من الأمثل أن نستعيد وطننا فلسطين".

تصعب قيود السفر على الكثير من العائلات المنتشرة بين دول عديدة وقارات، العيش معاً أو رؤية بعضها البعض. قاسم^{١٦١}، مثلاً، انتقل إلى الدنمارك من سوريا في العام ١٩٩٠، وعمل منظفاً لمدة عامين لأنه لم يستطع الحصول على عمل في اختصاصه في مجال برمجة الكمبيوتر. ثم لحقته زوجته ودخلت الدنمارك بصفة غير قانونية ووضعت مولوداً هناك، وهي تنتظر حالياً إعادتها بعد رفض طلبها بالبقاء.

قال: "ولدت مثل أخواتي وأخوانتي الالاتي عشر في مخيم لاجئين في سوريا دون وثائق ثبوت. أشعر الآن أن الدنمارك هي بلدي بعد فلسطين. أسعى جاهداً لأن أجتمع مع زوجتي وهي من أوكرانيا، لكن الأمر صعب جداً بموجب القوانين الدنماركية. يجب أن يكون معاشك ١٣،٠٠٠ كرونر على الأقل لكي تحصل على الحق في التوحد مع شريك حياتك. حتى حين كنت أعمل لم أحصل على مثل هذا المبلغ، لم أعرف ماذا أفعل أكثر، اشتريت بيتي في كوبنهاغن وهياً نفسي لإعالة زوجتي".

^{١٦٠} لمى من مواليد عام ١٩٧٩، أجريت مقابلة معها بتاريخ ١٠ أيار/مايو بتاريخ ١٩٩٥، في كوبنهاغن.

^{١٦١} قاسم من مواليد عام ١٩٦٥.

عاش نايف حسن معظم حياته في الأردن بانفصال عن والديه وأخواته وإخوانه بعد عام ١٩٤٨ يوجد في الأردن قرابة ٣،٥٠٠ لobi، وكثير منهم ما زالوا يحملون أسم عائلتهم من لوبية، مثل الصمادي، واللوباني، والحمزات. يحمل غالبية اللاجئين الفلسطينيين في الأردن مواطنة أردنية.^{١٦٢} كنت على اتصال دائم بنایف حين كنت أعيش في الأردن وكنا على خلاف دائم في وجهات النظر حول الكفاح المسلح كوسيلة للتحرير.

توفي نايف في العام ٢٠٠٢ في عمان بعيداً عن عائلته المنتشرة بين لبنان وسوريا وفلسطين، وكانت قد ساعدته قبل وفاته بوقت قصير على إجراء اتصال هاتفي مع أخيه يوسف عيسى، الذي لم يره منذ أكثر من ثلاثين عاماً. توفي بعدها بعامين، وللأسف لم يفلح أخيه يوسف بالحصول على تأشيرة دخول إلى الأردن لكون الأخرين يحملان أسماء عائلة مختلفة.

أما محمد الكيلاني وهو مواطن إسرائيلي فكان المكان الوحيد الذي يستطيع لقاء أقاربه فيه هو أوروبا. "زرت برلين في ٢٥ تموز/يوليو مع زوجتي وأبني. أردت رؤية قسماً من عائلتي لم أره منذ عام ١٩٤٨. كان بانتظارنا أكثر من خمسين شخصاً، كانوا قد دعوا فلسطينيين من مناطق مختلفة، مثل صفد وطبريا والمثلث. أقاموا المولد، ومن ثم تعارفنا. بقينا هناك أربعين يوماً".

الاندماج:

الاندماج هو مشكلة أخرى تطرق إليها اللوبيون في المنفى. في الدنמרק، كما في باقي البلدان الأوروبية، أصبح الاندماج اللاجئين في المجتمع موضوعاً يهم السياسيين والإعلاميين وليس الأخصائيين الاجتماعيين وحدهم. الفلسطينيون هم من المجموعات التي تجد من العسير عليها الاندماج في المجتمع الدنمركي، وكذلك الحال في برلين بالرغم من النجاح الاقتصادي الذي حظوا به هناك.

يحمل الاندماج تخوفاً من الانفتاح على المجتمعات التي يتواجد فيها اللاجئون. وينتج هذا برأيي عن الانقطاع الذي حصل في حياة اللاجيء الفلسطيني وجوده المطول في المنفى،

^{١٦٢} تعود بداية هذه العلاقة الفلسطينية-الأردنية الخاصة إلى مؤتمر أريحا عام ١٩٥٠ الذي تم خوضه عليه قرارضم الضفة الغربية إلى الأردن إبان حكم الملك عبد الله. وقد تعرضت هذه العلاقات لازمة عبءة بين عامي ١٩٦٨-١٩٧١ خلال نشاط المقاومة الفلسطينية في الأردن. في أيلول عام ١٩٧١ هاجم الجيش الأردني القوات الفلسطينية وهزمها وأنهى حقبة إشكالية كان فيها سلطتان في البلد. في العام ١٩٨٨ اتخاذ الملك حسين قرار فك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية.

المصهوب بثقيلات اجتماعية وأعاصير السياسية التي ما ببرحت تحصل على نحو روئيني. إن انتهاكات حقوق الإنسان والأعمال الفظيعة التي ترتكب بحق اللاجئين الفلسطينيين من طرد وإساءة معاملة، تشكل صدمات نفسية عميقة للعائلة وتنقل أثارها إلى الجيل الثاني والثالث.

الكثير من اللوبيين الذين قابلتهم قلقون إزاء مستقبلهم في المنفى، وقلفهم هذا يعكس المصاعب التي تواجه عائلاتهم في التغلب على مشاكل الاندماج في المجتمعات الجديدة التي يعيشون فيها. قال جواد: "إن الدنמרק مكان جيد على الصعيد الاجتماعي. لكنه ليس المكان الأفضل لنا على المستوى البعيد. الديمقراطية هنا جيدة للدنمركيين ونحن لسنا جزء منها. ما زالوا ينظرون إلينا كغرباء بالرغم من تحصيلنا العلمي وحياتنا على مواطنة دنمركية. تم قبولنا في هذا البلد كجزء من عملية سياسية، وليس كعمل إنساني. يتعاملون معنا كأحجار في لعبة الشطرنج".

وأضاف: "يوجد بعض الدنمركيين الذين يعرفون قصتنا جيداً، لكنهم يرفضون تفهم ثقافتنا المختلفة. أعمل مع الصليب الأحمر وعندى أصدقاء دنمركيين عديدين، لكن علاقة الصداقة معهم تنتهي بمجرد أن نترك مكان العمل. أعتقد أنه من الصعب جداً الاندماج في المجتمع الدنمركي. طالما لديك لون البشرة الخطا فأنت أجنبي. مثلاً، إذا كان لديك سيارة فإنهم يسألونك من أين لك هذا؟ يتحمل الإعلام المسئولية الأكبر عن المشاكل التي يواجهها الأجانب في الدنמרק".

وقد تحدث محمد خير عن تحفظات مشابهة في سوريا. قال: "نحن كشعب ليس لدينا جذور في هذا البلد. حاول بناء مستقبلنا لكن حياتنا مليئة بالمخاوف بسبب الأوضاع السياسية. تأثر علينا بأيديولوجيات كلها فشلت وتركت أثراً كبيراً في نفوسنا، فانخرطنا في العمل للتغلب على الفراغ والإحباط المتولد عن هذا الفشل، بعض أصدقائي هاجروا للبحث عن حياة أفضل. وظلت غالبيتنا من دون زواج بسبب عدم الاستقرار في حياتنا. حاولنا التعويض عن الخسارة بالانضمام إلى النادي وتطوير هوايات جديدة، لكن بها خسرناه أكبر بكثير من أن يعوض".

أدى القلق المتولد عن إشكالية الاندماج بالكثير من اللوبيين إلى البقاء بالقرب من بعضهم البعض، كما كان الحال في مخيمات اللاجئين في الدول العربية. قال جواد: "من الطبيعي جداً أن يعيش اللاجئون والمهاجرون بالقرب من بعضهم بسبب الخوف. في العام ١٩٨٨

عشت أولاً في تيكت في هسينغور، ومن ثم اضطررنا على الانتقال إلى هورنابيك، وجيليليجي وغراسيد. كان المحليون يخافون منا، خاصة عندما يقرعوا علينا أموراً سلبية في الجرائد.^{١٦٣}

وقال خليل: "أعتقد أن اللاجئين يسكنون بالقرب من بعضهم البعض؛ الأول هو أن الدنمركيين لا يحبون الاختلاط معهم، والثاني هو أن غالبيتهم فاقدون للعمل. والتقارب من بعضهم البعض يخفف من معاناتهم ويشعرهم بالسلوان". وقال صقر: "من ناحيتي، لا يأس في أن تعيش العائلات معاً، فأنا لا أعتقد أن هذا يخلق غبن بالضرورة، والاعتقاد بغير ذلك هو بمثابة الواقع في العنصرية. فهذه العائلات يسيطرها العيش المشترك، وهذا ذلك فإنه من الصعب التواصل مع الدنمركيين".

معظم اللوبيون، وخاصة في أوروبا، يشعرون بمعضلة الحفاظ على تفاوتهم في حال الانفتاح على المجتمع الضيف. قالت بسمة^{١٦٤}، وهي زوجة صقر: "ليس لدى الدنمركيين علاقات عائلية مثلنا، والعائلة الموسعة غير موجودة عندهم. إنهم منفتحون جداً، بينما نحن منغلقون بشكل ما. أمل فعلاً بأن نجد حلولاً دائمة للمشاكل بيننا وبين الدنمركيين، فلا نعود نشعر بأننا أجانب ولاجئين. علينا أيضاً أن نجد قاسماً مشتركاً بيننا وبينهم".

قال خليل: "أريد لأطفالى الاندماج بالمجتمع الدنمركي، لكنى أريدهم أن يتعلموا العادات والتقاليد ويحافظون على ديانتهم. وهذه عملية صعبة على الجهتين، فمن الصعب الانسجام بين التفاوتين. سمعت عدة مرات من خلال وسائل الإعلام أن دنمركيين كانوا قد نقلوا أولادهم من مدارس معينة بسبب دخول عدد كبير من أولاد اللاجئين أو المهاجرين إليها. يدعى الدنمركيون أنه حين يحصل مثل هذا الأمر ينخفض مستوى التعليم في المدرسة. لكن هذا غير صحيح. أنا أريد لأولادنا الالتحاق بمدارس دنمركية وليس عربية أو إسلامية منعزلة. وفي نفس الوقت سيكون من الجيد تخصيص ساعات خاصة لتعليم اللغة العربية والدين".

فداء في الثلاثينيات من عمرها وكانت قد انتقلت إلى الدنمارك عام ١٩٨٩. قالت: "أدرس الآن الصيدلة في الجامعة، وكان ذلك صعباً في البداية لأنه كان علي أن أبذل جهداً أكثر من الدنمركيين كي أصل حيث وصلت. حصلت على علامات جيدة في امتحانات المرحلة الثانوية. ليس عندي علاقات بالدنمركيين في الجامعة وأشعر أحياً بوجود أحكام مسبقة

^{١٦٣} بسمة من مواليد عام ١٩٦٥، في لبنان. أجريت مقابلة معها عام ١٩٩٥ في أرهوس، بالدنمارك.

إن فشل الحركة الوطنية ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وموجات المهاجرة الجديدة بعد مجازر تل الزعتر^{١٦٤} وصبرا وشتيلا^{١٦٥}، دفعت بغالبية الشبان إلى البحث عن ملجاً آمناً، ليس بالمفهوم الجسدي فقط، إنما أيضاً في الدين، بالمفهوم التقافي. الإسلام بالنسبة لهؤلاء يعطي الشاب أملاً جديداً وقوتاً على مواجهة الإحباط والخوف، ويمنعه من الوقوع في اليأس عبر تغذية هويته الجماعية، خصوصاً في بلدان كالدنمارك والسويد وألمانيا حيث لا ينفك المهاجرين للروابط الثقافية مع البيئة الأوسع التي يعيشون فيها.

قال عدنان^{١٦٦}: "الدنمرك برأيي مكان جميل للعيش فالدنمركيون كرماء وينتظمون معنا حسناً، لكن عاداتهم وتقاليدهم بطبيعة الأمر مختلفة عن عاداتنا وتقالييدنا، خاصة في نمط حياة الشبان والصبايا. نحن نرحب أن ينشأ أبناؤنا على التقاليد الإسلامية". ووافقت نجاح زوجها في الرأي. قالت: "نفضل التقاليد الإسلامية ونريد من أطفالنا الحفاظ عليها. الناس هنا أحبرار وما من أحد يجرّبنا أن نغير ديننا. إننا نعيش هنا أفضل من الذين يعيشون في لبنان والدول العربية".

قال صالح: "التيار الإسلامي منتشر بين الناس لأن الأيديولوجيات الأخرى قد فشلت". الدين آلية آمنة لا تحتاج للكثير من القوة والذكاء لتحليلها. الدين هو أقرب وأسهل الوسائل

¹⁶⁴ انتشار مخيم تل الزعتر في العام ١٩٤٩ في القسم الشمالي من بيروت الذي أصبح فيما بعد شرق بيروت، أي المنطقة التي كانت تسيطر عليها الأطراف المسيحية إبان الحرب الأهلية (١٩٧٥-١٩٩٠). تعرض المخيم لمجزرة ونمار واسعي النطاق في بداية الحرب الأهلية. مازال الدمار في المخيم قائماً إلى اليوم ولا يسمح ب إعادة بنائه. انتقل بعض سكانه إلى موقع مجاور وهو يعيشون متفرقين، لكنه لا يزال يمثل أحد أحياء بيروت.

وهم يعيشون خنادق في الواقع من الصفيحة، غير معترف فيها رسمياً من قبل الأوروبا،^{٦٥} وفي الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، بعد عشرة أيام على خروج منظمة التحرير من بيروت، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون، مهندس انتصارات إسرائيلية للبنان عام ١٩٨٢، بأن هناك ٢٠٠٠، ما زالوا مختبئين في المخيمات الحبيطة ببيروت، وفي يوم الأربعين الواقع في ١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، بعد يوم واحد على اغتيال بشير الجميل، رئيس المجلسين المسيحيين المتألفة مع إسرائيل ورئيس لبنان المنتخب، اجتاحت القوات الإسرائيلية غرب بيروت وحاصرت مخيماً صبراً وشاتيلاً المأهولين بمدنيين فلسطينيين وليbanيين وزعلهما عن العالم الخارجي بواسطة الدبابات والجنود ونقاط التفتيش الموضوّعة في مواقع استراتيجية للتحكم بحركة النحول والخروج من المخيمين. وفي ظهيرة ذلك اليوم بدأ قصف المخيمين واستمر القصف حتى السادسة، وفي منتصف النهار التالي، ١٦ أيلول، اقتحم المخيم قرابة ١٥٠ مقاتلاً من قوات القيادة المتألفة مع إسرائيل، وخال الأربعين ساعة التالية قامت هذه القوات باغتصاب وقتل وجرح عدد كبير من المدنيين العزل في المخيمين. تتراوح تقديرات الضحايا بين ٧٠٠ (لتدمير الإسرائيلي) و٣٥٠، لم يحظ ضحايا هذه المجازرة بالي تحقيق قانوني، اشتات إسرائيل لجنة تحقيق تعرف بلجنة كاهان وأصدرت تقريراً، لكن اللجنة كانت من غير صلاحيات قانونية. للمزيد من المعلومات

¹⁶⁶ عدنان من مواليد عام ١٩٤١. أجريت المقابلة معه ومع زوجته نجاح بتاريخ ١٨ أيار / مايو ١٩٩٥، في كوبنهاغن، بالدنمارك.

للوصول إلى الراحة النفسية والتخلص من الشك. أصبح من الصعب على الناس عامة تقبل الإيديولوجيات، بينما يمكن للدين أن يجمع أفراد العائلة والمجتمع كله بسهولة. الدين يعطينا جواباً على خصومنا، لذا تجد عمليات حزب الله قبولاً ودعمًا بين الناس".

وقال صقر: "إن الحركة الإسلامية تزداد قوة في ظل الصحوة الدينية. لكن هذه الحركة متناقضة تماماً مع واقعنا. ثمة ثلاثة أو أربع نزعات تتنافس فيما بينهما في التأثير على المجتمع الفلسطيني. إننا بحاجة إلى حركات غير دينية تساعدنَا في حل مشاكل الحياة الحقيقة بموجب القانون الدنمركي. نسبة الناس الذين يميلون إلى الدين آخذة بالارتفاع. أستطيع القول أن أكثر من نصف المجتمع يتجهون إلى الدين. وينتظر ذلك برأيي عن التناقضات التي نعيشها في الدنמרק. فالناس يتوجهون إلى الدين بالأساس من أجل الحفاظ على هويتهم وشخصيتهم الفلسطينية. ظاهرة الدين متصلة بالظروف الاجتماعية".

وتتابع صقر: " علينا ألا نخاف من الاندماج على الرغم من الفروق القائمة بيننا وبين الدنمركيين. أعتقد أن الدين يقف عائقاً أمام الاندماج، لكن أطفالنا هم عmad المستقبـل وفيهم يمكن الأمل في عملية اندماج ناجحة. وقال صالح: "إن الاندماج الكامل مستحيل، لكن التعايش السلمي هو أفضل الحلول لتجنب التهميش. إذا كان معنى الاندماج أن أصبح دنمركي، فذلك ليس صواباً. يجب أن نبحث عن قواسم مشتركة بيننا ونصل بغيرانا خطوة أولى. لدينا اليوم فرصة عيد الأضحى. أنا أجد ذلك فرصة جيدة لللتقاء بغيراني الدنمركيين وتوزيع كعك العيد عليهم والتحدث إليهم عن معنى هذه المناسبة بالنسبة لنا. يجب أن نفهم أطفالنا أن البيئة التي نعيش فيها ليست معادية لنا. فـإسرائيل غير موجودة هنا".

أجريت أثناء بحثي في أوروبا عام ١٩٩٦ مقابلة مع ثلاثة لوبين من الدنמרק، هم صالح وصقر وطارق، كانوا يزورون أصدقاء لهم في برلين. وقد تمحور الحديث حول مسألة العلاقات العائلية والدين والاندماج. جميعهم في الأربعينات من أعمارهم، كانوا ناشطين في الحركة الوطنية، وتركوا بسبب الهزيمة والإحباط ومن أجل البحث عن حياة أفضل. إلا أنهم ما زلوا يتأنجون بين تجارب الماضي وآمال المستقبل.^{١٦٧} طارق وصالح هما رجال أعمال، أما صقر فهو معلم.

^{١٦٧} أجريت المقابلة مع صقر وصالح وطارق، بتاريخ ٨ آذار / مارس ١٩٩٦، في برلين، بألمانيا.

أورد فيما يلي مقتطفات من هذه المقابلة، وهي إحدى مئات المقابلات التي أجريتها، لأنها تمثل الجدال الدائر والموضوعات التي تطرق إليها عدد كبير من اللاجئين اللوببيين في منتصف أعمارهم.

(انظر ملحق ١٠ - مقابلة مع شبان لوببيين في الدنمارك)

صقر: علينا أن نتعرف على المجتمع الدنمركي وتقاليده جيداً. علينا أن نعرف ثقافتهم وثقافتنا، لكنني كرب أسرة لا أفضل الاندماج الكامل. لن أوفق أن تتصرف ابنتي كما تتصرف البنات الدنمركيات. إذا كانت معندي فلا بأس بذلك، أما أن تكون وحدها فهذا ليس سليماً. أو من بالحرية، لكن ليس بالخروج على القانون والنظام.

صالح: أعتقد أن الاندماج في المجتمع الدنمركي أمر ضروري بين أن نحب ذلك أو لا، وبال مقابل علينا ألا ننسى تقاليدنا؛ علينا أن نعلم أطفالنا أن لنا عاداتنا وتقاليدنا الخاصة.

طارق: [مقاطعاً] كل واحد منا يحتاج إلى ثلاثة عناصر، هي الهوية الوطنية والاستقرار والنقود. فيما يخص العائلة، أعتقد أن ابنتي وابنائك سوف يخرجون يوماً ما للسباحة من دون إذن منا. عليك أحياناً قبول أمور لا تعجبك لأنها جزء من البيئة التي تعيش فيها.

إن انعدام النظام ليس أمراً ثابتاً، فما تعدد أنت خارقاً للعادة قد اعتبره أنا عادياً تماماً. ما هي الأخلاق؟ الأخلاق في سوريا مختلفة عن لبنان. يوجد في سوريا فروق بين كل قرية وقرية. هناك لا يمكن لوالدي أن يتخيّل مشاركة المرأة في الدبكة إلى جانب الرجل، تماماً بخلاف العادة في لبنان.

أريد لأطفالي أن يعروفوا تقاليدهم جيداً وفي نفس الوقت أن يندمجوا في المجتمع الذي يعيشون فيه لأجل الحصول على أكثر ما يمكن من المنافع. أرى أن النساء الثقافات أمر مثل وليس تناقضاً. هذا أمر محسوم في النهاية ومن الأفضل أن نتعامل مع المزعجات اليوم بدل أن تتفاقم غداً ولا ندركها إلا بعد فوات الأوان. ماذا ستفعل إذا أرادت ابنتك الزواج من دنمركي؟

صقر: سأعطيك مثلاً. عندما طلب رجل يد ابنتي رفضت لأنها سوري، بينما وافقت على زواجها من فلسطيني يعيش في الضفة الغربية.

طارق: سألك عن ابنتك، ماذا سيحدث إذا كان لديها صاحب دنمركي؟ هل هذا ممكن؟ أكثر شيء سوف تفعله احتراماً لك هو أن تقول لك إنها تريد الزواج من دنمركي. أنت تحاول التهرب من الإجابة على سؤالي.

صقر: ذلك بالطبع ممكن؛ لكنني لن أكون سعيداً!

طارق: إن الأخلاق في مجتمعنا ذات وجهين وضبابية. علينا أن نسأل إن كانت القيم الأخلاقية ثابتة أم متغيرة بحسب تطور المجتمع؟ أختي منعت من الوقوف على شرفة المنزل، كانت هذه المعايير التي تربينا عليها. نحن اليوم لسنا منسجمين مع ذواتنا، نظهر بوجه ونخفي آخر! وقد جلبنا ذلك معنا إلى بلاد الاغتراب.

هنا لا يعرفوننا جيداً. لقد نسينا هويتنا الوطنية وخلفيتنا الثقافية، ولذا تلعب الحركة الدينية دوراً وجودياً في التمييز بيننا وبين الآخرين. يوجد أكثر من مائة امرأة فلسطينية في ألمانيا تعيش خارج منازلهن وتستعمل المدرارات. إثنا باختصار نواجه أمراً خطيراً، والحل الوحيد هو أن تكون قادرین على التعامل مع الثقافتين المتقابلتين والمتوازيتين التي نعيش فيها.

الأمر الأهم بالنسبة لنا هو المحافظة على علاقات جيدة مع أطفالنا، لكننا لا نستطيع أن نمنعهم من اختيار طريقهم الخاص. يشاهد الأطفال عدد كبير من البرامج على التلفزيون كل يوم، ومن المستحيل وغير العملي أن تختر لهم ما عليهم مشاهدته أو عدم مشاهدته.

صقر: أتفق معك. إذا كبر طفلك بسرعة عليك متابعته عن قرب. وهذا يؤثر إيجاباً بالعائلة كلها. أبي، مثلاً، سيكون سعيداً إذا بدأت أصلني.

طارق: علينا المشاركة في المجتمع وعدم الانزعال، علينا أيضاً ألا نتحدث دائماً عن الأخلاق. ستأقلم أطفالنا مع المجتمع الغربي أفضل هكذا، وسيكون الأمر أسهل عليهم وعلى أبنائهم. سافرت ابنتي إلى النمسا وحدها، وآخر مرة التقىت بها أختي عن العادة الشهرية وكيف تؤثر فيها نفسياً وجسدياً. في مجتمعنا لا يمكن لفترة في الثالثة عشر أن تتحدث مع أبيها عن هذا الموضوع. كنا نخاف ونخجل من التحدث في هذه المواضيع في مجتمعنا.

وجب علينا الآن تحكيم عقولنا بدل عواطفنا. إننا نعيش في بيئه جديدة ونظام جديد ولذا
وجب علينا أن نفكر بأساليب جديدة. ابنتي عمرها اثني عشر عاما وأمها ألمانية، طلبو
مني أن نسافر إلى سوريا لكي تتعقب معرفتهم بالعائلة وبالجذور. ابنتي تسعون بالمائة
المانية وأنا أقول ذلك بمزاج من خيبة الأمل والحزن. لكن اسمها فلسطين.

أكثر ما يمكنني أن أحصل منها هو تفهمها ودعمها القضية الفلسطينية وعدم نسيان نصفها
الفلسطيني. إني سعيد أنها تحب القراءة مثلي ولا تستعمل المخدرات، لكنها لن تخرط
أيضا في كتاب عز الدين القسام: علينا أن نعمل في المجالات المتاحة لنا والموجودة
حولنا. لماذا لا نتواجد في البلديات أو البرلمان؟

صالح: أرى أنني تغيرت كثيرا في العامين المنصرمين. وحتى علاقتي بزوجتي تغيرت.
كانت علاقاتنا بنسائنا كعلاقة صاحب عمل بعد، وهي اليوم ليست كذلك.

صقر: علينا التمييز بين "ربيع في الهواء" والتطور الطبيعي والتريجي. لن أقبل مثلاً أن
تذهب ابنتي إلى الديسكو أو تسبح عارية.

طارق: نحن تربينا بشكل مختلف. ابن صديق لي سأل أباًه لماذا نؤدي الصيام في رمضان
كل عام؟ فأجابه الأب: لكي نشعر مع الفقراء. فقال الطفل: العام الماضي فهمت رمضان
وأبيته، ألا يكفي؟ وإذا بقينا نعطي الفقراء نقودا هل سيصبحون يوماً ما أغنياء فتوقف عن
الصيام؟ ثم شرح له الأب أن إحدى الفرائض الواجبة على المسلم هي أداء رمضان. ابنتي
الآن في الثانية عشر من عمرها وتحدثي عن الديانات المسيحية واليهودية كما تحدثي
عن الإسلام.

صقر: أنا شخصياً رفضت أن أرسل ابني إلى دروس الديانة المسيحية في المدرسة
الدنماركية. إننا محاطون تسعون بالمائة بفلسطينيين ولا أريد أن يتعلم ابني الديانة
المسيحية!

صالح: لما لا؟ سألني أبني ذات الشيء وقلت له يمكنه الالتحاق بحصة الديانة المسيحية.

صقر: أنت ترسل ابنك إلى مدرسة دنماركية بينما أرسل أنا ابني إلى مدرسة عربية. الوضع في منطقتنا مختلف، ونظام المدارس مختلف. يخصصون أسبوعاً كاملاً في العام لتعليم الديانة المسيحية، لكن ما من فلسطيني يشارك في هذه الفعالية.

صالح: أعتقد أن الخوف من التأثير بالبيئة المحيطة يمنعنا من التمتع بالحرية التي نريدها ونحتاجها. سمعت أن أباً سأل ابنته عنهم هم الأعداء برأيه، فأجاب الولد: المسيحيون.

صقر: هذا أمر مخجل! لكنني حين أكون في زيارة اجتماعية ويبدأ الحاضرون بالصلة أشعر بالحيرة. في البداية يقبل المرء المسألة كما هي، لكن فيما بهد يراوده السؤال: لماذا لا أفعل مثلهم!

طارق: هذا منطق القوي والضعف. لماذا لا نشدد على قيمنا الثقافية بدلاً من التشديد على الدين؟ لا يجب أن يكون الدين هو العلامة الفارقة بيننا وبين الأوروبيين. علينا أن نشدد على إرثنا الحضاري في الموسيقى مثلاً. علينا أن نعزز معرفتنا بالتاريخ بدل النكوص دوماً إلى موضوع الأخلاق والدين. يجب أن نبدأ بالتفكير بالتصريف بشكل إيجابي. لم يعد مقبولاً أن نجلس مكتوفي الأيدي ونقول إنه ليس عند الأوروبيين أخلاق مثناً! هذا أصلاً غير صحيح.

صقر: في البيئة التي أعيش فيها يعتقد البعض أن دخول الكنيسة محرم على المسلم، بينما دخول المسجد مسموح للمسيحي! أريد أن أعلم ابني اللغة العربية، وإذا أرسلته إلى مدرسة دنماركية سيصاب بالإحراج خاصة وأن عليه كمسلم أن يتعلم المسيحية. لن أقبل أن يتعلم ابني المسيحية بالرغم من أفكاره التقديمية والثورية. افترحت عليه أن يدرس موضوعاً جديداً ومفيداً كتاريخ الإسلام في أسبوع الديانة المسيحية بدل أن يترك الوقت فراغاً. يوجد مدرسة عربية لكنها ليست جيدة، وحتى الأشخاص المتباهين بدأ الكثيرون منهم بتجنبها، فهي لا تقدم فعاليات خارجة عن المنهاج التعليمي كالسباحة ودورس الموسيقى.

•

صالح: جميع أولادي تعلموا الديانة المسيحية في المدرسة ولا أجد ضرراً في ذلك. أعتقد أن مستقبلهم سيكون أفضل من مسكنينا. جربنا حياة اللاجئين في لبنان؛ أن تكون لاجئين في الدنمرك أفضل لنا. أطفالنا هنا بعيدون عن المخابرات وأجهزة الأمن التي تجعل حياتك لا قيمة لها. هنا يشعر المرء بالأمن بعيداً عن الأزمات السياسية المتكررة التي تصيب منطقتنا. طالما أن المرء يحترم القانون هنا يظل محترماً ويعيش بسلام.

بالرغم من المصاعب العديدة التي تواجه اللوبين في المنفى، وبالرغم من غياب الحلول الدائمة لطردتهم وسلبهم، يقوم الكثيرون بخطوات للاندماج في مجتمعات المهاجر، وفي ذات الوقت يظلون جزءاً من شعب ما زال يسعى لنيل مكانته المتساوية بين الشعوب. فمن جهة، تزدهر الشبكات الاجتماعية في الدنمارك وبرلين والنرويج وبريطانيا والسويد، ومن جهة أخرى، تزداد جمعيات حق العودة.

حاول صلاح أن يحدد التحديات التي تواجه اللوابة في الدنمارك والخطوات العاجلة التي يتوجب اتخاذها من قبل اللاجئين. قال: " علينا أولاً أن نناقش الموضوع فيما بيننا قبل أن نفتحه مع الدنمركيين. مثلاً، علينا أن ننظم في اتحادات وجمعيات ونجد وسائل تواصل. ثانياً، علينا نحن اللاجئين جميعاً أن نتعلم اللغة الدنماركية من أجل تحسين فرصنا في العمل. ثالثاً، يجب أن نستمر بعقد اجتماعات مع الدنمركيين لكي يظلو على اطلاع مشاكلنا وبمستجدات الأمور لدينا ولكي نحصل على الدعم من المتعاطفين معنا. علينا أن نأخذ زمام المبادرة وأن لا ننتظر حتى يبدأ الآخرون بطرح قضيتنا بالنيابة عنا. علينا أن نتعلم من تجربة أولئك الذين جاءوا إلى الدنمارك قبلنا".



سليمان الحصري



The center of Lubya nowadays: a picnic & a park for tourists.



Afforestation: the process to erase all traces of Lubya's existence.

الخلاصة

مر قرابة عقد من الزمن منذ أن وطأت قدمي أرض لوبية لأول مرة، وقد شكلت تلك الزيارة نقطة نهاية وبداية في آن معاً لسلسلة طويلة من الرحلات والبحث. فقد كانت نهاية رحلة من مخيم ويقل للاجئين في لبنان إلى بلدي الأصلي لوبية مررت خلالها بمناف عديدة، وكانت في نفس الوقت فاتحة رحلات أخرى قمت بها بحثاً عن أهل لوبية في القرى الجليلية القريبة، وأبعد من ذلك -- في مخيمات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة، وفي مدن وسط وشمالي أوروبا.

لم تكن عملية تجميع تاريخ لوبية بعد عقود على التهجير مهمة سهلة، فهي تشبه إعادة تركيب قطع فسيفساء مبعثرة، بعد خمسة عقود ونصف ثمة أجزاء من تاريخ لوبية وحياتها الاجتماعية والثقافية لا يمكن استرجاعها. فقد خرج اللوبيون من قريتهم عام ١٩٤٨ بحثاً عن ملجاً آمن تاركين القليل من الوثائق المكتوبة. وقد توفى العديد من اللوبيين المسنين الذي قابلتهم خلال عقد من الزمن، آخذين معهم أجزاء لا تستعاد من تاريخ لوبية.

إلا أنّي اكتشفت خلال رحلاتي في البلاد العربية وأوروبا و مقابلتي مع اللوبيين من الجيل الأول والثاني والثالث، أنّ ثمة ذكريات مشتركة بينهم جمّعاً عن نواحي الحياة المختلفة في القرية، من التاريخ إلى المشهد المادي والسكان، إلى الحياة الاجتماعية والثقافية المرحة. وفي نفس الوقت، فإنّ تجربة التهجير وفقدان البيت والأرض والوطن وحياة المنفى تؤثر بعمق في ذاكرة اللوبيين الفردية والجماعية، وتتصبح جزء لا يتجزأ من هويتهم. إنّ التذكر هو وسيلة لمكافحة الظلم الناتج عن الاقتلاع قسراً عن الأرض والأهل والبلد، فهو يديم الرابطة بين اللاجئين وبين المكان الذي مازالوا يعتبرونه بيتهم رغم أكثر من خمسة عقود على المنفى.

يزعم البعض بأنّ الذكرة تعود للماضي وتعيق المستقبل. يقول هؤلاء إنّ الوقت لا يرجع إلى الوراء وإنّ على الفلسطينيين أن ينفّضوا عبء الماضي عنهم رغم كلّ ما جرى لهم من أمور مؤسفة. لا شك أنّ الذكرة هي جزء من الماضي، وتذكر الحياة الاجتماعية والثقافية في القرية والأرض والصخور والحقول والمعايير والحساب، يفرغ الأسطورة القائلة بأنّ السكان الفلسطينيين الأصليين كانوا غير متدينين وبدائين -- وهي أسطورة استخدمت لتضفي الشرعية على طرد الفلسطينيين والحيازة على أراضيهم من أجل إنشاء

دولة يهودية، ونكريات الحرب والدفاع عن لوبيه تجاهه الإدعاء بأن اللاجئين الفلسطينيين لم يكونوا مرتبطين بالأرض كفاية وقد تركوا راغبين لا مكرهين.

لكن الذاكرة هي جزء من الحاضر أيضاً، وتذكر الواقع التاريخي منذ هزيمة الصليبيين على أرض لوبيه، وتذكر شخصيات مرموقة في التاريخ، مثل العلامة أبو بكر اللوبياني الذي عاش في القرية في القرن الخامس عشر، وحالات التضامن إبان الثورة الكبرى والنكبة، كلها تضفي الإحساس بأن لهذا المجتمع محل في التاريخ، والذاكرة تغذي إحساساً إيجابياً بالهوية بين اللوبين شيوخاً وشباناً، حتى أولئك الذين لم يروا لوبيه قط، وللوبيه كذلك مكانة خاصة في إحساس الجيل الثالث، فالذكريات، بعبارة أخرى، تخص اللوبين في حاضرهم، ولا تمت لماضٍ لم يعد مهماً في الحاضر.

الذاكرة هي كذلك نقطة دخول يبعد الناس صياغتها في صنع مستقبلهم. لقد وفر هذا البحث فرصة لللوبين لأول مرة منذ أكثر من نصف قرن، للتعبير عن أنفسهم والتكلم عن ماضيهما وحاضرهم وأشواقهم وأحلامهم. لا يقدر رجال السياسة أهمية هذه الأصوات ولا يصغون إليها في صنعهم لعملية السلام في الشرق الأوسط، فكان من المهم سماح آراء لوبيين يعيشون في المنفى منذ عقود عن عملية أوسلو. أكثر من ثلاثة أربعين الذين قابلتهم عبروا عن عدم رضاهم من عملية السلام، وقد تحقق الكثير من مخاوفهم فعلاً خلال العشر سنوات الماضية.

تفسح الذاكرة الطريق نحو المستقبل أيضاً. بالرغم من أن العلاقات بين الحركة الصهيونية والمجتمع الفلسطيني المحلي اتسمت عادة بالصراع، فإن القصص عن علاقات مع جيران يهود مثل عزرا لافي ونحوم عبو تبين إمكانية التعايش السلمي. صحيح أن معظم الإسرائيليين اليهود الذين قابلتهم عبروا عن قلق شديد إزاء عودة اللاجئين الفلسطينيين، إلا أن النقاشات التي دارت حول تاريخ لوبيه وجيرانها اليهود أتاحت فرصة ليس للتطرق إلى الماضي فقط إنما للتفكير حول المستقبل أيضاً. وفي معظم الحالات تبين أنه بالإمكان طرح موضوع اللاجئين حتى وإن لم ينشأ اتفاق أو إجماع مباشر حوله.

ليس من المبالغ فيه إذن القول إن الذاكرة ساحة صراع، بل هي آخر ساحات الصراع. إنه صراع بين الدمج والإقصاء؛ صراع من أجل مستقبل مؤسس على الاعتراف بمظالم الماضي وبالمسؤولية عنها، والاعتراف بالمساواة في الحقوق بين جميع الأفراد، بما يشمل اللاجئين، دون تمييز بين عرق أو دين أو إثنية أو قومية. في تشرين ثاني /نوفمبر ٢٠٠٣

زرت جنوب أفريقيا لأول مرة مع وفد من الناشطين من اللاجئين الفلسطينيين للاطلاع عن كثب على عملية استرجاع ملكيات الأراضي وتجارب لجنة الحقيقة والمصالحة . والمشاركة الشعبية في عملية السلام . واكتشفت هناك أن السيد روني كسريلس، وزير شئون المياه والغابات في حكومة المؤتمر الوطني الأفريقي، وهو يهودي جنوب أفريقي، قد غرس شجرة لذكرى قريتي لوبيبة في مدينة بريتوريا، وبجانبها لوحة معدنية تقول :

"لوبيبة"

مقدمة من سعادة الوزير

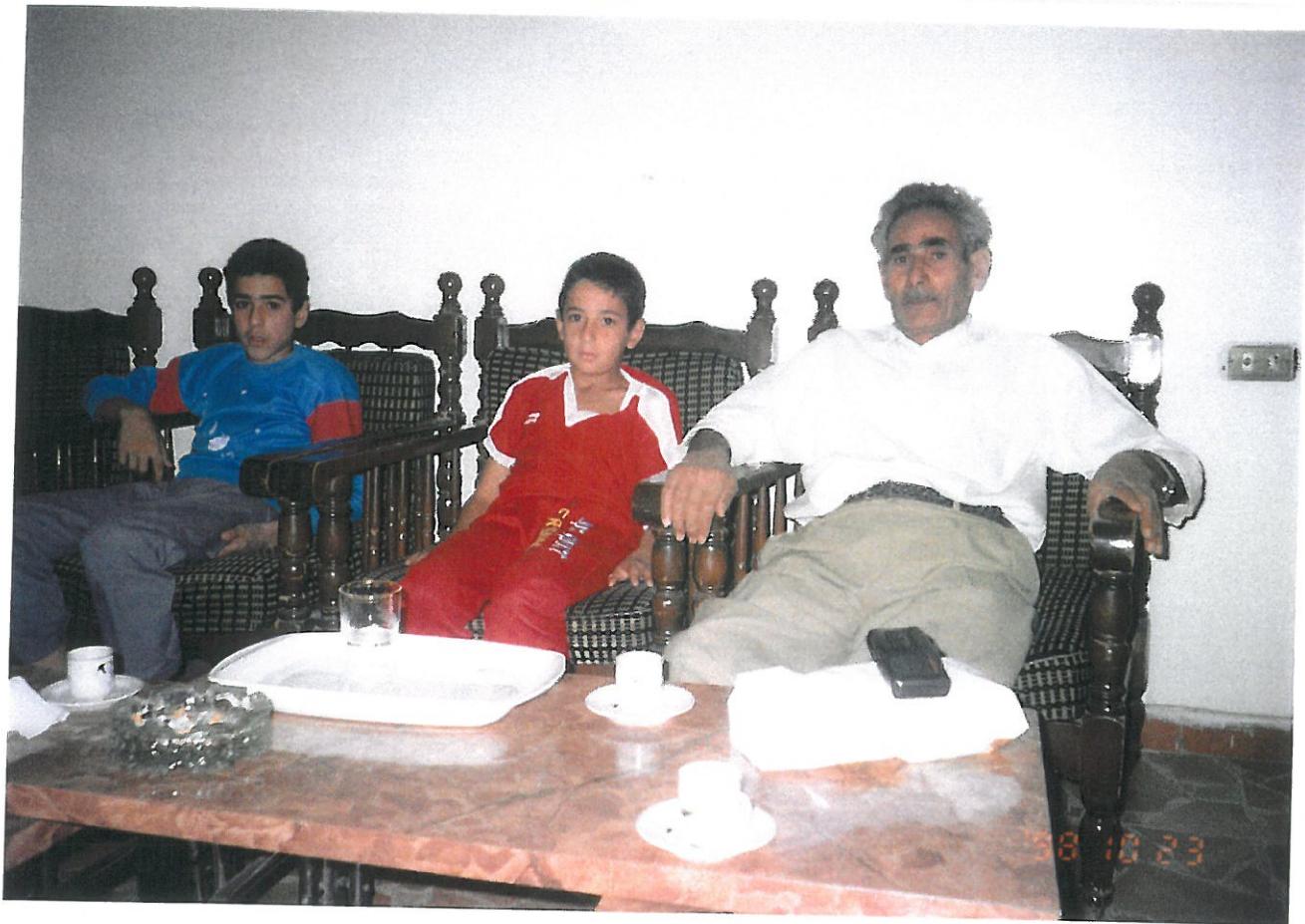
روني كسريلس

(وزير شئون المياه والغابات)

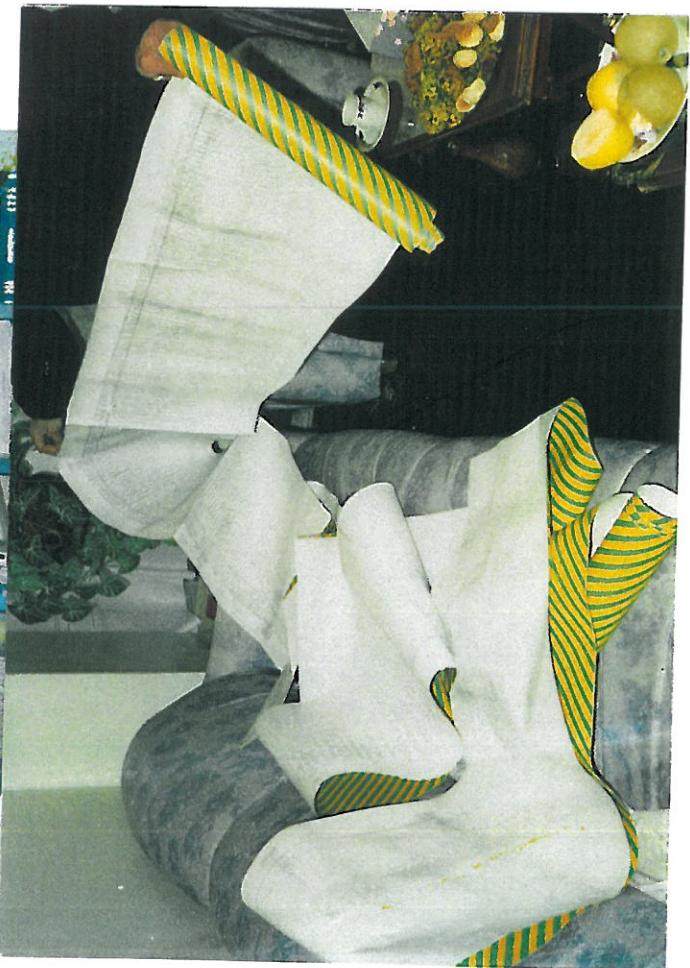
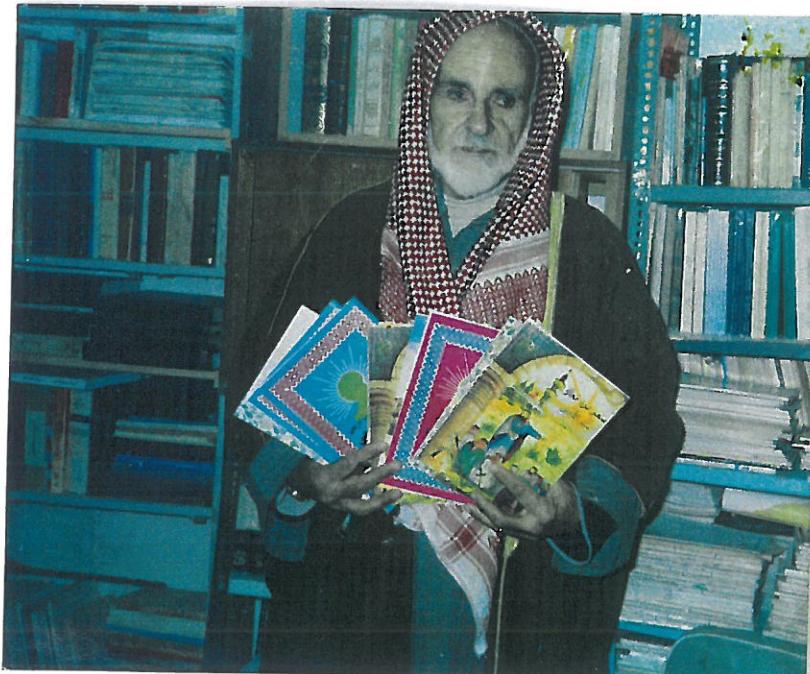
إلى القرية الفلسطينية لوبيبة التي أقيم على أنقاضها حرش يُسمح للأبقار الرعي فيه بينما يمنع أهل لوبيبة المهجرين من العودة إلى قريتهم"

إن عملاً رمزاً كهذا هو جزء من عملية تصحيح الظلم الذي وقع بحق لوبيبة ومئات القرى الفلسطينية التي هجرت في العام ١٩٤٨ وتم لاحقاً تدميرها . لقد استطاع الجنوب أفريقيين وضع أسس للمصالحة بعد الاعتراف بفظاعة وما سي الأبرتهايد، وبالمثل، فإن الفلسطينيين والإسرائيليين اليهود لن يتوصلا إلى المصالحة طالما بقي رماد الحياة والبيوت مطموراً تحت أماكن على صورة حرش جنوب أفريقيا المزروع على أنقاض لوبيبة .

إن الحفاظ على الذكريات المشتتة والهشة أحياناً لأولئك الذين عاشوا يوماً في لوبيبة، هو جزء من تبيان وفهم خمسة عقود على الإنكار والتهميش والنفي . إن مشهد الذكريات هذه، بألوانها الناصعة والمشرقية، بأناسها وشخوصها وحجارتها وأشجارها وروابيها وبيوتها وحوائينها، بأماكن العمل واللعب فيها، وذكريات الصدافة والعداوة، الخ، يشبه سمفونية خالدة . وطالما أن هذه السمفونية مسكتة، وطالما يستمر التكمّ عن الظلم والقهر، فإن إمكانية السلام والمصالحة والحرية ستبقى حلماً بعيداً . وكملحظة أخيرة تدفع إلى التفاؤل أختم كلامي هذا بقول لينيلسون منديلا جاء في مقدمة كتابه: "أن يكون المرء حرراً لا يعني أن يتخلص من قيوده فحسب، بل عليه أن يعيش بأسلوب يحترم ويدعم حرية الآخرين ."



Abu Majid & Abu Sameeh Samadi, showing books he wrote, in Yarmook Camp-Syria
And the Samadi family tree: 9.5 meters long



العائلات كما يذكرها للواينة

فيما يلي نبذ عن العائلات اللوبيية كما ذكرت من قبل اللوبين أنفسهم:

العجائبة:

المختار: محمد حسين: جاءت العائلة من عجلون في الأردن، وكانوا أربعة أخوة هم ملحم وعثمان ورحيل وصباح، يطلق عليهم اليوم أسم الصمادي، وهم من سلالة حسين بن علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين. جدهم هو ناصر بن سالم من عنجرة:

- البابيدي

- الملاحمة: حسن وحسين عيسى، خليل جودة

- العثامنة: يونس علس، كروب الزين، سليمان علي

- العموري: فواز محارب، عوض ياسين، علي عموري

- الحمزات: اسماعيل حمزة، حمادة حسين، خليل ياسين اسماعيل

- الرحيل: حسين علي، أحمد أمين علي، سالم محمد

الشناشرة:

المختار: خليل العابد

- رشдан، علي باش، أحمد وحسن يونس، سليمان عطية، صالح محمد طاه ()
أحمد خالد

السما اللوت:

المختار: إبراهيم نياض

- ديراوي، علي خليل (لقبه قرقاشي)، عوض شبكون، مفضي محمد، رشش الشيري، عبد الله أبو الشيخ (وجدهم عزام)

العطوات:

المختار: محمد مصطفى ياسين، وأبناؤه

- العصافرة؛ المناصرة: عطا منصور، عبد الرحمن، الزعاترة.

الحجاجوة:

- الكفارنة: عودة، على الياسين، عبد الرزاق دباس، إبراهيم طاه، إبراهيم عاصي،

كايد، كرزون،

الشهابي:

جاءوا بالأصل من لبنان^{١٦٨}:

- قاسم الشهابي وأبناؤه علي، صالح، حيدر، سعيد يحيى، علي عدوان، فواز علي،

علي حسين محمود.

القراء، الرفاعية، الكيلانية:

جدهم هو زيد الرفاعي، علي رجا، سليمان مصلح، علي محمود، محمد محمود، أحمد

درويش، محمد حمودة، مرعي حمودة، محمد عبد الغني.

بما أحداهم هم؟ [MF53]

العوايدة:

المختار: عبده العلайдة:

- قاسم العلайдة، علي وردة، محمد أبو الهموم، أبو السعيد.

الطلالزة:

جاءوا بالأصل من نابلس:

- زياد ومحمد.

اللبابيدي:

جاءوا بالأصل من بحوران.

الجليل:

^{١٦٨} انظر لمزيد من التفاصيل عن الشهابية في كتاب بلادنا فلسطين للدجاج، وكذلك في كتاب قرية لوبيبة.

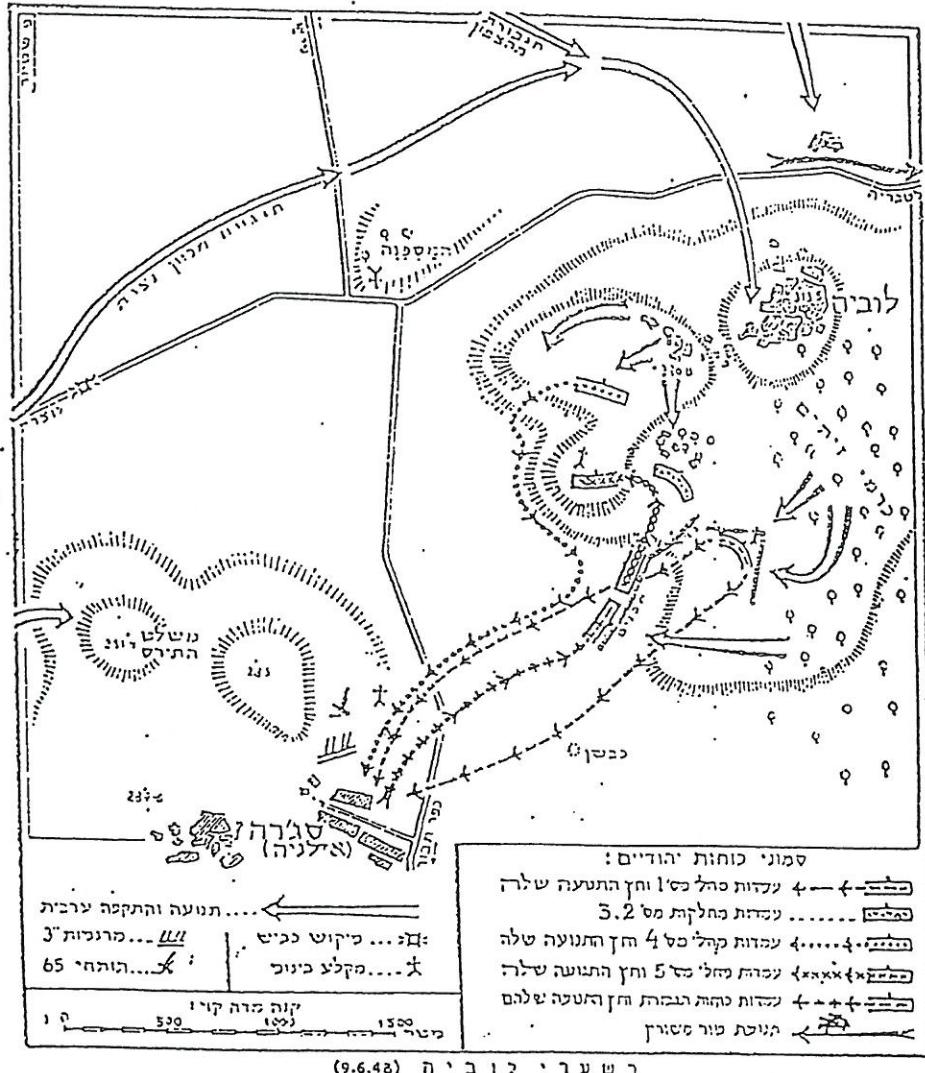
جاءوا بالأصل من نابلس.

الجمل:

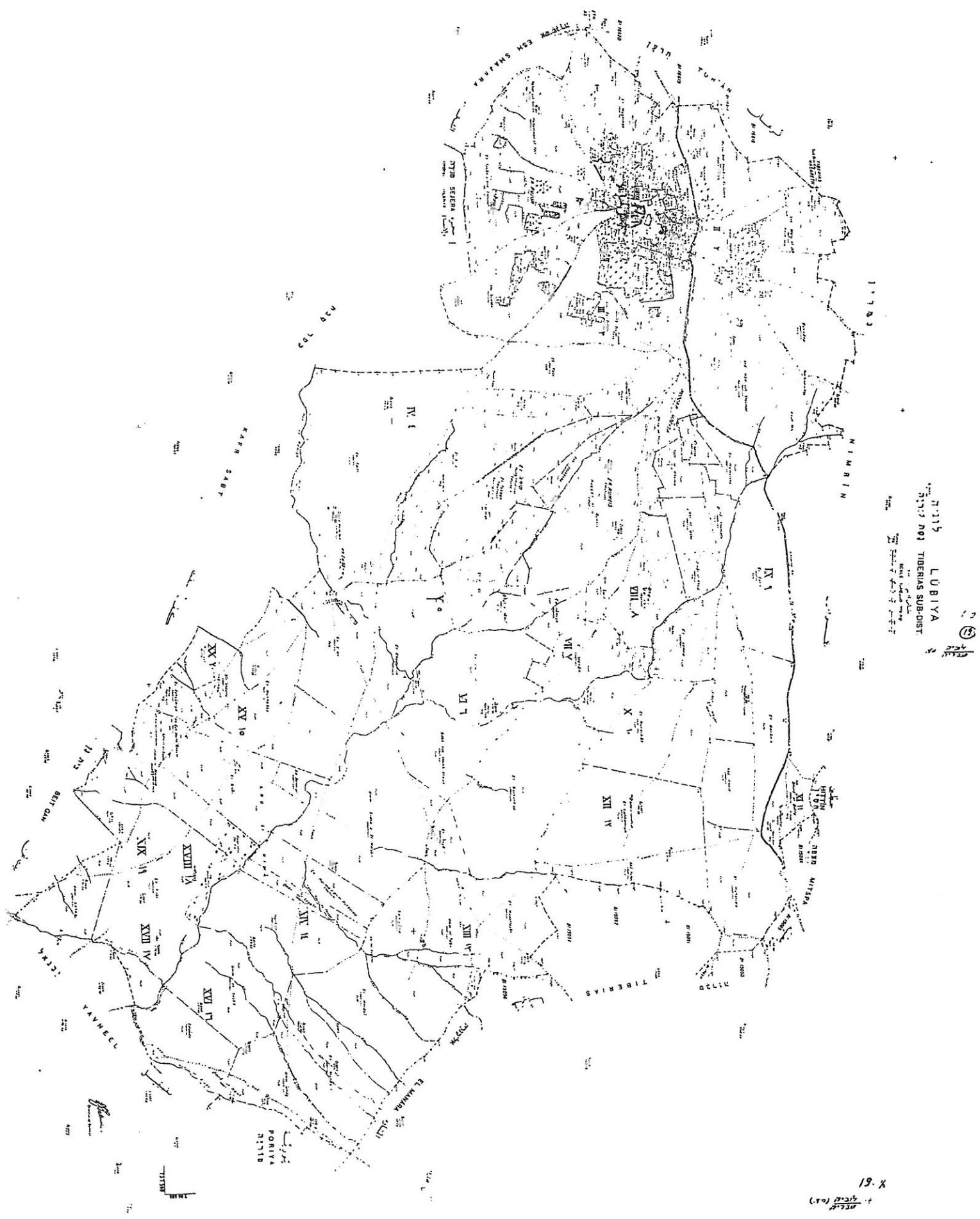
جاءوا بالأصل من نابلس.

الملحق رقم ٢

قوائم أنساب لعائلات لوبية



Detailed map of the attack on Lubya 1948



The names and borders of all the plots of Lubya

الموقع الجغرافية: الحقول، البساتين، الكروم، قطع الأرض، الوداين، التلال، كهوف، الترب، البحيرات، المواقع التاريخية والقديمة. في مسح غربي فلسطين، المجلد الأول عن الجليل، لكوندر وهشنر^{١٦٩} (بالإنكليزية) تذكر لوبيه كمكان كهوف، أصرحة، مقابر حجري؛ وقد لوحظ عدد من معاصر النبيذ الحجرية فيها، وأحواض مياه، مما يجعل على أنها من المحتمل أن تكون موقعاً أثرياً قديماً.

- ١ الشكايرو، قطعة أرض تقع شمالي القرية
- ٢ التل، بجانب كفر سبت
- ٣ أم صبح، بجانب مسكنة
- ٤ أم []، بين نمرین ولوبيه
- ٥ العريض، مرعى للأغنام والبقر
- ٦ الطبقة، بجانب العريض
- ٧ المنجبي
- ٨ العويني
- ٩ أم الحراري
- ١٠ وادي ابريق
- ١١ أرض الصفية
- ١٢ الرجوم
- ١٣ كروم عبد العزيز (مصادرة اليوم من قبل كيوبتس لافي)
- ١٤ وعرة التل
- ١٥ أبو []
- ١٦ الكروبي
- ١٧ المعبر
- ١٨ أبو []
- ١٩ الحجر
- ٢٠ الجمرة

^{١٦٩} *The Survey of Western Palestine*. Vol. One: Galilee.

Comment [MF54]: من الرقم التسلسلي /
هذا في المصدر الأإنجليزي

الكراج .٢١

العكار، غربي عيسية .٢٢

فنديل .٢٣

البسكندية .٢٤

أبو سعيد .٣٧

أبو .٣٨

أم .٣٩

أم لين .٤٠

بركة (تقع بين وادي الشومر وجبل حطين، كتبت خطأ السريك
وصححت من قبل يوسف محمد) .٤١

بركة العجاينة .٤٢

بركة .٤٣

بيارة الصبحا (هي الحد الفاصل بين أراضي لوبيبة وطرعان) .٤٤

البويك .٤٥

تلk الخيمة (حيث نصب أرناؤوط أحد القادة الصليبيين خيمه قبل أن
يهزمه صلاح الدين) .٤٦

الحجار الزرق .٤٧

حجر النصراني (يقال أن المسيح جلس عليه مع تلامذته في طريقهم إلى
تلحوم، وما زال الأوروبيون يزورون الموقع) .٤٨

حقيقة أبو دهيس (حقل تجارب أقامه البريطانيون) .٤٩

حقل العشر .٥٠

حلحول (أم حميد) .٥١

الحمى (يعرف بأنه أوسع وأخصب سهول منطقة طبريا تزرع فيه الفاكهة
والخضار) .٥٢

الخربة (مشهورة بالأثريات الاغريقية والرومانية المدفونة تحتها، وهو
موقع المعركة بين القروريين والقوات اليهودية) .٥٣

¹⁷⁰ جميع الأسماء المذكورة حتى الآن مأخوذة من المقابلة مع يونس ومع يوسف محمد، ولم تذكر في
كتيب الشهابي عن لوبيبة. يذكر الشهابي الأسماء اللاحقة مع بعض التعديلات مضافة من خلال المقابلة
مع يوسف محمد.

٤٥٤ خربة دامية (موقع أثري لمدينة رومانية وأغريقية، وكذلك موقع معركة
دارت بين الصليبيين وقوات صلاح الدين الأيوبي)

٠٥٦ دبة الخروبة

٠٥٧ الدامية

٠٥٨ درعا

٠٥٩ درعا شمدين

٠٦٠ درعا الواوي

٠٦١ راس الزيتون

٠٦٢ الرجوم

٠٦٣ الزعفرانية

٠٦٥ السرجوني

٠٦٦

٠٦٧

٠٦٨ الطبة

٠٦٩ طارق الحوارنة

٠٧٢ عين بسوم

٠٧٣ عين دامية

٠٧٤ بستان محمد حسين

٠٧٥ بستان مفضي شهابي

٠٧٦ بستان يحيى شهابي

٠٧٧ بستان سعيد يحيى (رجل من جنين، عمل كل حياته هناك)

٠٧٨ الخدران

٠٧٩ الكراج

٠٨٠ قطعة شيخ أحمد

٠٨١ القلعة السودا

٠٨٢ الكراسي

٠٨٣ كرم أبو شبكة

| | |
|---|-----|
| كرم أبو لبدة | ٠٨٤ |
| كرم حسن العابد (في المواقع أعلىه وقعت معارك مع القوات اليهودية) | ٠٨٥ |
| كرم الزعاتير | ٠٨٦ |
| كرم الزين | ٠٨٧ |
| كرم الزنكوني، ذكر زنكوني | ٠٨٨ |
| كروم الحاج حسين | ٠٨٩ |
| كروم حسان الديب | ٠٩٠ |
| كروم الدامية | ٠٩١ |
| كروم العوايدة | ٠٩٢ |
| كروم المنجي | ٠٩٣ |
| الكساير | ٠٩٤ |



| | |
|----------------|------|
| مغارة الخنازير | ٠١٠٠ |
| مغارة السفلی | ٠١٠١ |
| مغارة العریس | ٠١٠٢ |
| مغارة العموري | ٠١٠٣ |
| مغارة المعصرة | ٠١٠٤ |
| مغارة المي | ٠١٠٥ |
| المغرفة | ٠١٠٦ |
| النقار | ٠١٠٧ |

| | |
|-----------------|------|
| وادي أبو الحسان | ٠١٠٩ |
| وادي الشرار | ٠١١١ |
| وادي العقبة | ٠١١٢ |
| وادي العین | ٠١١٣ |
| وادي المعلقة | ٠١١٤ |

| | | |
|--|------|-----|
| نكر حموقع ضمن أراضي لوبية، لكنه ليس كذلك | وادي | ١١٥ |
| قطعة | ١١٦ | |
| ؟ | ١١٧ | |
| أبواب | ١١٨ | |
| | | |
| أم حميد | ١٢٠ | |
| حاواكير عقبة | ١٢١ | |
| كراسي ست راجية | ١٢٢ | |
| سعادة ورمية | ١٢٣ | |
| تلول | ١٢٤ | |
| جورة الورك | ١٢٥ | |
| جورة المندة | ١٢٦ | |

ال مقامات والمزارعات :

- ١- مقام أبو غازى (أقيمت بجانبه المدرسة الوحيدة في الحقبة العثمانية)
- ٢- مقام [] ، وسمي كذلك [] محمد
- ٣- مقام بسوم (كان المزارعون يودعون أدوات عملهم فيه لخوف اللصوص من دخوله)
- ٤- مقام بنية []
- ٥- مقام []
- ٦- مقام الزاوية
- ٧- مقام الحجمي
- ٨- مقام الشاكي محمد [] (بجانبه أقام جيش الانقاذ مركز قياده له في العام ١٩٤٨)
- ٩- مقام النبي شوامين (بني وسط القرية وما زال قائما، أنظر الصورة الملحة)

الكهوف :

١. مغارة عموري، في منطقة العجانية
٢. مغارة أم الخنازير، شمالي القرية
٣. مغارة دار حمزة، بجانب البيادر
٤. مغارة عبد الحليم
٥. مغارة زاوية الفقراء
٦. مغارة العريس

الملحق رقم ٤
أسماء ٢٤٠ "غائب" من لوبية

وثيقة رسمية (عثر عليها في دائرة الأراضي في الناصرة) تذكر أسماء ٢٤٠ لوبى أعلن عنهم أنهم غائبين، مما ترتب عليه مصادر أراضيهم، تحت مسؤولية المدير، وهو في هذه الحالة م. شيتار.

"دولة إسرائيل
مدير أملاك الغائبين
قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠"

"أعلن الأشخاص الواردة أسماؤهم أدناه غائبين بموجب البند ٣ (أ) من القانون"

| | |
|----|---------------------------|
| ٠١ | أحمد يونس أحمد يونس |
| ٠٢ | أمينة قاسم حسن |
| ٠٣ | إبراهيم موسى إبراهيم شهاب |
| ٠٤ | حافظ موسى إبراهيم شهاب |
| ٠٥ | علي موسى كايد كرزون |
| ٠٦ | محمد موسى كايد كرزون |
| ٠٧ | محمود موسى كايد كرزون |
| ٠٨ | أحمد موسى كايد كرزون |
| ٠٩ | محمد م. خليل كرزون |
| ١٠ | حمة م. خليل كرزون |
| ١١ | حسين عبد الرحمن |
| ١٢ | حسني عبد الرحمن |
| ١٣ | حسن عبد الرحمن |
| ١٤ | محمد كايد عايد مواسي |
| ١٥ | نایف يونس عايد مواسي |
| ١٦ | محمد حسن يونس عايد |
| ١٧ | محمد يونس م. حمدان |

٠٣٢

| | |
|----------------------------|-----|
| أحمد يونس م. حمدان | .١٨ |
| محمد يوسف م. حمدان | .١٩ |
| عبد الله يوسف م. حمدان | .٢٠ |
| أحمد عبد القادر م. زمبل | .٢١ |
| عوض عبد القادر م. زمبل | .٢٢ |
| إبراهيم زمبل محمد كرزون | .٢٣ |
| محمد سمير محمد محمود كرزون | .٢٤ |
| حسين علي ياسين شهاب | .٢٥ |
| أحمد علي ياسين شهاب | .٢٦ |
| محمد علي ياسين شهاب | .٢٧ |
| أحمد صلاح شهاب علي | .٢٨ |
| محمد سعيد عبد الرحمن محمد | .٢٩ |
| لطفي سعيد عبد الرحمن محمد | .٣٠ |
| حنيفة | .٣١ |
| عفيفة | .٣٢ |
| فاطمة م. حسين | .٣٣ |
| زهرة م. حسن | .٣٤ |
| خزنة عباد مصطفى | .٣٥ |
| فاطمة عباد مصطفى | .٣٦ |
| حنا أحمد أمين رحيل | .٣٧ |
| فرايحة أحمد أمين رحيل | .٣٨ |
| فوزية أحمد أمين رحيل | .٣٩ |
| عارف فوزي العموري | .٤٠ |
| فائز فوزي العموري | .٤١ |
| رمزي فوزي العموري | .٤٢ |
| محمد محمود صالح محمد | .٤٣ |
| حسين محمود صالح محمد | .٤٤ |
| علي محمود صالح محمد | .٤٥ |
| سعيد حسن سعيد عيساوي | .٤٦ |
| موسى حسن سعيد عيساوي | .٤٧ |
| علي عوض حسن سعيد عيساوي | .٤٨ |

| | |
|--------------------------------|-----|
| راشد عبد الرحيم شبكوني | .٤٩ |
| سعيد عبد الرحيم شبكوني | .٥٠ |
| إبراهيم طاه إبراهيم طاه | .٥١ |
| أمينة عيسى إبراهيم طاه | .٥٢ |
| حسين عيسى حسن عيسى | .٥٣ |
| محمود عيسى حسن عيسى | .٥٤ |
| عيسى سعود مسعود عبد الله | .٥٥ |
| حمد سعود مسعود عبد الله | .٥٦ |
| أحمد سعود مسعود عبد الله | .٥٧ |
| عبدة سعود مسعود عبد الله | .٥٨ |
| علي سعود مسعود عبد الله | .٥٩ |
| زهية ياسين علي رمضان | .٦٠ |
| محمد عبد الغني عبد العزيز خالد | .٦١ |
| ظاهر عبد الغني عبد العزيز خالد | .٦٢ |
| أحمد عبد الغني عبد العزيز خالد | .٦٣ |
| ذيب إبراهيم ذياب حمدان | .٦٤ |
| إبراهيم حسن إبراهيم شيري | .٦٥ |
| حسن محمد يوسف حمدان | .٦٦ |
| شوباش أبو يوسف حمدان | .٦٧ |
| محمد يوسف محمد يوسف | .٦٨ |
| محمود يوسف محمد يوسف | .٦٩ |
| أحمد يوسف محمد يوسف | .٧٠ |
| عبد الله يوسف محمد يوسف | .٧١ |
| مصطفى ياسين شهاب علي | .٧٢ |
| حسن ياسين شهاب علي | .٧٣ |
| محمود ياسين شهاب علي | .٧٤ |
| علي ياسين شهاب علي | .٧٥ |
| قاسم محمد يونس شهاب | .٧٦ |
| صالح محمد يونس شهاب | .٧٧ |
| فالح صويلح شهاب علي | .٧٨ |
| مفلح صويلح شهاب علي | .٧٩ |

| | |
|--------------------------------|-----|
| علي يونس صويلح شهاب علي | ٠٨٠ |
| قاسم محمد يونس شهاب | ٠٨١ |
| صالح محمد يونس شهاب | ٠٨٢ |
| محمد علي قاسم محمد | ٠٨٣ |
| إسماعيل علي قاسم محمد | ٠٨٤ |
| نعمة علي قاسم محمد | ٠٨٥ |
| فاطمة علي قاسم محمد | ٠٨٦ |
| محمود أبو علي محمد مصطفى | ٠٨٧ |
| رك أبو علي محمد مصطفى | ٠٨٨ |
| مصطفى أبو علي محمد مصطفى | ٠٨٩ |
| محمود قواطين محمد مصطفى | ٠٩٠ |
| محمد قواطين محمد مصطفى | ٠٩١ |
| عابد رؤوف سعود مسعود عبد الله | ٠٩٢ |
| راشد فياض [REDACTED] فياض | ٠٩٣ |
| رشاد فياض [REDACTED] فياض | ٠٩٤ |
| مصطفى فياض [REDACTED] فياض | ٠٩٥ |
| --- | ٠٩٦ |
| --- | ٠٩٧ |
| محمد عبد الغني عبد العزيز محمد | ٠٩٨ |
| مجلی ذياب ذياب حمد | ٠٩٩ |
| ذياب ذياب ذياب حمد | ١٠٠ |
| سعيد مجلی ذياب ذياب | ١٠١ |
| أمينة أحمد عبد الرحمن علي | ١٠٢ |
| نصرة أحمد عاشر | ١٠٣ |
| محمود خالد خليل [REDACTED] | ١٠٤ |
| ذياب خالد خليل [REDACTED] | ١٠٥ |
| علي حسين محمود شهابي | ١٠٦ |
| مرعي محمد حسن محمود | ١٠٧ |
| مرعي محمد حسن محمود | ١٠٨ |
| حسن محمد حسن محمود | ١٠٩ |
| محمود محمد حسن محمود | ١١٠ |

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ١١١ | محمد يونس عثمان يونس |
| ١١٢ | أحمد يونس عثمان يونس |
| ١١٣ | حسن أبو دهيس محمد عبد الله |
| ١١٤ | فضيل أبو دهيس محمد عبد الله |
| ١١٥ | نايف أبو دهيس محمد عبد الله |
| ١١٦ | محمد سليمان مصلح ياسين |
| ١١٧ | محمد علي حسين محمد عدوان |
| ١١٨ | سالم صالح الكرماوي |
| ١١٩ | عبد الرحمن حسن عيسى عبد الله |
| ١٢٠ | عايد حسن عيسى عبد الله |
| ١٢١ | صالحة عبد الغني علي عبد الكريم |
| ١٢٢ | أمونة عبد الرحيم حسن عيسى |
| ١٢٣ | نايف محمد حسن عيسى |
| ١٢٤ | يوسف محمد حسن عيسى |
| ١٢٥ | محمود موسى كايد أحمد |
| ١٢٦ | حسن إسماعيل حمزة ياسين |
| ١٢٧ | حمدة أحمد محمد حمزة |
| ١٢٨ | أمينة توفيق أحمد محمد |
| ١٢٩ | أسماء ياسين حمزة ياسين |
| ١٣٠ | سعدة محمد أحمد حمزة |
| ١٣١ | فاطمة قاسم محمد لوباني |
| ١٣٢ | صبحية توفيق أحمد محمد |
| ١٣٣ | مريم توفيق أحمد محمد |
| ١٣٤ | أحمد عودة علي عبد الكريم |
| ١٣٥ | صادد عودة علي عبد الكريم |
| ١٣٦ | علي عودة علي عبد الكريم |
| ١٣٧ | سليمان عبد الغني علي عبد الكريم |
| ١٣٨ | مرزوق عودة عبد الغني علي |
| ١٣٩ | عبد الرحيم عبيد الغني علي عبد الكريم |
| ١٤٠ | علي ضيف الله محمود زميل |
| ١٤١ | حسين محمود حسين كرزون |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ١٤٢ | محمود محمود حسين كرزون |
| ١٤٣ | لافي كايد أحمد محمود حسين كرزون |
| ١٤٤ | عبد المجيد محمود حسين كرزون |
| ١٤٥ | محمد عزام علي عزام |
| ١٤٦ | أحمد عزام علي عزام |
| ١٤٧ | دياب عزام علي عزام |
| ١٤٨ | حسين يوسف طه غيث |
| ١٤٩ | علي يوسف طه غيث |
| ١٥٠ | طه يوسف طه غيث |
| ١٥١ | صالح محمد طه غيث |
| ١٥٢ | حسين محمد طه غيث |
| ١٥٣ | أحمد محمد طه غيث |
| ١٥٤ | خديجة إبراهيم حسن جلية |
| ١٥٥ | علي حسن محمد شهاب |
| ١٥٦ | خديجة مصطفى حسن شهاب |
| ١٥٧ | عارف محمد إبراهيم عبد القادر |
| ١٥٨ | إبراهيم محمد إبراهيم عبد القادر |
| ١٥٩ | أحمد حسين يوسف حجو |
| ١٦٠ | نايف حسين يوسف حجو |
| ١٦١ | محمد حسين يوسف حجو |
| ١٦٢ | يوسف فاضل يوسف حجو |
| ١٦٣ | ديب فاضل يوسف حجو |
| ١٦٤ | عبدة حسين محمود شهابي |
| ١٦٥ | حمدة إسماعيل خمرة ياسين |
| ١٦٦ | مصطفى عبد القادر حامد دلاشة |
| ١٦٧ | محمد عبد القادر حامد دلاشة |
| ١٦٨ | محمود عبد القادر حامد دلاشة |
| ١٦٩ | خليل علي حسين عموري |
| ١٧٠ | عبد الله علي حسين عموري |
| ١٧١ | محمود علي حسين عموري |
| ١٧٢ | صالح مفضي علي حسين عموري |

| | |
|------|--|
| ٠١٧٣ | فرج يوسف طاه غيث |
| ٠١٧٤ | يحيى سعيد يحيى شهاب |
| ٠١٧٥ | أمينة علي قاسم محمد |
| ٠١٧٦ | عبد الله عايش حسين علي |
| ٠١٧٧ | أحمد عايش حسين علي |
| ٠١٧٨ | عبد صادر حميد إبراهيم |
| ٠١٧٩ | مصطفى عبد القادر حامد |
| ٠١٨٠ | محمد عبد القادر حامد |
| ٠١٨١ | محمود عبد القادر حامد |
| ٠١٨٢ | محمد علي إبراهيم أبو علول |
| ٠١٨٣ | محمود علي إبراهيم أبو علول |
| ٠١٨٤ | مريم عرسال خليل إبراهيم |
| ٠١٨٥ | فادية أحمد إبراهيم ياسين |
| ٠١٨٦ | (اسم ملغى) |
| ٠١٨٧ | زبيدة محمود حسين عيسى |
| ٠١٨٨ | سعيد حسان محمد شهاب |
| ٠١٨٩ | محمد حسن محمد شهاب |
| ٠١٩٠ | محمد حسين محمد شهابي |
| ٠١٩١ | يوسف حسين محمد شهابي |
| ٠١٩٢ | بدير علي حسني عدونان |
| ٠١٩٣ | محمود حسين عيسى عبد الله |
| ٠١٩٤ | حجي حسين عيسى عبد الله |
| ٠١٩٥ | محمد إبراهيم عبد القادر عبد الله |
| ٠١٩٦ | علي إبراهيم عبد القادر عبد الله |
| ٠١٩٧ | عبد الرحمن إبراهيم عبد القادر عبد الله |
| ٠١٩٨ | عوض أبو دهيس محمد عبد الله |
| ٠١٩٩ | قاسم محمد قاسم حسين |
| ٠٢٠٠ | حسين محمد قاسم حسين |
| ٠٢٠١ | علي محمد قاسم حسين |
| ٠٢٠٢ | حافظة عبد حامد عبد الله |
| ٠٢٠٣ | محمد حسن عيسى عبد الله |

| | |
|------|---------------------------------|
| ٠٢٠٤ | طاهر حامد محمد عبد الله |
| ٠٢٠٥ | عثمان حامد محمد عبد الله |
| ٠٢٠٦ | سمير جوهر حامد محمد عبد الله |
| ٠٢٠٧ | محمد حامد محمد عبد الله |
| ٠٢٠٨ | حافظ حامد محمود عبد الله |
| ٠٢٠٩ | كامل حامد محمود عبد الله |
| ٠٢١٠ | محمد أبو علي محمد مصطفى |
| ٠٢١١ | مصطفى عبد القادر مصطفى ياسين |
| ٠٢١٢ | عبد سعيد عبد القادر مصطفى ياسين |
| ٠٢١٣ | محاسن عبد الغني علي عبد الكريم |
| ٠٢١٤ | حسين إسماعيل حمزة ياسين |
| ٠٢١٥ | حسين أحمد عطية |
| ٠٢١٦ | سليمان حسين أحمد عطية |
| ٠٢١٧ | ماضي حميدي محمود خليل |
| ٠٢١٨ | محمود حميدي محمود خليل |
| ٠٢١٩ | نايف حميدي محمود خليل |
| ٠٢٢٠ | إبراهيم حميدي محمود خليل |
| ٠٢٢١ | محمود إبراهيم موسى صالح |
| ٠٢٢٢ | إبراهيم موسى إبراهيم صالح |
| ٠٢٢٣ | عودة عقلة أحمد دياب |
| ٠٢٢٤ | رجا عقلة أحمد دياب |
| ٠٢٢٥ | موسى ديب موسى دياب |
| ٠٢٢٦ | حسن أحمد درويش شهاب |
| ٠٢٢٧ | إبراهيم أحمد درويش شهاب |
| ٠٢٢٨ | سمير أحمد درويش شهاب |
| ٠٢٢٩ | عبد فندي خليل إبراهيم |
| ٠٢٣٠ | يوسف موسى دياب مصطفى |
| ٠٢٣١ | محمد عثمان كروت |
| ٠٢٣٢ | محمد كايد أحمد |
| ٠٢٣٣ | سعيد عثمان يونس عثمان |
| ٠٢٣٤ | مدير سنديوق الأيتام، طبريا |

Comment [MF57]: *

| | |
|----------------------------|------|
| عقيلة بن عقيلة الحاسي | ٠٢٣٥ |
| محمد عقيلة الحاسي | ٠٢٣٦ |
| علي فياض سليمان عبد الكريم | ٠٢٣٧ |
| محمود حامد موسى شهاب | ٠٢٣٨ |
| أحمد حسن محمود علي شهاب | ٠٢٣٩ |
| حسن عبد الرحمن أحمد ياسين | ٠٢٤٠ |

الإمضاء:

م. ستار

المدير

المحلق رقم ٥

اللوببيون الذين سقطوا إبان الثورة ببم الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩

أسماء اللوببيين الذين سقطوا دفاعاً عن القرية ضد القوات العسكرية البريطانية واليهودية
خلال ثورة الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩

١. يونس راشد
٢. مفضي حسن
٣. سلمان مصطفى
٤. محمد عبد الله
٥. عبد الطيف
٦. محمد محسن
٧. محمد الخطيب
٨. علي أحمد
٩. أحمد محمد
١٠. عبد القادر شهابي
١١. محمد الغريبي
١٢. سعيد عبد الرحمن
١٣. حسين محمد صالح
١٤. فاطمة محمد
١٥. [] محمد صالح
١٦. محمد سليمان محمد
١٧. ابن حافظ سليمان

الملحق رقم ١

لوببيون سقطوا خلال حرب عام ١٩٤٨

أسماء اللوببيين الذين سقطوا دفاعاً عن القرية في العام ١٩٤٨

١. محمد ابن مفضي
٢. سعيد مفضي
٣. أحمد مفضي
٤. حسن العابد
٥. شحادة حسان نجمة
٦. سعيد صالح يحيى
٧. محمد سعيد يحيى
٨. إبراهيم سلامة
٩. إسماعيل الديب
١٠. محمد حسن حميد
١١. سعيد حسن حميد
١٢. خالد أحمد خالد
١٣. محمد أبو غرابة
١٤. أحمد
١٥. عبد اللطيف إبراهيم رشدان، يعرف بـ كوش
١٦. يوسف حسن حامد^{١٧١}
١٧. علي العتاب، أبو فخري من قرية البياني المجاورة جاءوا لنصرة أهالي لوبية
١٨. دواس عثمان، وهو آخر شهيد
١٩. إبراهيم منصور
٢٠. عارف محمد عبد الرحمن
٢١. أحمد محمد با عكار، سقط في بيرزيت في طريقه إلى القسطل بجوار القدس لأنضمam إلى المحاربة الفلسطينيين.
٢٣. زغدة رشدان، سقطت وهي تجمع الذرة من الحقل

نطمس ٢٢: Comment [MF58]

^{١٧١} جميع الأسماء الستة عشر المذكورة هي من قبيلة الشهابية في القسم الجنوبي من البلد.

| | |
|---|-----|
| نصرة | ٠٢٤ |
| أمينة الراشد | ٠٢٥ |
| مهنا الشيري | ٠٢٦ |
| حربة، مقعدة، قتلت طعنا بالخاجر وهي تزحف على الأرض | ٠٢٧ |
| تمام البكراوي | ٠٢٨ |
| خنيفيس كرزون، ضرير | ٠٢٩ |
| محمد مديريس | ٠٣٠ |
| أحمد عوض | ٠٣١ |

الملحق رقم ٧

اللاجئون المسجلون لدى وكالة الغوث - الأونروا

توزيع حسب العمر والجنس (٢٠ تشرين ثاني / نوفمبر، ٢٠٠١)

| الفئة العمرية | الإناث | الذكور | المجموع |
|---------------|--------|--------|---------|
| ٦٢ | ١١١٩ | ١١١٩ | ٢٣٣٨ |
| ١٥-٦ | ٢٠٧٣ | ٢٢٦٨ | ٤٣٤١ |
| ٢٥-١٦ | ١٨٩٠ | ١٩٥٤ | ٣٨٤٤ |
| ٣٥-٢٦ | ١٥٥١ | ١٦٤٢ | ٣١٩٣ |
| ٤٥-٣٦ | ١٠٩٦ | ١١٨٩ | ٢٢٨٥ |
| ٥٥-٤٦ | ٦٠٥ | ٦٤٦ | ١٢٥١ |
| ٥٥< | ٩٣٥ | ٨٦١ | ١٧٩٦ |
| المجموع | ٩٢٦٩ | ٩٦٧٩ | ١٨٩٤٨ |

اللاجئون المسجلون في المخيمات، في ٣٠ تشرين ثاني / نوفمبر ٢٠٠١

| الموقع | عدد الأفراد المسجلين | في المخيمات |
|---------------|----------------------|-------------|
| الضفة الغربية | ٩ | |
| غزة | ٣ | |
| لبنان | ٧٧٢٤ | ٧٤٧٥ |
| سوريا | ١٠٢٥٠ | ١٣٩٤ |
| الأردن | ٩٦٢ | ١٤١ |
| المجموع | ١٨٩٤٨ | ٩٠١٠ |

الملحق رقم ٨

عدد الlobeen في الدنمرك

أحصيت خلال بحثي ٧٩٤ شخصا من لوبية في الدنمرك، ويشمل هذا العدد الأشخاص الذي عاشوا في لوبية وأبناءهم وبناتهم وأحفادهم، وفي أغلب الظن يزيد المجموع اليوم على الألف.

| المدينة | العائالت | الأشخاص | المنوية |
|----------------|------------|------------|------------|
| | ٢٤ | ٩٣ | ١٢ |
| | ٢٩ | ١٠٦ | ١٣ |
| | ٦ | ١٩ | ٣ |
| | ٥ | ١٨ | ٢ |
| | ٣ | ٨ | ١ |
| | ٨٩ | ٤١٧ | ٥٣ |
| | ١٦ | ٨٢ | ١٠ |
| | ٩ | ٥١ | ٦ |
| المجموع | ١٨١ | ٧٩٤ | ١٠٠ |

الملحق رقم ٩

لقاء مع شباب لوبين في الدنمارك

أجريت مقابلة مع ثلاثة أخوة من الجيل الناشئ، هم يسرا (١٨ عاماً) ولمي (١٦ عاماً) وأكرم (١١ عاماً) قدموا إلى الدنمارك عام ١٩٩١ مع أمهم وأختيهما الصغيرتين من مخيم الجليل لللاجئين الفلسطينيين في لبنان. وقد أجريت معهم مقابلة ثانية بعد ١٥ شهراً، ثم مقابلة ثالثة ملحقة هنا كخاتمة. إن الشيق في هذه المقابلات هو التحولات التدريجية التي طرأت على الأحكام التي أطلقوها على أنفسهم وعلى المجتمع الدنماركي.

يسرا: الحياة هنا لا بأس بها، لكنني أجد صعوبة في التأقلم مع أسلوب حياة الدنماركيين. يوجد بيننا فوارق في العادات والتقاليد، مما يجعل من الصعب إقامة علاقات قريبة معهم.

لمى: أجد صعوبة في التعبير عن نفسي هنا.

يسرا: هناك الكثير من الدنماركيين الجيدين، لكن هناك البعض لا يحترمون المسلمين. عندما نسافر معاً في رحلة مدرسية نواجه مشاكل كثيرة. يعتقدون أننا لسنا متحضررين. أذهب منذ سنتين إلى مدرسة دنماركية وما زالت في الصف العاشر. لو كنت في لبنان لكنت في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية.

لمى: أنا في نفس الصف مع يسرا. المعلمون الدنماركيون يعاملونا مثل الدنماركيين؛ لا يوجد تمييز في الصف.

يسرا: عندما نتكلم عن الحرب أو الإسلام، نختلف تماماً. طلب مني تلميذ مرة أن أثبت له أن القرآن هو كتاب الله، ولم أستطع. الحياة هنا مختلفة عن لبنان. أود العودة إلى هناك يوماً ما. هناك لا يطرح أحد عليك مثل هذه الأسئلة.

•

لمى: على الدنماركيين أن يحترموا عاداتنا وتقاليدنا، وعليينا نحن أن نحترم عاداتهم وتقاليدتهم. هكذا نقلل من حجم المشاكل بيننا. إننا ضيوف في بلدكم وعليانا أن نشكرهم ونحترمهم على استقبالنا هنا.

يسرا: الدنماركيون يعاملوننا معاملة حسنة كلاجئين، أفضل من معاملة الدول العربية.

أكرم: يوجد فرق كبير بين الدنمركيين ولبنان. هناك كانت حرب، وهنا يوجد أمن، لكن مجتمعنا مختلف عن مجتمعهم. عندما نتحدث عن الإسلام يضحكون. هناك فتاة في الصف ترتدي غطاء رأس والطلاب يتهماسون ويضحكون بسخرية منها. عندما ألتقي بدنمركي ومسلم أجد أنني أقرب إلى المسلم.

يسرا: لا أخالط كثيراً بالدنمركيين وأرفض دعواتهم للسهر، فيظنون إنني لست طبيعية! قالوا لي مرة أن على استشارة أخصائي نفسي لرفضي السهر معهم. في لبنان لا يحدث مثل هذا الأمر.

لمى: لدى بعض الأصدقاء الدنمركيين، لكن علاقتنا محدودة. يجب على أصدقائنا الدنمركيين أن يعوا أنه ما من أحد يهاجر إلى بلد غريب بدون سبب جيد.

أكرم: تسعون بالمائة من أصدقائي هم دنمركيون والباقيأتراك وعرب. ذهبت مرّة معهم إلى كوبنهاغن، وكان من الواضح أننا نختلف في سلوكنا. كمسلم، أنا لا أتبع نمط حياتهم، وعندما أرفض أن تكون لي صاحبة أو أن آكل لحم الخنزير يقولون إنني غريب الأطوار. في لبنان كان عندي أصدقاء أكثر وكانت مرتاحاً أكثر.

يسرا: أشعر أنني مختلفة وحين يضايقوني أشعر برغبة في العودة إلى لبنان. أحياناً يقول لي الأولاد: عودي إلى بلدك! أنا متأكدة أنهم يسمعون ذلك من أهاليهم. وفي أحياناً أخرى لا يقولون ما يقصدون حقاً. قال لي معلم مرة: حين تنتهي من دراستك، سوف يفضل الدنمركيون توظيف دنمركي على توظيفك. يبدو أن اسم بنتينا هنا أفضل من اسم يسرى.

المقابلة الثالثة بعد خمسة عشر شهراً:

أكرم: تغيرت الكثير من أفكاري عن الدنمركيين. قبل عام كان معظم رفافي من الدنمركيين، ولم أكن سعيداً لأن عاداتهم وتقاليدهم مختلفة عنا. الآن جميع رفافي هم أجانب، باكستانيون، ومغاربة، وعرافيون، وفلسطينيون، وعلاقاتي بالدنمركيين محددة بالسلام العابر. نحن ؟ أجانب في الصدف و ١٤ دنمركي، والمعلمون يسألوننا لماذا لا نتحدث فيما بيننا. لا نتفق معهم. مثلاً، حين أسأل دنمركيياً عن علاقته بوالده يقول لي: هذا

لا يخصك! وإذا كان لديه مشكلة يفضل إيقاعها سراً. نحن في المقابل معتدون أن نتحدث عن مشاكلنا دون قيود. الدنمركيون معتدون على الشرب ولا يستطيعون من دونه، عكسنا تماماً. نحن الأجانب لدينا علاقات حميمة فيما بيننا ولسنا عنصريين. أنا كمسلم أصوم رمضان لأنّي أشعر بالفقراء في العالم. ليس الصوم مجرد فريضة دينية، إنما سلوك إنساني وتعاطف مع الآخرين.

لمى: جميع الطلاب في الصف دنمركيون ما عدّي، لكن طالما أني أتحدث وأقرأ جيداً مثّهم، لا توجد مشاكل. لا أشعر بحقيقة بفارق بيننا في الصف. يسألوني أحياناً عن الإسلام والحجاب وغيره، لكن ليس ثمة علاقات اجتماعية بيننا. أعتقد أن المعلم راض عن دراستي والمعلمون الآخرون جيدون، وأنا راضية عن ذلك وعن باقي الزملاء في الصف. أغلب أصدقائي عل كل حال هم عرب ويوجد صديقة واحدة باكستانية.

يسراً: قبل عدة أشهر تقدمت بطلب للحصول على مواطنة دنمركية، فأجرت معي الشرطة تحقيقاً كأني مجرمة. سألني أحدهم: من أين لكم النقود أنتم الأجانب؟ ثم أضاف: إذا أصبحتم دنمركيين سوف تصوتون ضد الأجانب الذي يحصلون على النقود من دون عمل! لم أقل له شيئاً، لم أجراً على فتح نقاش بهذا معه. وعندما علم أنّي فاقد للعمل، قال: لماذا لم تخبريني أنّي لا أعمل ويعيش على مخصصات الضمان الاجتماعي؟ ومرة أخرى خفت من الإجابة كي لا يوقف إجراءات طلبي.

لا يوجد أي قاسم مشترك مع الدنمركيين في الصف، وثمة فصل بين الطرفين. مدير المدرسة يقف دوماً إلى جانبهم ولا يسمع ما أريد قوله. طلبني مرة إلى مكتبه وطردني ليومين لأنّي رفضت النزول إلى المطعم. نحن خمسة تلاميذ بين ثلاثة وعشرين في الصف، والمعلمون يعطون العلامات الرفيعة للدنمركيين. معلم اللغة الفرنسية قال لي مرة: لا تتوقع الحصول على أكثر من ٥ من ١٠ في الامتحان. والمدير فصل تلميذاً أفالغانياً لمجرد احتجاجه على علامة حصل عليها. ينشأ فوراً خلاف في الرأي حين تثار قضيّات معينة. أعتقد أن المعلمين في هذه المدرسة، والمدير خصوصاً، عنصريون. وليّاً أفكّر بجدية بالانتقال إلى مدرسة أخرى. أصوم شهر رمضان بأكمله لأنّها فريضة في الإسلام، وأنا سعيدة لأنّي بذلك أحافظ على تقاليدي.

أكرم: كلّ مرة يغطّ فيها أجنبي ويتدخل المعلمون نتهمهم بالعنصرية. أعتقد أنّ علينا أن نأخذ من الدنمركيين الجوانب الإيجابية في تفافتهم. مثلاً، لديهم نظام معلومات أفضل منا.

مرة أجريت لقاء مع شرطي حول العنف لدى اللاجئين وقال لي: من ناحية معينة، الأهل هم المسؤولون، ومن ناحية أخرى، فإن النظام السائد لا يعطيهم فرصة للعمل. المجتمعات التي يأتي منها اللاجئون مازومة.

يسرا: أعتقد أن السلوك العنيف لبعض اللاجئين ينشأ كرد فعل طبيعي على مجتمع لا يحترمهم. يتعلم الشبان سنوات طويلة ولا يجدون عملاً. جيل ٢٠-١٥ هو جيل خطير، إذ يعتقد الشاب أنه دائماً على حق. لا أعتقد أن الدنماركيين أفضل منا، فمجتمعهم متفكك. يبدأ أطفالهم بالتدخين والشرب وحتى تناول بعض أنواع المخدرات قبل بلوغهم الخامسة عشر من عمرهم.

أكرم: أعتقد أن أفضل فترة في حياتي عشتها كانت هنا في الدنمارك. لماذا تتحدثين عن الشرطة؟ هل الشرطة في البلد الذي جئنا منه أفضل؟

يسرا: ألم تسمع كيف هاجم شرطي رجلاً قبل عامين وهو ما زال في حالة الكوما؟ لماذا تعتقد أنهم ينشرون كل السلبيات في الجرائد ويعلونها في التلفزيون حين تكون عن الأجانب؟

أكرم: هذا ليس بذلك.

يسرا: يجب تطبيق القانون على الجميع دون تمييز.

لمى: أعتقد أن نظام التعليم في الدنمارك يدعم الطالب ويساعده على بناء شخصية قوية. هذا أفضل من أن نعطي علامات عالية دون أن نستحقها.

المقابلة الثالثة:

•

في العام ٢٠٠٣، بعد ثمانية أعوام على المقابلات الأولى، ألتقيت بيسرا ولمى وأكرم مرة ثالثة، وكان التغيير في نظرتهم واضحاً، إذ تقلص الشعور بالعزلة والوحدة، خاصة بعد الانخراط في سوق العمل والجامعات. لكن مسألة الهوية والانتماء ما زالت تراوح مكانها، تعود خطوة إلى الخلف كلما تقدمت خطوة إلى الأمام. قالت فداء للقول: أشعر بأنني مقسمة إلى نصفين. التقلبات المختلفة من فلسطين إلى لبنان إلى الدنمارك تركت أثارها

على وجهين: إيجابياً، في ارتفاع مستوى التعليم والطموحية التي يعيشون فيها؛ سلبياً، في العلاقة المأزومة بين الماضي والحاضر، بين الالتزام بحدود العائلة وبين الانفتاح على الفضاء الاجتماعي الغربي. ولا يكفي الشعور بالفخر بالهوية الفلسطينية لجسر الهوة بين الجيل القديم والجيل الجديد. الحنين لزيارة البلد الأصلي بقي مركباً من مركبات هوية الجيل الجديد، لكنه حنين مختلف عن حنين الأهل ويحمل معانٍ مختلفة. الفضائيات تجلب الأخبار اليومية من الوطن، لكن نظام التعليم مختلف؛ فلسطين هنا، أو قرية الأهل الأصلية، ليست موجودة على الخرائط التعليمية في المدارس الرسمية.

حين جاء أكرم إلى الدنمارك في الحادية عشر من عمره شعر بأنه جاء إلى "كوكب آخر"، لكن آراءه عن الاندماج في المجتمع الدنماركي اليوم بعد 11 عاماً، وبعد أصبح طالباً جامعاً، مختلفة قليلاً عن آراء يسراً. لقد أصبح واعياً أكثر لخلفيته كفلسطيني وعربي ومسلم، وفي نفس الوقت لديه العديد من الأصدقاء الدنماركيين. أصبح انتماه الوطني أوسع، أصبح يتحدث عن فلسطين كأمة وليس كقريته الخاصة لوبيبة. واستبدل الدنمارك لبنان كوطنه ثان له، بسبب الحياة الأفضل المتوفرة هناك.

بالنسبة للمى، فإن لوبيبة تمثل هويتها رغم أنها لم تكن هناك. وتتجدد صعوبة في أن تكون "عربة في المنزل ودنماركية في الخارج". ما زالت بنية العائلة التقليدية تشكل عائقاً أمام الجيل الشاب، خاصة حين يتم الزواج حسب النمط التقليدي تحت أمرة الأهل وتدخلهم في أغلب التفاصيل.

وقالت يسراً: "بعد 13 عاماً في هذا البلد تكونت لدى فكرة مختلفة عن الاندماج. أشعر الآن أنني جزء من المجتمع الدنماركي بشكل تلقائي، لأنني أعمل معهم يومياً وتعلمت تقبل عاداتهم وتقاليدهم. أعرف كيف أكون دنماركية من دون التخلص من عاداتي وتقاليدي، أي دون أن أصبح "السيدة جينسين". أعمل كصيدلية في مؤسسة طبية واحتلت في الجو الاجتماعي للعمل، لكنني أبتعد عنهم حين يشربون."

•

أشعر بأنني منقسمة على نفسي نوعاً ما، ولا أعرف أين أتبع تحديداً، إلى الدنمارك حيث أعيش أم إلى لبنان حيث ولدت؟ أشعر دائماً بفخر في الانتماء إلى فلسطين. حين يسألوني من أين أنا، لا أقول إني من لبنان، بل إني فلسطينية من لبنان. حلمت دائماً بروية المكان الذي جاء منه أهلي، وإن سُنحت لي الفرصة يوماً ما سوف أذهب لزيارة.

" حين أناقش مسألة الشرق الأوسط مع الدنمركيين أشعر أنهم يتعاطفون مع اليهود منذ الحرب العالمية الثانية، لكنهم حين يعرفوني كلاجئة فلسطينية حقيقة يهتمون بسماع ما أقول.

" حين أسأل أقول إني فلسطينية مسلمة، وهذا لا يعني أنني متطرفة."

" يوجد اليوم فجوة واسعة بين الفلسطينيين الناشئين وآبائهم لأنهم يعيشون ثقافتين مختلفتين جدًا. برأيي، على الآباء الأشخاص يتشددون مع ابنائهم وأن ينقشوا الأمور معهم بتقاصيلها، وأن يكونوا أكثر ليونة في مواقفهم من الثقافة الدنمركية."

" لا أعتقد أن ثمة من سلام ممكن في الشرق الأوسط لأن الطرفين اليوم، الفلسطينيين واليهود، لا يكثرون سوى العداء والكراء لبعضهم البعض. أعتقد أنه من أجل أن يتحقق السلام يجب أن نربي جيلين جيدين يكونان قادران على خلق جو جديد بين المجتمعين. كان عمر أكرم ١٢-١١ عاما حين قدم إلى الدنمارك. قال: "شعرت في البداية أنني انتقلت إلى كوكب آخر، لكنني أدركت أنني باق هنا لفترة طويلة وربما سأقضي حياتي كلها هنا. كان من الصعب التعرف على نمط الحياة الدنمركي في البداية. فلم أعرف اللغة وشعرت بالوحدة ووددت العودة إلى حيث كان أسهل علي. لكن مع مرور الوقت بدأت اعتاد إلى نمط الحياة هنا وصرت أتواصل مع الناس حولي."

" التحقت بمعهد اللغة لمدة عام ومن ثم دخلت المدرسة في المرحلة الإعدادية. بدأت بالتعرف إلى أصدقاء دنمركيين عديدين وبدأت الحياة تصبح أكثر متعة. بدأت أخرج معهم وأتمتع بوقتي. كنت دوما أحاول أن أظهر عدم وجود فوارق بيننا، لكن في الواقع كانت هناك فوارق. كانت خلفياتي مختلفة ولوني مختلف ولغتي لا تسمح بالتواصل العميق معهم أو فهم مزاحهم. لكن تسعين بالمائة من أصدقائي كانوا دنمركيين."

" بذلك كل ما بوسعي من أجل التقرب من المجتمع الدنمركي لكنني للأسف كنت دوما أسمع أحدهم يتقوه بملحوظة عنصرية، مما جعلني أبتعد عن دائرة أصدقائي الدنمركيين. انتقلنا لاحقاً إلى بروندباي ستارند وبعد فترة وجيزة تعرفت على الكثير من أولاد المهاجرين. شعرت بارتياح معهم وتحسن نفسيتي. كنت دائما أشعر بأنني قريب من لبنان وأنتعاطف مع فلسطين."

"أنهيت المرحلة الإعدادية عام ١٩٩٧ ودخلت العالم الدنمركي الأوسع. تعرفت على كثير من الناس من قوميات مختلفة بما فيهم دنمركيين، وبدأت أنخرط أكثر في الحياة الاجتماعية. كنت قد حصلت على أعمال مختلفة خلال المرحلة الثانوية. لكن الفوارق كانت تعلو في الصدف حين نناقش مواضيع معينة كالفلسفة والدين، أو موضوع فلسطين والشرق الأوسط، كذا دائماً نختلف، وكنت أشعر بالإجحاف وبدأت تتعزز روابطي الشعورية بالعالم العربي والإسلامي والفلسطيني. أعرف جداً كيف أعيش هنا وانخرط في المجتمع الدنمركي من دون أن أفقد هويتي الأساسية".

"أواجه في البيت مشاكل مع والدائي عندما أتكلم عن فلسطين، وخاصة عن لوبية. كنت دوماً أشعر بتعاطف مع فلسطين وقلت لأهلي أن أهم شيء هو فلسطين ككل وليس لوبية. كانوا يختلفون معي كثيراً حين أقول أن فلسطين هي لكل العرب، أي للمسلمين وليس للفلسطينيين، لأنها جزء من العالم العربي ولها دور هام في الدين الإسلامي".

"بعد انتهاءي من المرحلة الثانوية التحقت في قسم الكيمياء الحيوية بالجامعة."

"إننا هنا في نهاية الأمر لاجئون في الدنמרק ولن نصبح مائة بالمائة جزء من الحياة الدنمركية. أنا عربي مسلم وجدوري هي في الأرض المقدسة، في فلسطين. ما زال إيماني هو بفلسطين وبالامة الإسلامية الأوسع. لا يعني هذا أنني متطرف كاره للغرب. بالعكس تماماً، أشعر بالامتنان الشديد للدنמרק لأنها منحتي حياة أفضل هنا. أعتبر هذا البلد وطني الثاني وعلى أن أكون دوماً على استعداد لخدمته. يؤسفني وجود فوارق سياسية وأيديولوجية. ولذا أخطط بعد إنتهاء الدراسة أن أعود إلى بلد عربي حيث لا أشعر بالغربة. بالنسبة لي من المهم جداً أن أقول لأناسي أنه لا فوارق بيننا وبين الغربيين، وأن أريهم الجوانب الإيجابية في العالم الغربي، وأننا جميعاً بشر ننتمي إلى هذا الكوكب الجميل".

"هنا عندي فرصة أفضل لكي أفهم الصراع بين الشرق الأوسط والغرب الذي تنتمي إليه الدنמרק، وكذلك لكي أفهم لماذا يكن البعض آراء عدائية متشددة تجاه العرب والمسلمين. من هذا الموقع أرى أنه بالإمكان إيجاد طريقة ما لإحلال السلام بين المسلمين والغرب".

"تعلمت ألا أنظر إلى الناس الغربيين كأعداء. إنهم يفكرون بمفاهيم إنسانية مثلـ وأنهم غيرين. المشكلة هي أن الإعلام يدمـ كلـ اـمـكـانـيـةـ لـخـلـقـ جـوـ إـيجـابـيـ بينـ المـسـلـمـيـنـ وـالـعـالـمـ الغـرـبـيـ. اكتـشـفـتـ أـنـ الإـاعـلـامـ فـيـ الدـنـمـرـكـ هـوـ أـهـمـ نـاـشـرـ لـمـعـلـومـاتـ وـأـنـهـ يـخـدـمـ أـغـرـاـصـ

السياسة الخارجية، ينشرون الكثير من المعلومات الخاطئة ويصنعون موافق عدائية ضد المسلمين مما يتاح للحكومة مساحة حرية لدعم النظام الإسرائيلي، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع حدة الكراهية في الشرق الأوسط".

"إذا حاربت وسائل الإعلام من خلال لقاءات مباشرة بين المجتمعات الشرق أوسطية والغربية فإنك تصنع طريقة مباشرة للسلام في فلسطين والشرق الأوسط والعالم الإسلامي. لقد بين خمسون عاماً من الصراع بشكل قاطع أن العنف لا يقود إلى أي مكان. ولكن عملية السلام الدائرة الآن أيضاً لن تقود إلى مكان ثمة أمور عديدة أخرى نحن بحاجة إليها من أجل السلام في منطقة معقدة كهذه. أهم شيء هو أن يكون الناس متسامحين فيما بينهم. هناك أمور جيدة وأمور سيئة، وكل واحد منا يأمل بأن ينتصر الجيد على السيئ. سيكون هذا ممكناً إذا اجتهدت جميع الأمم لنصرة الحق. هكذا تخدم الأجيال القادمة."

"هناك ظروف لا تطاق في أمم مختلفة مثل الحركة الصهيونية ونظام صدام حسين. صدام انتهى وأمل أن ينتهي النظام الصهيوني كذلك. إذا تم ذلك تكون قد خططنا خطوة كبيرة نحو السلام في الشرق الأوسط، ويمكن حينئذ لإسرائيل/فلسطين أن تصبح وطناً للعرب واليهود معاً".

"أمل أن أخرط في نشاطات تتعلق بالشرق الأوسط وحقوق الإنسان. يمكن تحقيق ذلك عبر خلق منظمة دنماركية-عربية مشتركة تهتم بشؤون السياسة والمجتمع."

"أشعر بتغير طرأ على علاقتي بعائلتي منذ غادرنا لبنان. ما زالت أشعر من ناحية بتعلق عائلتي كأنني أعيش في لبنان، لكننا اكتسبنا بعض الأمور الإيجابية في حياة العائلة الدنماركية مما يتيح لنا الاندماج بالمجتمع المضيف دون الإخلال بأسس العائلة".

٤٣

رأي لمن حول عملية الاندماج

"أعيش منذ ١٣ عاماً في الدنمارك وكان قد مر زمن طويل قبل أن أتعود على طريقة العيش هنا. ولحسن الحظ أنهيت دراستي الثانوية وبدأت أدرس الأدب الانكليزي، لكنني بعد ستة أشهر لم أستطع الاستمرار وتحولت إلى دراسة ترميم الأسنان، وما زلت في

الدراسة. أنا شخصياً أعتبر التعليم المهني أهم جزء في عملية الاندماج، إلى جانب عوامل اجتماعية وثقافية أخرى. المجتمع والحكومة الدنماركية اليوم مهتمين بالاندماج أكثر من أي وقت مضى. أعتقد أنه من الجيد أن تضيّع الحكومة أكثر على الأجانب لتقليص دائرة البطالة بين الأقليات الإثنية. وهذا يشمل معرفة أفضل بلغة البلد."

"بالرغم من أنني لم أعش يوماً في قريتي ولم أر بلدي الأصلي فلسطين، أشعر بأنني قريبة جداً من لوبيبة. إن مشاعري هذه لا تصدق! بالفعل أشعر أن لوبيبة تمثل هويتي ومن دون هذا الشعور أشعر بغربة تامة عن خلفيتي. أعتقد أن الإنسان لا يستطيع عمل شيئاً بخصوص مستقبله من دون معرفته بالخلفية التي جاء منها. لقد تربينا في البيت على الإيمان بأن على المرء أن يعرف جذوره، وهذا يعطيه شعوراً بوجود موقعاً آمناً يمكنه العودة إليه".

"السؤال هو إذا كنت سأنجح في نقل شعور الانتماء إلى لوبيبة إلى أولادي. أشك في ذلك. في طفولتي كان جدي والد أمي يحكى لنا حكايات مضحكة ومشوقة عن لوبيبة فكنا حين ننام نحلم بالعودة. وكلما كبرت أصبحت مشاعر فقدان الوطن أصعب. وهذا يشعرك بالدونية، فتبدأ بالبحث عن جذورك في بلدك وقريتك. الشعور بأنك لاجئ يجعلك تحن إلى جذورك وبذلك لنقادي التمييز والعنصرية".

"أحب أن أزور لوبيبة لكنني لا أعتقد أن الأمر ممكن الآن بسبب الصراع بين الفلسطينيين والحكومة الإسرائيلية. كنا دائماً في حالة هروب من الحرب، ولم نعد نحتمل. عندما يعود السلام والهدوء أحب أن أزور القرية حتى ولو أنها دمرت تماماً. يؤلمني أن ذكريات والدي وجدي ووالده كلها مدفونة مع القرية".

"طبعاً أعرف نفسي كمسلم فلسطيني. يوجد في الدنמרק الكثير من الخلافات الإثنية. من الصعب أن تتعرف على جنسياتهم لأنهم يشبهون بعضهم كثيراً. الجميع شعرهم أسود. الدنماركيون يعتبروننا جميعاً مسلمين غرباء. لكننا بين بعضنا نهتم بتحديد هويتنا الخاصة، وهكذا يعرف كل منا نفسه أفضل".

"بصراحة لا أعرف شيئاً بالنسبة لمستقبلني. قريتي لوبيبة لم تعد موجودة، ولا أعتقد أن الصراع بين الفلسطينيين واليهود سوف ينتهي. لذا أعتقد أنني سأبقى في الدنمارك طالما أنه بلد هادئ ومسالم".

"من المحبذ أن يكون لديك مواطنة فلسطينية بدل أن تكون دون موطن . سأشعر بسعادة أن أكون في بلدي وأن لا أكون أجنبية، وأن لا أتعرض إلى خطر الطرد أو الشعور بأن وجودي غير مرغوب فيه . أريد حقاً أن أشعر مثلما يشعر اللبنانيون والدنمركيون ."

أريد أن يكون لدى الحق في أن أقول: ها أنا هنا أقف في بلدي، فلسطين، ولست لاجئة بعد الآن. ولا أحد يستطيع أن يطردني من أرضي. أبي وجدي ووالد جدي جاءوا كلهم من هذه الأرضولي الحق أن أبقى هنا مثل أي شخص في بلده. إذا أقيمت دولة فلسطينية وجاء إليها فلسطينيون من جميع أرجاء العالم سوف تتطور بسرعة من ناحية تقنية لأنأغلبية الفلسطينيين لديهم تعليم عالي. أشعر أن فلسطين يمكن لها أن تكون أفضل دولة في العالم إذا سُنحت لنا فرصة إعادة إعمارها بأمن وسلام."

2

حسناً، لا أعرف إن كنت أدعوهم أصدقاء أو رفاقٍ. في الحقيقة لا أحب أن أتسوّق معهم أو أذهب إلى حفلاتهم. رغم أنني عشت هنا لفترة طويلة لم أنجح بالاندماج مائة بالمائة في المجتمع الدنمركي. أتعلم كيف أتعرف على أصدقاء دنمركيين في المدرسة، وهناك فقط يمكن أن ننسجم. أنا لا أذهب إلى الديسكو وليس عندي صاحب، ولست مستقلة مثّلهم. هم يتحدثون عن الديسكو وعن أصحابهم وأصحابهم وأنا أتحدث عن أوقات المرح مع العائلة والزوار في نهاية الأسبوع. لا يسبب لي نمط حياتي التعasse، فأنا ممنونة لوجود عائلة محبة حولي. في البداية حين جئت إلى الدنمارك واجهت بعض المشاكل، كان والدي لا يسمح لي بالقيام بالكثير من الأمور لأنّه كان يخاف من أن انخرط في المجتمع الدنمركي وأنسي عائلتي وتقاليدي وديني. لكنه مع الوقت بدأ يتفهم أن على المرء القيام بأمور معينة لكي يصبح جزءاً من المجتمع، فبدأ يسمح لي بأن أتحق بالرحلات التعليمية والنشاطات المدرسية الأخرى.

1

لا أستطيع أن أتفادى المشاكل الاجتماعية التي تواجهني هنا، ولا أستطيع أن أنكر أنني مهاجرة من الجيل الثاني. حتى لو أردت الاندماج مع المجتمع ثمة أمور تشنني إلى الوراء، أولها والداعي: في نهاية الأمر تنقسم شخصيتك، تصبح عريباً في المنزل وتحاول أن تكون دنمركياً في الخارج. هذا الأمر يحيرني جداً وسوف يؤثر بمستقبلي. أستطيع أن أعطيك مثلاً: كنت متوجحة قبلي ستة أشهر من رجل عربيٍ واكتشفت فيه أموراً كثيرة

غير مقبولة على . انهار زواجنا لأنه لم يكن مستقلا عن عائلته . لم يكن قادرا على اتخاذ أي قرار وحده وكان يعود إلى عائلته في كل صغيرة وكبيرة . ومن جهة أخرى لا أقدر على العيش مع رجل دنمركي بسبب المعتقدات الدينية .

أشعر في العمل بالفارق بيني وبين زملائي الدنمركيين . يكونون مرحين أكثر من دوني . أحيانا لا أفهم حسهم بالفكاهة ؛ يضحكون على أمور لا أفهمها . هذا يعني أنهم يبقون دائما على مسافة بيننا في مكان العمل .

على صعيد الأصدقاء ، عندي علاقات قوية بأربع بنات ، وهن للأسف لسن دنمركيات .
شعر بالقرب لأننا من نفس الخلفية وعشنا تجارب مشابهة هنا في الدنمارك . نشعر بالسعادة معا ونقضي ساعات في الحديث عن مشاكلنا . في الحقيقة ، هذا ما يجعلنا نستمر .

Bibliography

المصادر العربية:

- أبو دهيس، يوسف. **لوبية، الأرض والشعب**. دمشق: دار المستقبل، ١٩٩٨.
- أبو الحدباء، عبد العزيز. **تراث الشعب الفلسطيني: جذور وتحديات**. الطيبة: مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩١.
- أبو الحدباء، وليد ربيع، عمر حمدان، محمد علي. **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني: قرية ترمسعيا**. البيرة: جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٧٣ و ١٩٨٧.
- الآن، ميشيل وميسا برغوثي وستة آخرون. **حكايات قرية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.
- بدر، داهود. **القابسية: ٥٤ عاما على النكبة**. (كتاب) إصدار: لجنة المبادرة للدفاع عن حقوق المهجرين في الداخل، ٢٠٠٢.
- بدران، محمد. **الفرادية، أم الشهداء**. نشر على حساب المؤلف، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.
- بلدنا فلسطين. **المجلد الخامس**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥.
- البيس، زكريا أحمد. **قرية الأجداد في فلسطين**. عمان: نشر على نفقة المؤلف، ١٩٩٠.
- بشار، عزمي. **مساهمة في نقد المجتمع المدني**. رام الله: مواطن، ١٩٩٦.
- البغدادي، شهاب الدين الحموي الرومي. **معجم البلدان**. المجلد الخامس. تحرير محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥.
- الباش، أحمد مصطفى. **طيرة حيفا: كرملية الجذور، فلسطينية الانتماء**. دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨.
- بشار، محمد أمين. **غيلوط عبر التاريخ**. الناصرة: مكتب النور للإنماء التربوي، ٢٠٠٢.

Nazet Al-Aqsa Library
Nazet Al-Aqsa Library

الموسوعة الفلسطينية. ٦ أجزاء. دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى
١٩٨٤

عراف، شكري. القرية العربية الفلسطينية، مبني واستعمالات أراضي القدس: لجنة
الدراسات العربية، ١٩٨٥

=
· الأرض، الإنسان والجهد، دراسة لحضارتنا المادية على الأرض.
ترشحنا: الجليل للتجليد.

=
· الواقع الفلسطيني بين عهدين - خريطتين. القدس: دار الشفق، ١٩٩٢
العربي، أحمد عزة (محرر). حوادث دمشق اليومية. القاهرة: الجمعية المصرية
التاريخية، لجنة البيان العربي، ١٩٥٩

عطية، علي. الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني. القدس: جمعية الدراسات
العربية، ١٩٨٥

عطية، [] . []: زيتونات بلاد صفد. دمشق: []، ١٩٩٨

عوض، خليل. كي لا ننسى: ٢٥ عاماً على يوم الأرض. الناصرة: مكتب النورس للإنماء
التربوي، ٢٠٠١

عواودة، وديع. ذاكرة لا تموت (شهادات عيان على النكبة عام ١٩٤٨). شفاعمرو،
٢٠٠٠

باباجى، رمضان واخرون. حق العودة للشعب الفلسطيني ومبادئ تطبيقه. بيروت:
مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦

عرفات، جميل. من ذاكرة الوطن، من قرانا المهجرة. الناصرة: النهضة، ١٩٩٩
عارف العارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. ٦ مجلدات. فلسطين: دار الهدى،
١٩٩٤

داود، أحمد. العرب والساميون والبرتانيون وبني إسرائيل واليهود. دمشق: دار
المستقبل، ١٩٩١

دكور، محمود يوسف. بقية ما بقينا، [] صفد: بركان الجبل. اللجنة الفلسطينية
للثقافة والتراث، لبنان، ٢٠٠١

فيصل، علي. اللاجئون الفلسطينيون ووكالة الغوث. بيروت: دار التقدم العربي، ١٩٩٦

- غيرشون ريفلين، إلhanan أورن (محرر). دافيد بن - غوريون: يوميات الحرب (١٩٤٧-١٩٤٩). ترجمة، سمير جبور. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨.
- حمادة، محمد عمر. أعلام فلسطين. الجزء الأول. دمشق: دار قتبة، ١٩٨٥.
- حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٧: الرواية الإسرائيلية الرسمية. ترجمة، أحمد خليفة. قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.
- حسن، محمد عبد الغني. ترافق وسير. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥.
- الكيالي، عبد الوهاب. تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، ط. ٩.
- الخالدي، وليد. دير ياسين: الجمعة ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧١.
- الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ١٩٣٦-١٩٣٩: الرواية الإسرائيلية الرسمية. ترجمة، أحمد خليفة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٩.
- محمود، يحيى. الطنطورة. دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨.
- مناع، عدل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥.
- مطر، عبد الرحيم. ادفنوني هناك. دمشق: نشر على نفقه المؤلف، ١٩٩٥.
- موعد، حمد. مخيم البر茅وك. دمشق: دار الشجرة، ٢٠٠٢.
- موسى، صالح وإسماعيل توفيق. صفورية، عروس الجليل بيروت: جمعية الشجرة،؟
- صفورية، صفحة مشرقة من جهادنا. دمشق: دار الوثائق، =
- ٢٠٠١
- ناصر، محمد. ترشحها: زهرة على صدر الجليل. دمشق: التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٩٦.
- رباح، رمزي. اللاجئون والنازحون ومفاوضات الوضع الدائم. بيروت: دار النقد العربي، ١٩٩٦.
- صباح، زهيرة. **«بالعربية والإنكليزية»** صفورية - معرض . إصدار لجنة تراث صفورية. الناصرة: مطبعة الحاكم، ١٩٩٣.

Comment [MF59]: Musa, Saleh Ismael, (2 volumes) Tawfeek: Saffu 'Aroos al-Jaleel & Saffuriyya, Safah Mushrikha min Jihadina, Jam'iyyat a-Shajara (Beirut), dar al-Watha'ik, Damascus, 2001 (Arabic).
هل المتصور كتابين لم كتاب واحد؟

Comment [MF60]: تلك

Comment [MF61]: تلك من العنوان :

Comment [MF62]: *

صفوري، محمد أمين. صفورية، حضارة وتراث. مجلدان. الناصرة: النورس للنماء التربوي، ٢٠٠٠.

الصالح، حسني. فلسطين، ذكريات معملة، سيرة ذاتية. بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٧.

السهلي، نبيل محمود. قرية بلد الشيخ. دمشق: دار الشجرة، ٢٠٠١.

شقر، إلياس. أخوات الدم. سدني، نشر في عيلين، ١٩٩٢.

شраб، محمد حسن. معجم بلدان فلسطين. عمان: الأهلية، ١٩٩٦.

شهابي، إبراهيم. قرية لوبيا. بير زيت: جامعة بير زيت، ١٩٩٤.

سوسن، يوسف أصفهان. شهادتي: يوميات برعمية. عكا، نشر على نفقة المؤلف، ١٩٨٦.

بحبي، يحيى محمود. الطنطورة. دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨.

يمني، أحمد وتسعة آخرون. سحماتا: Rahra من بلاد الجليل الأعلى. بيروت: مكتبة القدس. (دون تاريخ).

بحبي، عادل و محمود إبراهيم وتوماس ديكس. من يصنع التاريخ، التجربة الفلسطينية في التاريخ الشفهي. القدس: مؤسسة تامر، ١٩٩٤.

Comment [MF63]: ***

كناعنة، شريف وكمال عبد الفتاح، وصالح عبد الجود وزملاء آخرون وردت أسماؤهم في الأجزاء المختلفة، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة. (بير زيت: جامعة بير زيت):

عين حوض (رقم ١) ١٩٨٧

مجدل حسقلان (رقم ٢) ١٩٨٧

سلامة (رقم ٣) ١٩٨٧

دير ياسين (رقم ٤) ١٩٨٧

الفلوجة (رقم ٥) ١٩٨٧

الكفحة (رقم ٦) .

أبو كشك (رقم ٩) ١٩٩٠

Comment [MF64]: *

- مسكة (رقم ١٠) ١٩٩١
 كفر سابا (رقم ١١) ١٩٩١
 لفتة (رقم ١٢) ١٩٩١
 كفر برم (رقم ١٣) ١٩٩١
 قرية عمواس (رقم ١٤) ١٩٩٤ (أنظر كراس: عمواس، لجنة أهالي القرية، ١٩٩٤)
 قرية لوبية (رقم ١٧) ١٩٩٤

مكارى، دلال وهباء الأطرش. سلسلة القرى الفلسطينية في قصص الأطفال. ٨ أجزاء.
 دمشق: دار الشجرة، ١٩٩٨ و ٢٠٠٠
 كفر سبت، ١٩٩٨
 الفلوجة، ١٩٩٨
 السرفند، ١٩٩٨
 القدس، ٢٠٠٠
 كوكب، ٢٠٠٠
 نمرین، ٢٠٠٠
 الجليل، الكرمل، رأس العين، النبك، الجرمق، ٢٠٠٠

مصادر بالعبرية:

- عاف، ناحوم. <بالعبرية>. هماياك عال طيريا: هارشونا لشحورر بلمحيميت
 هاعتسמנות. (معركة طيريا: أولى المحررات في حرب الاستقلال). تل أبيب: وزارة
 الدفاع، ١٩٩١
 ميخائيلي، بن نسيون. <بالعبرية> سجرة، تولدوتها وأناشيها. (السجرة: تاريخها
 وأناسها). عام عوفيد

نکد: Comment [MF65]

بخ/مكان شر: Comment [MF66]



Um Isam, the daughter of Lubya's Mukhtar, Hasssan Abu Duhais, with her family in Nazareth.





Lubya's only standing wall.

Ma'arakhot ha-Irgun ha-tseva'i ha-le'umi, Tel Aviv, Mosad Klopner, 1965. Etsel: ha-Irgun ha-tseva'i ha-le'umi / David Niv. Yerushalayim : Mi'srad ha-hinukh ve-ha-tarbut, Agaf ha-no'ar, ha-Mahlakah le-hinukh hevrati, c1976.

Talmi, Menahem. *Kakh hitgonen Yi'sra'el: parashat ha-hitgonenut ve-ha-ma'avak mi-yeme ha-shomrim ve-'ad kom ha-medinah* (That is the Way Israel Defended Itself). Tel Aviv: 'Amihai, 1954.

Toldot Mihemet HaQomemiyut (The History of the War of Independence). Tel Aviv: Maarakhot, 1959.

مصادر بالإنجليزية

Abboushi, Wasif. *The Unmaking of Palestine*. London: Menas Press, 1985.

Abu Hadba, Abdul-Aziz. *Dayr Aban Village, A Study in a Palestinian Society and Folklore*. Al-Bireh: Society of In'ash el-Ustra, 1990.

Abu Husayn, Husayn. "Right of Return – The Ever-Present Fear, The Iqrit Model and Land in Israel," Working Paper Prepared for the 2nd BADIL Expert Seminar on Palestinian Refugees, Housing and Property Restitution in Durable Solutions for Palestinian Refugees, 2-4 October 2003, Geneva.

Abu Sitta, S.H. *The Palestinian Nakba 1948, The Register of Depopulated Localities in Palestine*. London: The Palestinian Return Centre, 2000.

Anderson, Benedict. *Imagined Communities, Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1991.

Anton, Richard T. *Arab Village*, Bloomington, London, 1972.

Baedeker, Karl (ed.). *Baedeker's Palestine and Syria, Handbook for Travelers*. London: Dulau and Co., 1898.

Bailey, Clinton. *Jordan's Palestinian Challenge 1948-83, a Political History*. Boulder: Westview Press, 1984.

Ben Eliezer, Uri. *The Making of Israeli Militarism*. Bloomington: Indiana University Press, 1998.

Benvenisti, Meron. *Sacred Landscape, the Buried History of the Holy Land Since 1948*. Berkeley: University of California Press, 2000.

Berger, Elmer. *Judaism or Jewish Nationalism, the Alternative to Zionism*. New York: Bookman Associates, 1957.

- _____. *Letters and Non Letters, the White House, Zionism and Israel*. Beirut: Institute for Palestine Studies, 1972.
- _____. *Peace for Palestine: First Lost Opportunity*. Gainesville: University Press of Florida, 1993.
- Boqai, Nihad and Terry Rempel (eds.). *Survey of Palestinian Refugees and Internally Displaced Persons 2002*. Bethlehem: BADIL Resource Center for Palestinian Residency and Refugee Rights, 2002.
- Buckingham, James Silk. *Travels in Palestine*. London: Longman, Hurst, Rees, Orme and Brown, 1821.
- Burckhardt, John L. *Travels in Syria and the Holy Land*. London: John Murry, 1822.
- Calhoun, Craig (ed.). *Social Theory and the Politics of Identity*. Oxford: Blackwell, 1995.
- Cattan, Henry. *The Palestine Question*. London: Croom Helm, 1988.
- Condor, Lieut. C.R. and Lieut. H.H. Kitchener. *The Survey of Western Palestine, Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography & Archaeology*. Vol. I. London: Adelphi, 1881.
- Eickelman, Dale F. *The Middle East, An Anthropological Approach*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1989.
- Fischbach, Michael. *Records of Dispossession, Palestinian Refugee Property and the Arab-Israeli Conflict*. New York: Columbia University Press, 2003.
- Gellner, Ernest. *Culture, Identity and Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- Golani and Gevaati. *The Army of Israel, Encyclopedia of Army and Security*, Maariv Printer, 1982.
- Graham Brown, Sara. *Palestinians and their Society 1880-1946, A Photographic Essay*. London: Quartet Books Limited, 1980.
- Gubser, Peter. *Jordan, Crossroad of the Middle Eastern Events*. Boulder: Westview Press, 1983.
- Hadawi, Sami. *Palestinian Rights & Losses in 1948, A Comprehensive Assessment*. London: Saqi Books, 1988.
- Halabi, Usama. "The Impact of the Jewishness of the State on the Status and Rights of the Arab Citizens in Israel," *The Palestinians in Israel, Is Israel the State of All Its Citizens and 'Absentees'*? Nur Masalha (ed.). Haifa: Galilee Center for Social Research, 1993, pp. 7-33.

- Harkabi, Yehoshafat. *The Arab-Israeli Conflict on the Threshold of Negotiations*. Princeton, NJ: Center of International Studies, Princeton University, 1992.
- _____. *Israel's Fateful Hour*. New York: Harper & Row, 1988.
- _____. *Israel's Fateful Decisions*. London: I.B. Tauris & Co. Ltd., 1988.
- Hobsbawm, Eric and Terence Ranger. *The Invention of Tradition*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Huneidi, Sahar. *Sir Herbert Samuel, Zionism and the Palestine Arabs 1920-1925*. Manchester: University of Manchester, 1995.
- Ibn al-Athir, *Kamil fi al-Tarikh*. Vol. II. Beirut: Dar Sadir, 1979.
- Jacobsen, K. Jan. *At Interviewe*. Copenhagen: Hans Reitzel, 1982.
- Jewish Villages in Israel*. Jerusalem: Jewish National Fund, 1949.
- Kabha, Riad and Meron, Joram. *Tales of the Wadi; Selected Folktales from Wadi Arah*. Givat-Haviva: Institute for Arabic Studies, 1994.
- Karmi, Ghada, and Eugene Cotran (eds.). *The Palestinian Exodus: 1948-1998*. London: Ithaca Press, 1999.
- Khalidi, Rashid. *Palestinian Identity, the Construction of Modern National Consciousness*. New York: Columbia University Press, 1997.
- Khalidi, Walid (ed.). *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948*. Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.
- (ed.). *From Haven to Conquest, Readings in Zionism & the Palestine Problem until 1948*. Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971.
- Klein, Ernest. *A Comprehensive Ethnological Dictionary of the Hebrew Language*. Carta, 1987.
- Lehn, Walter. *The Jewish National Fund*. London: Kegan Paul International, 1988.
- Lorch, Natanel. *The Edge of the Sword, Israel's War of Independence, 1947-1949*. London: Putnam, 1961.
- Lustick, Ian. *Arabs in the Jewish State, Israel's Control of a National Minority*. Austin: University of Texas Press, 1980.
- Maarachot*. Ministry of Defence, Israel, 1951.
- Mandel, J. Neville. *The Arabs and Zionism before World War I*. Berkeley: University of California Press, 1976.

Masalha, Nur. *Expulsion of the Palestinians, The Concept of Transfer in Zionist Political Thought, 1882-1948*. Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.

_____. *The Politics Of Denial, Israel and the Palestinian Refugee Problem*. London: Pluto Press, 2003.

McCarthy, Justin. *The Population of Palestine, Population Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate*. New York: Columbia University Press, 1990.

Mohl, Perle. *Village Voices, Coexistence and Communication in a Rural Community in Central France*. Copenhagen: Museum Tusculanum Press, 1997.

Morris, Benny. *1948 and After, Israel and the Palestinians*. Oxford: Oxford University Press, 1991.

_____. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

_____. *Righteous Victims, A History of the Zionist-Arab Conflict 1881-1999*. New York: Vintage Books, 2001.

_____. *Israel's Border Wars, 1949-1956, Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War*. Oxford: Clarendon Press, 1993.

Murray, John. *Handbook for Travellers in Syria and Palestine*. Mary Brodrick (ed.). London: E. Standford, 1903.

Nazzal, Nafez. *The Palestinian Exodus from Galilee 1948*. Beirut: Institute for Palestine Studies, 1978.

Niv, David. *The Battles of the National Military Organization (Etsel)*. Tel-Aviv: Klauzner Institute, 1965-1980 (five volumes). *Etsel Battles part II, From Defence to Attack*, Klausner Institute, Israel, 1965.

The Official Guide to Israel. Tel Aviv: The Ministry of Defence, Carta, Israel Maps and Publishing Co. Ltd.

Pappe, Ilan. "The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial," 30 *Journal of Palestine Studies* 3 (Spring 2001): pp. 19-39.

Pappe, Ilan. *The Making of the Arab Israeli Conflict 1947-1951*. London: I.B.Tauris & Co. Ltd., 1994.

Pappe, Ilan. *A History of Modern Palestine, One Land, Two Peoples*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

Patai, Raphael (ed.). *The Complete Diaries of Theodore Herzl*. Vol. I. New York: Herzl Press and T. Yoseloff, 1960.

Pedersen, Jorgen. *Brylluppet i Ramallah* [Wedding in Ramallah] Denmark, Gyldendal, 2003 (in Danish)

- Said, Edward W. *Out of Place, A Memoir*. London: Viking, 1999.
- Sayigh, Rosemary. *Too Many Enemies*. London: Zed Books, 1994.
- Schwartz, Jonathan M. *Pieces of Mosaic: An Essay on the Making of Makedonija*. Denmark: Intervention Press, 1996.
- Segev, Tom. *1949: The First Israelis*. New York: The Free Press, 1998.
- Serger, Karen (ed). *Photographs of Hilma Granqvist: Portrait of a Palestinian Village*. London: Third World Centre for Research & Publishing Ltd., 1981.
- Shlaim, Avi. *Collusion Across the Jordan, King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
- _____. *The Iron Wall, Israel and the Arab World*. New York: W.W. Norton, 2000.
- Slyomovics, Susan. *The Object Of Memory, Arab and Jew Narrate the Palestinian Village*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1998.
- Smith, A. Pamela. *Palestine & the Palestinians 1876-1983*, Sidney, Australia, 1984.
- Stein, Kenneth, W. *The Land Question In Palestine, 1917-1939*. Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 1984.
- Survey of Palestine*. London: Her Majesty's Stationery Office, Reprinted in Full by the Institute for Palestine Studies, 1991.
- Swedenburg, Ted. *Memories of Revolt, the 1936-1939 Rebellion and the Palestinian National Past*. Minneapolis, Minn: University of Minnesota, 1995.
- Takkenberg, Lex. *The Status of Palestinian Refugees in International Law*. Oxford: Clarendon Press, 1998.
- "The Tantura Massacre, 22-23 May 1948," 30 *Journal of Palestine Studies* 3 (Spring 2001): pp. 5-18.
- Turner, Byan S. *Orientalism, Postmodernism, and Globalism*. London: Routledge, 1994.
- UNCCP, *Analysis of Paragraph 11 of the General Assembly Resolution of 11 December 1948*. Working Paper Prepared by the Secretariat, UN Doc. W/45, 15 May 1950.
- Vansina, Jan. *Oral Tradition as History*. Madison: University of Wisconsin Press, 1985.

Village Statistics 1945, A Classification of Land and Area Ownership in Palestine. Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1970.

Whitelam, W. Keith. *The Invention of Ancient Israel, the Silencing of Palestinian History.* London: Routledge, 1996.

Zureik, Elia. *Palestinian Refugees and the Peace Process.* Washington, DC: Institute of Palestine Studies, 1996.

منشورات المؤلف

دراسة بعنوان "مشكلة التعليم الفلسطيني". بيروت: الجامعة العربية، ١٩٩١ (١٢٠ صفحة)

"Involvement and Detachment in Joseph Conrad's Fiction", Regnbue Publishing House, Copenhagen 1995. In English, with a Danish resume. 282 pages.

"Involvement and Detachment in Nostromo", in "Conrad in Scandinavia", ed. W. Krajka and Jacob Lothe, PP 211-223, Colombia University Press, New York 1995.

"Dreams and Realities, Palestinians from Lubya in Denmark", Danish Refugee Council, Copenhagen 1995. 80 pages & an Appendix of 12 pages.

"Palestinian Diaspora: Experiences and Testimonies", in Arabic, in "Samid al-Iqtisadi" 18, no.105 Jul.-Sep.96: pp 167-79. The Reference was also mentioned in "Journal of Palestine Studies", no.103, p.189.

"Historiography of the destroyed palestinian village of Lubya", REFUGE, Canada's Periodical on Refugees, Vol. 21.No.2 February 2003.

Titles and numbers of files consulted at the Public Records Office in London concerning the British Mandate period in Palestine:

| | |
|---------------|---|
| CO 733/ 433/3 | <i>Mukhtars: Duties and Remuneration.</i> NB. This file was closed until 1992. Five copies were made about the remuneration of mukhtars. |
| CO 733/456/8 | Situation Outrages |

- CO 742/1 The Palestine Gazette 1933. (Gazettes 1-10 & 26); a few documents about Lubya and other relevant subjects.
- CO 733/456/6 Situation, Bomb Outrages (Different copies were made about the terror actions of different Jewish groups, *Itcil* and others. It was closed until 1972.
- CO 733/481/1& Policy, Arab Reactions, in this file there are also numbers of
- CO 821/2-6 All references to municipalities, and the names of the different council members, including those of Lubya, are to be found in the microfilm archives.
- CO 814/40 Palestine Administration Reports, 1946-1947, Education in Palestine 1936-1946

Arab News Bulletin: A fortnightly publication issued by the Arab Office, 92, Eaton Place, London, S.W.1. No: 58, 12/3/1948,

(extracts before the United Nations),
the plan picture of Palestine
Numbers consulted: 55,56,54,52,50,49,48
from Jamal Husayni's statement
47,46,45,44,43,40,41,39,36.

Palestine Blue Book, 1926-1927 & 1928-1932 printed by Waterloo & sons Limited, London, 1928

Archival material in Israel:

Israel State Archives 3634/R.8073/N

• 3624/R.13657/N
323/524/P

Hagana archives Tel Aviv
file no 105/222 (Lubya 1943-1944)

Zionist Archives in Jerusalem:

J15/7591, concerning settlements in Lubya and Hazorim
J15/5587, project de colonisation a Lubya-Sarjuni; documented by PICA
J15/459, Lubya's Land
J15/5587, Hapoel-Hamizrahi a Lubya (1943-1946)
J15/7591; settlement in Hazoriim and Lubya
J15/5587, Colonie ou village Lubya; Contrat de Location (between PICA & Histadrut Hapoel Hamizrahi)
J15/7459, Service Terrains; Lubya's land
J15/7459; transactions of land in Lubya
J15/7459; land file in lower Galilee
J15/5587; names of Jews who took over the land of Lubya
J15/9142; exchanging letters concerning land's distribution
KK15/2177 a ten pages document of all the numbers and areas of land transferred from Lubyans
J15/7591; p.11 le nom d'un roi asyrien (Sergon) hostile aux Israelites

Newsletters & Magazines

Shaml Newsletter, *Palestinian Diaspora & Refugee Centre*, March 1996, No.2.

Journal of Palestine Studies; University of California Press Journals, Berkeley, CA. No.95-97

مجلة الدراسات الفلسطينية. بيروت، ١٩٩٦، عدد ٢٦
فلسطين (جريدة يومية). يافا. الأربعة ٢١-٦-١٩٣٩ - ١٩٤٠ العدد ٨٧
دافار، ٦-٢٢-١٩٣٩
هارتس، مقالة لجدعون ليفي: "كشف آثار إسرائيل"، ٣-١١-٢٠٠٠